



Prine

عبد الرزاق الموسوي المقرم

مقتل الحسين عليه السلام

او

حديث كربلا

منشورات

٢

دار الكتب الاسلامية و مخزن الأميني - النجف

الطبعة الثانية

وفيها زيادات كثيرة على الطبعة الأولى

1956/7

مطبعة الآداب «في النجف» ١٣٧٦

عبد الرزاق الموسوي المقرم

مقتل الحسين عليه السلام

او

حديث كربلا

منشورات

٢

دار الكتب الاسلامية و مخزن الامين - النجف

الطبعة الثانية

وفيها زيادات كثيرة على الطبعة الأولى

مطبعة النجف «في النجف»

١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين ،
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم
يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، إنّ الله
اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل
والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به وذلك هو الفوز العظيم .

« القرآن الكريم »

المقدمة

نهضة الحسين (ع)

كان المغزى الوحيد لشهيد الدين وحامية الاسلام الحسين بن أمير المؤمنين (ع) إبطال احدوثة الأمويين ودحض المعرّات عن قدس الشريعة ولفت الأنظار الى برائتها وبرائة الصادع بها عما ألصقوه بدينه من شية العار والبدع المخزية والفجور الظاهر والسياسة القاسية (١) فنال سيد الشهداء مبتغاه بنهضته الكريمة وأوحى الى الملأ الديني ما هنالك من مجون فاضح وعرّف الناس (بيزيد المخازي) ومن لاث به من قادة الشره وجرائيم الفتن فمجتهم الأسماع ولم يبق في المسلمين إلا من يرميهم بنظرة شزراء حتى توقدت عليهم العزائم واحتدمت الحمية الدينية من اناس ونزعات

(١) يتحدث الأستاذ احمد أمين فى ضحى الإسلام عن الحكم الأموى فيقول فى ج ١ ص ٢٧ : الحق ان الحكم الأموى لم يكن حكما إسلامياً يسوى فيه بين الناس ويكافىء المحسن عربياً كان أو مولى ويعاقب المجرم عربياً كان أو مولى ، وإنما الحكم فيه عربى والحكام خدمة للعرب وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية .

من آخرين فاستحال الجدال جلاداً وأعقبت بلهينة عيشهم حروبا دامية أجهزت على حياتهم ودمرت ملكهم المؤسس على انقاض المملكة الاسلامية من دون أيّ حنكة أو جدارة ، فأصاب هذا الفاتح (الحسين ع) شاكلة الغرض بذكره السائر ، وصيته الطائر ، ومجده المؤثل ، وشرفه المعلى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

لا أجدك أيها القارىء وأنت تسبر التاريخ وتتحرى الحقائق بنظر التحليل إلا وقد تجلت لك نفسية (أبي الضيم) الشريفة ، ومغزاه المقدس ونواياه الصالحة ، وغاياته الكريمة ، في حله ومرتحله ، في اقدامه واحجامه ، في دعواه ودعوته ، ولا أحسبك في حاجة الى التعريف بتفاصيل تلكم الجمل بعد أن عرفت أن شهيد العظمة من هو وما هي اعماله وبطبع الحال تعرف قبل كل شيء موقف مناوئه وما شيبت به نفسيته من المخازي .

ونحن لو تجردنا عما نرتئيه (لحسين الصلاح) من الامامة والحق الواضح الذى يقصر عنه في وقتـــه أيّ ابن انثى لم تدع لنا النصفة مساغا لاحتمال مباراته فى سيره طاغية عصره ، أو أنه ينافسه على شيء من المفاخر فان سيد شباب اهل الجنة متى كان يرى له شيئاً من الكفائة حتى يتنازل الى مجاراته ، ولقد كان عليه السلام يربى بنفسه الكريمة حتى عن مقابلة اسلافه .

أترى ان الحسين يقابل أبا سفيان بالنبي الكريم ، أم معاوية بأمير المؤمنين ، أم آكلة الاكباد بأم المؤمنين خديجة ، أم ميسون بسيدة نساء العالمين أم خلاعة الجاهلية بوحي الاسلام ، أم الجهل المطبق بعلمه المتدفق ، أم الشره المخزي بنزاهة نفسه المقدسة ، الى غيرها مما يكل عنه القلم ويضيق الفم .

لقد كان بين الله سبحانه وتعالى وبين أوليائه المخلصين أسرار غامضة تنبو عنها بصائر غيرهم وتتحسر أفكار القاصرين ، حتى أعمتهم العصبية فتجرؤا على قدس المنقذ الأكبر وأبوا إلا الركون الى التعصب الشائن فقالوا : إن الحسين قتل بسيف جده لأنه خرج على امام زمانه (يزيد) بعد أن تمت البيعة له وكملت شروط الخلافة باجماع اهل الحل والعقد ولم يظهر منه ما يشينه ويزري به (١) .

---

(١) عبارته فى العواصم ص ٢٣٢ تحقيق محب الدين الخطيب طبع سنة ١٣٧١ قال رسول الله « ص » ستكون هنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الامة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان فما خرج عليه أحد إلا بتأويل ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده « ص » انتهى . وقال محب الدين فى التعليق هذا الحديث ذكره مسلم فى الصحيح فى كتاب الامارة قلت : هو فى الجزء الثانى ص ١٢١ كتاب الامارة بعد الغزوات أخرجه عن زياد بن علاقة عن عرفجة عنه « ص » (وابن علاقة) سيء المذهب منحرف عن أهل البيت كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ٣٨١ وذكر عرفجة فى ج ٧ ص ١٧٦ ولم ينقل له مدح أو ذم فهو من المجهولين لا يؤبه بحديثه .

والعجب من التزامه بصحة خلافة يزيد وهو يقرأ حديث النبي « ص » لا يزال أمر امتى قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى امية يقال له يزيد ، رواه ابن حجر فى مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٤١ عن مسند أبى يعلى والبزار وفى الصواعق المحرقة ص ١٣٢ عن مسند الرويانى عن أبى الدرداء عنه « ص » أول من يبدل سنتى رجل من بنى امية يقال له يزيد ، وفى كتاب الفتن من صحيح البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله « ص » يقول : هلكة امتى على يدى غلمة من قريش ، قال ابن حجر فى شرح الحديث من ـــ

وقد غفل هذا القائل عن أنّ ابن ميسون لم يكن له يوم صلاح حتى يشينه ما يبدو منه وليس لطاماته ومخازيه قبل وبعد وقد ارتضع در ثدي (الكلبية) المزيج بالشهوات، وتربى في حجر من لُعن على لسان الرسول الأقدس (١) وأمر الامة بقتله متى شاهدته متسنما صهوة منبره (٢) ولو امتثلت الامة الأمر الواجب لأمنت العذاب الواصب المطل عليها من نافذة بدع الطاغية ومن جراء قسوته المبيدة لها، لكنها كفرت بأنعم الله فطفقت تستمرء ذلك المورد الوبيء ذعافا ممقراً فألبسها الله لباس الخوف وتركها ترزح تحت نير الاضطهاد وترسف في قيود الذل والاستعباد ونصب عينها استهتار الماجنين وتهتك المنهمكين بالشهوات، وكلما تنضح به آنية الأموية

ـــ فتح البارى ج١٣ ص٧ كان أبو هريرة يمشى فى السوق ويقول اللهم لاتدركني سنة ستين ولا امارة الصبيان، قال ابن حجر أشار بذلك الى خلافة يزيد فانها فى سنة ستين ولم يتعقبه.

(١) فى تاريخ الطبرى ج ١١ ص ٣٥٧ حوادث سنة ٢٨٤ وكتاب صفين لنصر ص ٢٤٧ مصر وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى ص ١١٥ ايران أن رسول الله «ص» رأى أبا سفيان على جمل وابنه يزيد يقوده ومعاوية يسوقه فقال: لعن الله الراكب والقائد والسائق.

(٢) فى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٨١ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص٤٢٨ وتاريخ الطبرى ج١١ ص ٣٥٧ وكتاب صفين ص٢٤٣ وص ٢٤٨ وشرح النهج الحديدى ج ١ ص ٣٤٨ وكنوز الدقائق للمناوى على هامش الجامع الصغير ج ١ ص ١٨ واللئالىء المصنوعة للسيوطى ج ١ ص ٢٢٠ كتاب المناقب قال رسول الله «ص» اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

الممقوتة شب (يزيد الأهواء) بين هاتيك النواجم من مظاهر الخلاعة .

ولقد اعرب عن كل ما أضمره من النوايا السيئة على الاسلام والصادع به جذلا بخلاء الجو له فيقول العلامة الألوسي :

لما ورد على يزيد نساء الحسين وأطفاله والرؤوس على الرماح وقد أشرف على ثنية جيرون ونعب الغراب قال :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت   تلك الشموس على ربى جيروني

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل   فلقد قضيت من النبي ديوني

الى كثير من موبقاته والحاده فاستحق بذلك اللعن من الله وملائكته وانبيائه ومن دان بهم من المؤمنين الى يوم الدين ولم يتوقف في ذلك الا من حرم ريح الايمان واعمته العصبية عن السلوك في جادة الحق فأخذ يتردد في سيره ، حيران لا يهتدي الى طريق ، ولا يخرج من مضيق انتهى (١) .

ولم يتوقف المحققون من العلماء في كفره وزندقته فيقول ابن خلدون في غلط القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي إذ قال في كتابه (العواصم والقواصم) : ان الحسين قتل بسيف شرعه غفلة عن اشتراط الامام العادل في الخلافة الاسلامية ومن أعدل من الحسين في زمانه وامامته وعدالته في قتال اهل الآراء ، وفي ص ٢٥٤ ذكر الاجماع على فسق يزيد ومعه لا يكون صالحاً للامامة ، ومن أجله كان الحسين (ع) يرى من المتعين الخروج عليه وقعود الصحابة والتابعين عن نصرة الحسين لا لعدم تصويب فعله بل لأنهم يروا عدم جواز اراقة الدماء فلا يجوز نصرة يزيد بقتال الحسين بل قتله

---

(١) روح المعاني ج ٨ ص ١٢٥ .

من فعلات يزيد المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد (١) .

ويقول ابن مفلح الحنبلي : جوز ابن عقيل وابن الجوزي الخروج على الامام الغير العادل بدليل خروج الحسين على يزيد لاقامة الحق وذكر ابن الجوزي فى كتابه (السر المصون) من الاعتقادات العامية التي غلبت على جماعة من المنتسبين الى السنة انهم قالوا كان يزيد على الصواب والحسين مخطؤ في الخروج عليه ، ولو نظروا فى السير لعلموا كيف عقدت البيعة له وألزم الناس بها ولقد فعل مع الناس في ذلك كل قبيح ، ثم لو قدرنا صحة خلافته فقد بدرت منه بوادر وظهرت منه أمور كل منها يوجب فسخ ذلك العقد من نهب المدينة ورمي الكعبة بالمنجنيق وقتل الحسين واهل بيته وضربه على ثناياه بالقضيب وحمل رأسه على خشبة ، وإنما يميل الى هذا جاهل بالسيرة عامي المذهب يظن انه يغيظ بذلك الرافضة (٢) .

وقال التفتازاني الحق ان رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره به واهانته اهل بيت النبي (ص) مما تواتر معناه وان كان تفاصيله آحاد فنحن لا نتوقف في شأنه بل فى إيمانه لعنة الله عليـــه وعلى انصاره واعوانه (٣) .

وقال ابن حزم : قيام يزيد بن معاوية لغرض دنيا فقط فلا تأويل له وهو بغي مجرد (٤) . ويقول الشوكاني : لقد أفرط بعض اهل العلم فحكموا

---

(١) المقدمة ص ٢٥٤ و ٢٥٥ عند ذكر ولاية العهد .

(٢) الفروع ج ٣ ص ٥٤٨ .

(٣) شرح العقائد النسفية ص ١٨١ طبع الأستانة سنة ١٣١٣ .

(٤) المحلى ج ١١ ص ٩٨ .

بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغ على الخمير السكير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية لعنهم الله فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من سماعها كل جلمود (١) .

وقال الجاحظ المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وحمله بنات رسول الله (ص) سبايا. وقرعه ثنايا الحسين بالعود واخافته اهل المدينة وهدم الكعبة تدل على القسوة والغلظة والنصب وسوء الرأى والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الايمان ، فالفاسق ملعون ومن نهى عن شتم الملعون فملعون (٢) .

ويحدث البرهان الحلبي ان استاذ الشيخ محمد البكري تبعاً لوالده كان يلعن يزيد ويقول زاده الله خزيا وضعه وفى أسفل سجين وضعه (٣) ، كما لعنه أبو الحسن علي بن محمد الكياهراسي وقال لو مددت ببياض لمددت العنان فى مخازي الرجل (٤) .

وقال الذهبي فى سير النبلاء : كان يزيد بن معاوية ناصبياً فظاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر ، افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين ، وختمها بوقعة الحرة فمقته الناس ولم يبارك فى عمره (٥) .

---

(١) نيل الأوطار ج ٧ ص ١٤٧ .

(٢) رسائل الجاحظ ص ٢٩٨ الرسالة الحادية عشر فى بنى أمية .

(٣) السيرة الحلبية .

(٤) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٥ ايران بترجمة الكياهراسى علي بن محمد بن علي .

(٥) الروض الباسم ج ٢ ص ٣٦ لمحمد بن ابراهيم الوزير اليمانى .

وبعد مقت هؤلاء الأعلام ليزيد كيف رضي لنفسه عبد المغيث بن زهير بن علوي الحربي أن يصنف كتابا فى فضائل يزيد بن معاوية وأي مأثرة وجدها له حتى يسجلها فى كتابه وهل حياته كلها إلا مخازي وتهجمات على قدس الشريعة ؟ حتى ان العلماء لم يعبأوا بهذا الكتاب فيقول ابن العماد في شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٧٥ حوادث سنة ٥٨٣ أتى فيه بالموضوعات ، وفي البداية لابن كثير ج ١٢ ص ٣٢٨ رد عليه ابن الجوزي فأجاد وأصاب ، وفي كامل ابن الأثير ج ١١ ص ٢١٣ أتى فيه بالعجائب .

وأغرب من هذا إنكار ابن حجر الهيثمي رضا يزيد بقتل الحسين أو أنه أمر به (١) مع تواتره بين المؤرخين ولم ينكره إلا من أنكر ضوء الشمس وقد احتفظوا بمنكراته كاحتفاظهم ببغي أبيه معاوية ومعاندته لقوانين صاحب الدعوة الآلهية ، أليس هو القائل لأبيه صخر لما أظهر الاسلام فرقا من بوارق المسلمين ؟ (٢) :

يا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركنن الى أمر تقلدنا والراقصات بنعمان به الحرقا

وجده صخر هو القائل للعباس يوم الفتح ان هذه ملوكية فقال العباس ويلك انها نبوة (٣) .

فابن ميسون عصارة تلك المنكرات ، فمتى كان يصلح لشيء من

---

(١) الفتاوى الحديثية ص ١٩٣ .
(٢) تذكرة الخواص ص ١١٥ ايران .
(٣) ابن الأثير ج ٢ ص ٩٣ والطبرى ج ٣ ص ١١٧ .

الملك فضلا عن الخلافة الآلهية وفي الامة ريحانة الرسول وسيد شباب اهل الجنة أبوه من قام الدين بجهاده وامه سيدة نساء العالمين ، وهو الخامس لأصحاب الكساء وعديل الكتاب المجيد فى (حديث الثقلين) يتفجر العلم من جوانبه ويزدهي الخلق العظيم معه أينما يتوجه وعبق النبوة بين اعطافه وألق الامامة فى أسارير وجهه والى هذا يشير عليه السلام لما عرض الوليد عليه البيعة فقال :

« أيها الأمير انا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله » (١) .

وبعد هذا فلنسأل هذا المتحذلق عن قوله : « خرج الحسين بعد انعقاد البيعة ليزيد » متى انعقدت هاتيك البيعة الغاشمة ومتى اجتمع عليها اهل الحل والعقد ، أيوم كان يأخذها أبوه تحت بوارق الارهاب أم يوم اسعاف الصلاة لرواد الشره رضيخة يتلمظون بها (٢) أم يوم عرضها عمال يزيد على الناس فتسلل عنها ابن الرسول ومعه الهاشميون وفرّ ابن الزبير الى مكة وتخفى عنها عبدالله بن عمر فى بيته ؟ (٣) وكان عبد الرحمن بن ابي بكر يجاهر بانها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مكانه (٤) . ولما أبى بيعة يزيد أرسل اليه مائة الف درهم يستعطفه بها ، فردها وقال لا أبيع

---

(١) اللهوف لإبن طاوس .

(٢) طبرى ج ٦ ص ١٣٥ ، وابن خلكان بترجمة الأحنف .

(٣) طبرى ج ٦ ص ١٧٠ .

(٤) ابن الأثير ج ٣ ص ١٩٩ .

ديني بدنياي (١) .

وكان زياد من المنكرين لها ، فانه قال لعبيد بن كعب النمري : أن معاوية كتب إليّ في البيعة ليزيد وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ، ان يزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد فالق أمير المؤمنين مؤديا عني وأخبره عن فعلات يزيد وتهاونه بالدين (٢) .

كما ان الاحنف بن قيس انكر عليه وعرفه الخطأ فيما قصده من البيعة لابنه يزيد وتقديمه على الحسن والحسين مع ما هما عليه من الفضل والى من ينتميان ثم ذكره بالشروط التي اعطاها الحسن وكان فيها ان لا يقـدم عليه أحداً ، وان اهل العراق لم يبغضوا الحسنين منذ أحبوهما والقلوب التي أبغضوه بها بين جوانحهم (٣) .

وفيما قال له السبط الشهيد « لقد فهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسة امـة محمد تريد أن توهم على الناس كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائباً أو تخبر عما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة والحمام السبق والقينات ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده ناصراً ودع ما تحاول فما اغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما انت لاقيه فوالله ما برحت تقدم باطلا فى جور وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة

---

(١) تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ٢٩٤ .

(٢) طبرى ج ٦ ص ١٦٩ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤١ .

فتقدم على عمل محنوط فى يوم مشهود ولات حين مناص » (١) .

ولم تجد هذه النصيحة نفعاً من ابن الرسول في دحض الباطل بعد أن كانت بوارق الارهاب وبواعث الطمع فى وفر معاوية أتيا على صولة الحق فسدا طريقها .

لكن معاوية بدهائه المعلوم لم يرقه أن يمس الحسين سوء خشية الفتنه وانتكاث الأمر لما يعلمه أن (أبي الضيم) لا يتنازل الى الدنية الى آخر نفس يلفظه ، وان شيعته يومئذ غيرهم بالأمس على عهد أخيه الامام المجتبى فانهم ما زالوا يتذمرون من عمال معاوية للتنكيل الذريع بهم حتى بلغ الحال ان الرجل منهم يستهين أن يقال له زنديق ولا يقال له (ترابي) .

وكم مرة واجهوا الامام المجتبي (ع) بكلام أمر من الحنظل مع اعترافهم له بالامامة واذعانهم بأن ما صدر منه عن صلاح إلهي وأمر ربوبي وحتى انهم استنهضوا الحسين غير مرة فلم ينهض معهم رعاية للميثاق وارجاء الأمر الى وقته المعلوم لديه من جده وأبيه الوصي .

فمعاوية يعلم أنه لو اصيب الحسين بسوء والحالة هذه تلتف الشيعة حوله فيستحفل الخطب بينه وبين معاوية .

وللعلة هذه بعينها أوصى ولده يزيد بالمسالمة مع الحسين ان استبد بالأمر مهما يجد من أبي الضيم مخاشنة وشدة فقال له : « إن أهل العراق لن يدعوا الحسين حتى يخرجوه فان خرج عليك وظفرت به فاصفح عنه فان له رحماً ماسة وحقاً عظيما » (٢) .

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٤ .

(٢) طبرى ج ٦ ص ١٧٩ .

لكن (يزيد الجهل) لغروره المردي لم يكترث بتلك الوصية فتعاورت عليه بوادره وانتكث قتله ولئن سر (يزيد الخزاية) الفتح العاجل فقد أعقب فشلا قريباً وكاشفه الناس بالسباب المقذع وأكثروا اللائمة عليه حتى ممن لم ينتحل (دين الاسلام) .

وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في المجلس حين شاهد الرأس الأزهر بين يديه يقرعه بالعود أحدث هزة في المجلس وعرف يزيد انه لم تجد فيهم التمويهات وكيف تجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدس لما أمر يزيد بقتل ذلك الرسول « لا حول ولا قوة إلا بالله » (١) .

وأي أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين رأساً مفصولا عن الجسد ينطق بالكلام الفصيح وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم أسرار الله أو يطفأ نوره الأقدس ؟ . . . كلا .

ولقد فشا الانكار عليه من حريمه وحامته حتى أن زوجته هند بنت عمرو بن سهيل وكانت تحت عبدالله بن عامر بن كريز أجبره معاوية على طلاقها لرغبة يزيد فيها (٢) فانها لما أبصرت الرأس المطهر مصلوبا على باب

---

(١) مقتل العوالم ص ١٥٠ .

(٢) مقتل الخوارزمی ج ١ ص ١٥٠ نجف ووافقه على أنها بنت عمرو ابن سهيل بن حبيب النسابة فی المحبر ص ٤٥٠ وفيه أنها كانت عند عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن العيص ، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز ولكن ابن جرير فی التاريخ ج ٦ ص ١٦٧ يذهب الى انها بنت عبدالله ابن عامر بن كريز وبهذا أراد تبعيد المسافة التی سلكها الخوارزمی من اجبار معاوية إياه على الطلاق .

دارها والأنوار النبوية تتصاعد الى عنان السماء وشاهدت الدم يتقاطر طريا ويشم منه رائحة طيبة (١) عظم مصابه في قلبها فلم تمالك دون أن دخلت عليه في مجلسه مهتوكة الحجاب وهي تصيح : رأس ابن بنت رسول الله مصلوب على دارنا ، فقام اليها وغطاها وقال لها : أعولي على الحسين فانه صريخة بني هاشم ، عجل عليه ابن زياد (٢) .

قصداً منه تعمية الأمر وتبعيد السبة عنه بالقاء الجريمة على العامل لكن الثابت لا يزول وهذا هو السر في إنشائه الكتاب الصغير الذي وصفه المؤرخون بأنه (اذن فارة) أرفقه مع كتابه الكبير الى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بأخذ البيعة من اهلها عامة وفي هذا الكتاب الصغير الزام الحسين بها وإن أبى فأضرب عنقه وابعث إلي برأسه .

وليس الغرض من هذا إلا أن يزيد لما كان عالماً بأن بيعته لم يتفق عليها صلحاء الوقت وأشراف الامة وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية إنما هو بالوعيد والتهديد .

أراد أن يخلي رسمياته عن الأمر بقتل الحسين بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطأوه تدرع بنسبة القتل الى العامل فان كتابه الذي يأمره فيه بأخذ البيعة من أهل المدينة عامة خالياً من هذه الجرأة فيكون له المجال فى القاء التبعة بذلك على عاتق العامل كما انه فى الوقت تدرع بهذا العذر وانطلى على بعض المؤرخين وهل ينفعه هذا ؟ . . . لا .

لبسوا بما صنعوا ثياب خزاية سوداً تولى صبغهن العار

---

(١) الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٤ .

(٢) طبرى ج ٦ ص ٢٦٧ .

الانبياء مع الحسين

لقد كان حديث مقتل الحسين من أسرار الخليقة وودائع النبوات فكان هذا النبؤ العظيم مالكة أفواه النبيين دائراً بين أشداق الوصيين وحملة الأسرار ليعرفهم المولى سبحانه عظمة هذا الناهض الكريم ومنته على الجميع بحفظ الشريعة الخاتمة التي جاؤوا لتمهيد أمرها وتوطيد الطريق اليها وتمرين النفوس لها فيثيبهم بحزنهم واستيائهم لتلك الفاجعة المؤلمة فبكاه آدم والخليل وموسى ولعن عيسى قاتله وأمر بني اسرائيل بلعنه وقال: من أدرك أيامه فليقاتل معه فانه كالشهيد مع الأنبياء مقبلا غير مدبر وكأني أنظر الى بقعته ، وما من نبي إلا وزارها وقال انك لبقعة كثير الخير ، فيك يدفن القمر الزاهر (١) .

وشاء اسماعيل صادق الوعد الأسوة به لما أنبأ بشهادته فيكون الآخذ بثأره الامام المنتظر عجل الله فرجه (٢) .

واختار يحيي أن يطاف برأسه ... وله التأسي بالحسين يكون

وحديث مقتل الحسين أبكى الرسول الاقدس وأشجاه (٣) وهو حي .

---

(١) كامل الزيارات - ص ٦٧ .

(٢) كامل الزيارات - ص ٦٥ .

(٣) خصائص السيوطى ج ٢ ص ١٢٥ من حديث ام الفضل وأنس ورواه الماوردي فى أعلام النبوة ص ٨٣ من حديث عائشة قالت وكان —

فكيف به لو رآه صريعاً بكربلا في عصابة من آله كأنهم مصابيح الدجى وقد حلووه ومن معه عن الورد المباح لعامة الحيوانات .

نعم شهد نبي الرحمة فلذة كبده بتلك الحالة التي تتفطر لها السماوات ورأى ذلك الجمع المغمور بالأضاليل متألباً على استئصال آله من جديد الأرض فشاهده بعض من حضر ينظر الجمع مرة والسماء أخرى مسلماً للقضاء (١) .

ولما مر أمير المؤمنين بكربلا في مسيره الى صفين نزل فيها وأومأ بيده الى موضع منها وقال : ههنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم ، ثم أشار الى موضع آخر وقال : ههنا مهراق دمائهم ثقل لآل محمد ينزل ههنا ، ثم قال : واها لك يا تربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب (٢) وأرسل عبرته وبكى من معه لبكائه وأعلم الخواص من صحبه بأن ولده الحسين يقتل ههنا في عصابة من أهل بيته وصحبه هم سادة الشهداء لا يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق (٣) .

— فى المجلس علي وابو بكر وعمر وحذيفة وعمار وابوذر ورواه ابن حجر فى مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٨ عن عائشة .

(١) كامل الزيارات .

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم من ص ١٥٧ الى ١٥٩ .

(٣) كامل الزيارات ص ٢١٩ و ٢٧٠ .

الاقدام على القتل

تمهيد

من الضروري احتياج المجتمع البشري الى مصلح يسد خلته ويسدد زلته ويكمل اعوازه ويقوم إوده لتوفر دواعي الفساد فيه ، فلو لم يكن فى الامة من يكبح جماع النفوس الشريرة للعبت الاهواء بهم وفرقتهم أيدي سبا وبات حميم لا يأمن حميمه ، وأصبحت أفراد البشر ضحايا المطامع .

وهـذا المصلح يختاره المولى سبحانه من بين عباده لأنه العارف بطهارة النفوس ونزاهتها عما لا يرضى رب العالمين ، ويكون الواجب عصمته مما فى العباد من الرذائل والسجايا الذميمة حتى لا يشاركهم فيها ، فيزداد الطين بلة ويفوته التعريف والارشاد الى مناهج الاصلاح ومساقط الهلكة ، وقد برأ الله ذات النبي الأعظم (ص) من نور قدسه وحباه بأكمل الصفات الحميدة حتى بذ العالم وفاق من فى الوجود فكان محلا للتجليات الآلهيـة وممنوحاً بالوحي العزيز ، وان اليراع ليقف متردداً عن تحديد تلك الشخصية الفذة التي أنبأ عنها النبي (ص) بقوله لأمير المؤمنين (ع) : لا يعرفني إلا الله وأنت (١) .

---

(١) فى المختصر للحسن بن سليمان الحلي من تلامذة الشهيد الأول كان حياً سنة ٨٠٢ هـ ص ١٦٥ ومختصر البصائر له ص ١٢٥ قال رسول الله «ص» : يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت ولا عرفني إلا الله وأنت ولا عرفك إلا الله وأنا .

وحيث أن عمر النبي غير باق الى الأبد لأنه لم يخرج عما عليه الناس في مدة الأجل وجملة من تعاليمه لاتخلو من أن تكون كليات لم تأت أزمنة تطبيقها على الخارج . كان الواجب في شريعة الحق الداعية الى إصلاح الامة إقامة خليفة مقامه يحذو حذوه في نفسياته واخلاصه وعصمته ، لأن السرائر الكامنة بين الجوانح لا يعلمها إلا خالقها ولو أوكل معرفتها الى الامة لتعذر عليها التميز لعدم الاهتداء الى تلك المزايا الخاصة في الامام فتحصل الفوضى وينتشر الفساد ويعود النزاع والتخاصم وهو خلاف اللطف الواجب على المولى سبحانه « ربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة في الأمر » (١) « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً » (٢) .

فالخلافة منصب إلهي يقيض الله تعالى رجلا ينوء بأثقال النبوة فيبلغ الدعوة لمن لم تبلغه ويدعو الى تفاصيل الشريعة التي جاء بها المنقذ الاكبر فيرشد الجاهل وينبه الغافل ويؤدب المتعدي ويبين ما اجمله النبي صلى الله عليه وآله لضرب من المصلحة أو اهمله لعدم السعة في زمانه .

وقد دلت الآثار المتواترة على انحصار المتأهل للخلافة الكبرى بعد انقضاء أمد الرسالة في شخصية أمير المؤمنين ثم ابنه الحسن وبعده أخوه سيد الشهداء الحسين فابنه زين العابدين علي ثم ابنه الباقر محمد فابنه الصادق جعفر فابنه الكاظم موسى فابنه الرضا علي فابنه الجواد محمد فابنه الهادي علي فابنه الحسن العسكري ثم ابنه المنتظر ابو القاسم محمد عجل الله فرجه .

---

(١) القصص : ٦٨ . (٢) الأحزاب : ٣٦ .

كما أفاد المتواتر من الأحاديث بأن الله عز شأنه أودع فى الامام المنصوب حجة للعباد ومناراً يهتدى به الضالون ، قوة قدسية نورية يتمكن بواسطتها من استعلام الكائنات وما يقع فى الوجود من حوادث وملاحم فيقول الحديث الصحيح اذا ولد المولود منا رفع له عمود نور يرى به أعمال العباد ومايحدث في البلدان (١) .

والتعبير بذلك اشارة الى القوة القدسية المفاضة من ساحة (الحق) سبحانه ليستكشف بها جميع الحقائق على ما هي عليه من قول أو عمل أوغيرهما من أجزاء الكيان الملكي والملكوتي وبتلك القوة القدسية يرتفع سدول الجهل واستتار الغفلة فلا تدع لهم شيئاً إلا وهو حاضر بذاته عند ذواتهم القدسية ، كما أن النور يجلو ما أسدلته غياهب الظلمة فيجد المبصر ما حجبه الحلك الدامس نصب عينه وقد أنبأ ابو عبدالله الصادق (ع) عما حباهم به المولى جل شأنه من الوقوف على أمر الأولين والآخرين وما فى السماوات والأرضين وما كان ويكون حتى كأن الاشياء كلها حاضرة لديهم (٢) .

ثم يسجل التدليل عليه بقوله : كلما كان لرسول الله (ص) فلنا مثله إلا البنوة والأزواج (٣) .

ولا غلو فى ذلك بعد قابلية تلك الذوات المطهرة بنص الذكر الحميد : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (٤)

---

(١) بصائر الدرجات للصفار ص ١٢٨ ملحق بنفس الرحمن للنورى «قده» .

(٢) مختصر البصائر ص ١٠١ .

(٣) المختصر ص ٢٠ .

(٤) الأحزاب : ٣٣ .

لتحمل الفيض الأقدس وعـــدم الشح في (المبدأ الأعلى) تعالت الآؤه والمغالات في شخص عبارة عن اثبات صفة له إما أن يحيلها العقل أو لعدم القابلية لها والعقل لا يمنع الكرم الآلهي كيف والجليل عز لطفه يدر النعم على المتمادين في الطغيان المتمردين على قدس جلاله حتى كأن المنة لهم عليه فلم يمنعه ذلك من الرحمة بهم والاحسان اليهم والتفضل عليهم لا تنفد خزائنه ولا يفوته من طلبه وهذا من القضايا التي قياساتها معها واذا كان حال المهيمن سبحانه كما وصفناه مع أولئك الطغاة فكيف به عز وجل مع من اشتقهم من الحقيقة الأحمدية التي هي من (الشعاع الأقدس) جل شأنه فالتقى مبدأ فياض وذوات قابلة للافاضة ، فلا بدع في كل ما ورد في حقهم عليهم السلام من علم الغيب والوقوف على أعمال العباد وما يحدث في البلدان مما كان ويكون .

فالغيب المدعى فيهم عليهم السلام غير المختص بالباري تعالى ليستحيل في حقهم عليهم السلام فانه فيه تعالى شأنه ذاتي ، وأما في الأئمة فمجعول من الله سبحانه ، فبواسطة فيضه ولطفه كانوا يتمكنون من استعلام خواص الطبائع والحوادث .

فاذاً الغيب على قسمين : منه ما هو عين واجب الوجود بحيث لم يكن صادراً عن علة غير ذات فاطر السماوات والأرضين ومنه ما كان صادراً عن علة ومتوقفاً على وجود الفيض الآلهي وهو ما كان موجوداً في الأنبياء والأوصياء والى هذا الذي قررناه تنبه العلامة الألوسي المفسر فانه عند قوله تعالى : « قُل لا يعلم الغيب إلا الله » قال : لعل الحق أن يقال أن علم الغيب المنفي عن غيره جل وعلا هو ما كان للشخص بذاته أي بلا واسطة في ثبوته له وما وقع للخواص ليس من هذا العلم المنفي في شيء وإنما هو من

الواجب عز وجل افاضة منه عليهم بوجه من الوجوه فلا يقال انهم علموا الغيب بذلك المعنى فانه كفر بل يقال انهم أظهروا واطلعوا على الغيب (١) .

ويشهد له ما جاء عن أبي جعفر الجواد (ع) فانه لما أخبر أم الفضل بنت المأمون بما فاجأها مما يعتري النساء عند العادة قالت له : لا يعلم الغيب إلا الله ، قال عليه السلام : وأنا أعلمه من علم الله تعالى (٢) .

فالأئمة محتاجون في جميع الآنات الى الفضل الآلهي بحيث لو لادوام الاتصال وتتابع الفيوضات لنفد ما عندهم على حد تعبير الامام أبو عبدالله الصادق فانه قال لو لا أنا نزداد فى كل ليلة الجمعة لنفد ما عندنا (٣) ومراده التعريف بأن علمهم مجعول من الباري تعالى وأنهم في حاجة الى استمرار ذلك الفيض الأقدس وتتابع الرحمات السبحانية والتخصيص بليلة الجمعة من جهة بركتها بنزول الالطاف الربانيـة فيها من أول الليل الى آخره على العكس من سائر الليالي والى هذا يرجع قول الرضا (ع) : يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم (٤) .

وهل يشك من يقرأ في سورة الجن : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » ان من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى هو خاتم الأنبياء الرسول المرتضى لأنه لم يفضله أحد من الخلق

---

(١) روح المعانى ج ٢٠ ص ١١ .

(٢) البحار ج ١٢ ص ١٢٩ كمپنى عن مشارق الأنوار للبرسى .

(٣) اصول الكافى على هامش مرآة العقول ج ١ ص ١٨٥ .

(٤) مختصر البصائر ص ٦٣ .

وكان ابو جعفر يقول : كان والله محمداً ممن ارتضاه (١) ولم يبعد الله الخلفاء عن هذه المنزلة بعد اشتقاقهم من النور المحمدي ويشهد له جواب الرضا (ع) لعمرو بن هداب فانه لما نفي عن الأئمة عليهم السلام علم الغيب محتجاً بهذه الآية قال له : أن رسول الله هو المرتضى عند الله ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على غيبه ، فعلمنا ما كان ويكون الى يوم القيامة (٢) .

وكيف لا يكون حبيب الله هو ذلك الرسول المرتضى وقد شرفه الباري سبحانه بمخاطبته إياه بلا وسيط ملك ، يحدث زرارة أنه سأل أبا عبدالله (ع) عن الغشية التي كانت تأخذ رسول الله أهي عند الوحي قال عليه السلام : لا فانها تعتريه عند مخاطبته الله عز وجل إياه بلا واسطة احد وأما جبرئيل فانه لم يدخل عليه إلا مستأذناً فاذا دخل جلس بين يدي رسول الله (ص) جلسة العبد (٣) .

وعلى طبق هذه الأحاديث المعربة عن مقام الرسول الأعظم من المولى تعالت آلاؤه سجل الشيخ الصدوق اعتقاده في الوحي والغشية (٤) كما لم يتباعد عنه الشيخ المفيد فيقول : الوحي منه ما يسمعه النبي من غير

---

(١) البحار ج ١٥ ص ٧٤ .

(٢) البحار ج ١٢ ص ٢٢ باب وروده البصرة و ج ١٥ ص ٧٤ عن الخرايج .

(٣) توحيد الصدوق ص ١٠٢ باب نفى الرؤية وعلم اليقين للفيض ٨٦ .

(٤) كتاب الإعتقادات ملحق بباب الحادى عشر للعلامة .

واسطة ومنه ما يسمعه بواسطة الملائكة (١) واقتص أثره الحجة الشيخ محمد تقي الاصفهاني المعروف بآقا نجفي مع زيادة علم النبي (ص) بالقرآن وبما حواه من المعارف والفنون وما اشتمل عليه من أسرار الطبائع وخواص الأشياء قبل أن يوحى به اليه غاية الأمر عرّفه المولى جل شأنه بأن لا يفيض هذا العلم قبل أن يوحى به اليه، فقال سبحانه: «فلا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه» (٢).

فظهر أن علم النبي (ص) بالحوادث الكائنة والتي كانت وتكون لم يتوقف على نزول جبرئيل عليه لأن المنحة الآلهية المباركة أوقفته على جميع الحقائق قبل خلق جبرئيل.

ومن هنا تتجلى ظاهرة أخرى لم يدركها من لم يفقه ما تحلت به هذه الشخصيات من مراتب الجلال والجمال وهي معرفة الرسول الأعظم بالقراءة والكتابة على اختلاف أنحاء اللغات وتباين الخطوط قبل البعثة وبعدها لبلوغه أسمى درجات الكمال فلا تفوته هذه الصفة مع أن اللازم من عدم معرفته بها رجوعه الى الغير فيما يحتاج اليه من كتابة وقراءة فيكون مفضولا بالنسبة اليه مع أنه الفاضل في المحامد كلها، وبهذا الذي قلناه أذعن المحققون من الأعلام (٣).

---

(١) شرح اعتقادات الصدوق ص ٢١١ ملحق بالمقالات طبع طهران.

(٢) العنايات الرضوية ص ٥١.

(٣) نص عليه الشيخ المفيد فى المقالات ص ١٢٣ والشيخ الطوسى فى التبيان ج ٢ ص ٤١٣ والمبسوط وهو ظاهر الشهيد الأول فى غاية المراد والعلامة فى التحرير والقواعد والسيد المجاهد فى المناهل وصرح به ابن —

والمتحصل مما قررناه ان الله عز وجل منح الأئمة من ذرية الرسول جميع ما حبا به جدهم الأقدس من المآثر والفضائل عدى النبوة والأزواج وبهـذا يحدث أبو عبدالله (ع) كلما كان لرسول الله فلنا مثله إلا النبوة والازواج (١)، لأنه صلوات الله عليه وعلى آله خاتم الأنبياء وقد اختص فى التزويج دائماً بأكثر من أربعة.

ومن لم يعرف المراد من علم الغيب المدعي لهؤلاء الأفذاذ استعظمه فأنكره، وحكم من لا يفقه الشرع والشريعة بكفر معتقده يحدث شيخ زاده الحنفي: أن قاسم الصفار أفتى بكفر من تزوج على شهادة الله تعالى ورسوله (ص) مدعياً بأنه يقتضى اعتقاده في علم النبي بالغيب، ولـكن صاحب التتارخانية نفى الـكفر عنـه لأن بعض الأشياء تعرض على روح

— شهراشوب فى المناقب ج ١ ص ١٦١ والمجلسى فى مرآة العقول ج ١ ص ١٤٧ والسيد فى الرياض والفاضل الهندى فى كشف اللثام والمقداد فى التنقيح والحاج ملا علي الـكنى فى القضاء. وعبارة السرائر مشعرة بدعوى الإجماع عليه تعرضوا لذلك فى مسألة كتابة القاضى من كتاب القضاء.

وبه صرح الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا ج ٢ ص ٣٩٩ فى فصل أسمائه من الباب الثالث وفى ص ٥١٤ فصل اعجازه وفى روح المعانى للآلوسى ج ٢١ ص ٤ عند قوله: «ولا تخطه بيمينك» ذكر جماعة قالوا بمعرفتـه الـكتابة ثم نقل عن صحيح البخارى انه «ص» كتب عهد الصلح وحمل الأستاذ عبد العظيم الزرقانى فى مناهل العرفان ص ٣٦٠ ط أول الأخبار النافية على أوليات أمره والمثبتة للـكتابة على أخريات أمره.

(١) المختصر ص ٢٠.

النبي (ص) الطاهرة فيعرف بعض الغيب وقد قال الله تعالى : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول (١) ، وكلاهما لم يفقها معنى الغيب المراد اثباته ولا أدركا كنه خاتم الأنبياء (ص) فقالا بما شاء لهما ادراكها .

وبعد ان اوضحنا المراد منه لم يبق للقارىء النابه مجال الترديد والتشكيك نعم لا ينكر أن للباري سبحانه علماً استأثر به خاصة ولم يطلع عليه أحداً ومنه العلم بالساعة .

وأما ما ورد عنهم عليهم السلام من نفي علمهم بالغيب كقول أبي عبدالله : يا عجباً لأقوام يزعمون إنا نعلم الغيب ما يعلم الغيب إلا الله ، لقد هممت بضرب جاريتي فهربت مني ما علمت في أي بيوت الدار (٢) فمحمول على التقية لحضور المجلس داود الرقي ويحيى البزاز وأبو بصير ، ولم يكن لهم قابلية تحمل غامض علم اهل البيت ، فأراد أبو عبدالله بنفي علم الغيب عنهم تثبيت عقيدة هؤلاء ويؤيده أن سدير الراوي لهذا الحديث دخل عليه في وقت آخر وذكر له استغراب ما سمعه منه من نفي العلم بالغيب ، فطمنه بأنه يعلم ما هو أرقى من ذلك وهو العلم بالكتاب كله وما حواه من فنون المعارف وأسرارها على أن هذا الحديث لم يعبأ به المجلسي في مرآة العقول لجهالة رواته .

ويحتمل ان يريد بنفي العلم بمكان الجارية الرؤية البصرية لا

---

(١) مجمع الأنهر ج ١ ص ٣٢٠ في الفقه الحنفي .

(٢) بصائر الدرجات ص ٥٧ و ٦٢ وأصول الكافي على هامش مرآة العقول ج ١ ص ١٨٦ .

الانكشاف الواقعي فقوله : (ما علمت) اي ما رأيتها بعيني في اي بيت دخلت والا فمن يقول في صفة علمه : لم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني لا يخفى عليه أمر الجارية ، ولما طرق الباب (مبشر) على الباقر وخرجت الجارية تفتحه قبض على كفها فصاح به أبو جعفر (ع) من داخل الدار : ادخل لا أباً لك فيدخل مبشر معتذراً بأنه لم يرد السوء وإنما أراد الازدياد قال له : لو كانت الجدران تحجبنا كما تحجبكم لكنا وانتم سواء (١) ثم لمحمد بن مسلم لو لم نعلم ما أنتم فيه وعليه ما كان لنا على الناس فضل ثم استدل عليه بما وقع في الربذة بينه وبين زميله في أمر الامامة (٢) .

وأما الحكاية عن النبي (ص) : لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، فلا يفيد إلا كونه مفتقراً الى الله تعالى فى التعليم وانه لم يكن عالماً بالغيب من تلقاء نفسه ، وهذا لا ريب فيه فان المعتقد ان الله تعالى هو المتلطف على النبي وابنائه عليهم السلام بالملكة القدسية التى تمكنوا بواسطتها من استكشاف ما فى الكون .

وسؤال الصادق عن وجود العين عليهم يوم كان في الحجر ومعه أصحابه فعرفوه بعدم العين فقال ورب هذه البينة ثلاثاً لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما اني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في ايديهما انهما أعطيا علم ما كان وأعطينا علم ما كان ويكون وما هو كائن الى أن تقوم الساعة

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٧٤ والبحار ج ١١ ص ٧٠ عن أبى الصباح الكناني .

(٢) البحار ج ١١ ص ٧٢ عن الخرايج .

وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله (١) .

فبعد تسليم صحة الحديث وعدم ضعف ابراهيم بن اسحاق الأحمر نقول بعدم منافاته لعلمه الواسع لما ورد عنهم أنهم غير مكلفين باظهار ما يعلمونه بل لابد من العمل بما توجبه التقية ظاهراً أو لأنه كان يراعي حال بعض أصحابه فى ظنه وجود العين عليهم ، وهذا نظير قوله الآخر : اني أعلم مافي السماوات والأرضين وأعلم ما فى الجنة والنار وأعلم ما كان ويكون فلما رأى عظم ذلك وخاف على من عنده قال (ع) : اني علمت ذلك من كتاب الله إن الله تعالى يقول فيه تبيان كل شيء (٢) .

فالامام راعى حال اصحابه فاستدل لهم بما يقنعهم وهكذا الأئمة فيما يعلمونه من المصالح الوقتية والأحوال الشخصية وقوله (ع) فى حق موسى وخضر : إنهما أعطيا علم ما كان لا ينافى علم الخضر بمستقبل أمر الغلام فانه من القضايا الشخصية التى اطلعه الله عليها لمصلحة وقتية .

وأما ما ورد عنهم عليهم السلام ان الامام اذا أراد أن يعلم شيئاً أعلمه الله (٣) فليس فيه دلالة على تحديد علمهم فى وقت خاص بل الحديث يدل على أن أعمال تلك القوة القدسية الثابتة لديهم عند الولادة موقوف على ارادتهم المتوقفة على وجود المصلحة فى ابراز الحقائق المستورة واظهار ما عندهم من مكنون العلم على أن هذا المضمون ورد فى أحاديث ثلاثة ردها المجلسي فى مرآة العقول بضعف بعضها وجهالة الآخرين .

---

(١) أصول الكافى على هامش مرآة العقول ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٧ .

فالمتحصل من جميع ما ذكرناه ان الله تعالى أفاض على خلفائه الاطهار ملكة نورية تمكنوا بواسطتها من استعلام ما يقع من الحوادث وما فى الكائنات من خواص الطبائع وأسرار الموجودات وما يحدث في الكون من خير وشر ولا غلو فيه بعد قابلية ذواتهم لهذا الفيض الأقدس وعدم الشح في عطاء الرب سبحانه فانه يهب مايشاء لمن يشاء وصارح الأئمة عليهم السلام بهذه الحبوة الآلهية وأنهم في جميع الآنات محتاجون الى تتابع الآلاء منه جل شأنه ، ولو لاها لنفد ما عندهم من مواد العلم وهذا غير بعيد فيمن تجرد لطاعة الله تعالى وعجنت طينته بماء النزاهة من الأولياء والصديقين فضلا عمن قيضهم الباري تعالى أمناء شرعه وقد صادق على ذلك المحققون من الأعلام كما حكاه الشيخ المفيد في المقالات ص ٨٠ والمجلسي فى مرآة العقول ج ١ ص ١٨٧ ، ومشى على ضوئهم المحقق الآشتياني فى حاشيته على رسائل الشيخ الأنصاري ج ٢ ص ٦٠ .

وقال ابن حجر الهيثمي : لا منافات بين قوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السماوات والأرض إلا الله » وقوله : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » وبين علم الأنبياء والأولياء بجزئيات من الغيب فان علمهم إنما هو باعلام من الله تعالى ، وهذا غير علمه الذي تفرد به تعالى شأنه من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغيير وهذا العلم الذاتي هو الذي تمدح به وأخبر في الآيتين بأنه لا يشاركه أحد فيه وأما من سواه فانما يعلم بجزئيات الغيب فباعلامه تعالى واعلام الله للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكن لا يستلزم محالاً بوجه ، فانكار وقوعه عناد ومن البداهة أنه لا يؤدي الى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذي تمدح به

واتصف به من الأزل وعلى هذا مشى النووي في فتاواه (١) .

فاتضح بهذا البيان أن ابن حجر لم يتباعد عن علم الأولياء بالغيب وإنما لم يوافق الشيعة على ما يعتقدونه في أئمتهم من اهل البيت عليهم السلام من قدرتهم على العلم بالحوادث الكائنة والتي تكون الى يوم القيامة لاعتقاده أن هذه السعة مختصة بالباري جل شأنه ولكن الملاك الذي قرره لمعرفة الأولياء ببعض الغيب وهو تمكين المولى سبحانه لهم من الوقوف على الغيب يفيد ما تعتقده الشيعة ، فان الميزان للوقوف على المغيبات اذا كان بأقدار الله تعالى وجعله الملكة النوريه في هذه الذوات الخاصة من آل الرسول ، فمن الممكن أن تكون تلك القوة بالغة أقصى مداها فلا يتوقف من افيضت عليه عن جميع المغيبات حتى كأن الأشياء كلها حاضرة لديه على حد تعبير الامام الصادق (ع) اللهم إلا الأشياء التي استأثر بها الله تعالى وحده ، فلا وقوف لأحد عليها مهما ترقى الى فوق ذروة الكمال .

وعلى هذا الذي قرره ابن حجر سجل اعتقاده النيسابوري صاحب التفسير فقال : ان امتناع الكرامة من الأولياء إما لأن الله ليس أهلاً لأن يعطي المؤمن ما يريد ، وإما لأن المؤمن ليس أهلا لذلك وكل منهما بعيد فان توفيق المؤمن لمعرفته لمن اشرف المواهب منه تعالى لعبده ، فاذا لم يبخل الفياض بالأشرف فلأن لا يبخل بالأدون أولى (٢) .

---

(١) الفتاوى الحديثة ص ٢٢٢ .

(٢) النور السافر فى أعيان القرن العاشر ص ٨٥ لعبدالقادر العيدروسى .

آية التهلكة

مما قررناه تجلى لنا أنه لم يعزب عن الأئمة عليهم السلام العلم بالشهادة على يد من تكون وفي أي وقت تقع وفي أي شيء اقداراً من الله تعالى لهم بما أودعه فيهم من مواد العلم التي بها استكشفوا الحوادث مضافا الى ما يقرأونه في الصحيفة النازلة من السماء على جدهم المنقذ الاكبر (ص).

وليس في اقدامهم على الشهادة اعانة على ازهاق نفوسهم القدسية وإلقائها فى التهلكة الممنوع منه بنص الذكر المجيد، فان الابقاء على النفس والحذر عن إيرادها مورد الهلكة إنما يجب اذا كان مقدوراً لصاحبها أو لم يقابل بمصلحة أهمّ من حفظها، وأما اذا وجدت هنالك مصلحة تكافىء تعريض النفس للهلاك كما فى الجهاد والدفاع عن النفس مع العلم بتسرب القتل الى شرذمة من المجاهدين وقد أمر الله الأنبياء والمرسلين والمؤمنين فمشوا اليه قدماً موطنين أنفسهم على القتل وكم فيهم سعداء وكم من نبي قتل في سبيل دعوته ولم يبارح قوله دعوته حتى ازهقت نفسه الطاهرة وقد تعبد الله طائفة من بني اسرائيل بقتل أنفسهم فقال جل شأنه: « فتوبوا الى بارئكم واقتلوا أنفسكم » (١)

---

(١) ذكر المفسرون أن عبدة العجل من بنى إسرائيل لما ندموا على ما فرطوا فى جنب الله تعالى أعلمهم موسى (ع) بما أوحى اليه من توقف قبول توبتهم على الإغتسال ولبس الأكفان والقيام صفين ثم يهجم عليهم —

على أن الاقتصار على ما يقتضية السياق يخرج الآية عما نحن فيه من ورودها للتحذير عما فيه الهلكة فانها عقبت آية الاعتداء في الأشهر الحرم على المسلمين قال الله تعالى « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا إن الله يحب المحسنين »

فيكون النهي عن الالقاء فى التهلكة خاص بما اذا اعتدى المشركون على المسلمين في الأشهر الحرم ولم تكن للمسلمين قوة على مقاتلتهم والالتزام بعموم النهي لكل ما فيه هلكة لا يجعل حرمة ايراد النفس مورد الهلكة من المستقلات العقلية التي لا تقبل التخصيص بل هي من الاحكام المختصة بما اذا لم توجد مصلحة أقوى من مفسدة الاقدام على التلف ومع وجود المصلحة اللازمة لايتأتى الحكم بالحرمة أصلا كما في الدفاع عن بيضة الاسلام.

وقد أثنى سبحانه وتعالى على المؤمنين فى اقدامهم على القتل والمجاهدة في سبيل تأييد الدعوة الالهية فقال تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

-- هارون ومعه من لم يعبد العجل ويضعون السيوف فيهم ولما نظر الرجل الى ولده وأخيه وأبيه وحميمه لم تطاوعه نفسه على القتل وكلموا موسى (ع) فى ذلك وناجى ربه سبحانه في ذلك فعرفه المولى تعالى بأنه سيرسل ظلمة لا يبصر الرجل جليسه وأمر عبدة العجل بالجلوس فى فناء بيوتهم محتبين لا يتقون بيد ولا رجل ولا يرفعون طرفا ولا يحلون حبوة وعلامة الرضا عنهم كشف الظلمة وسقوط السيوف فعندها يغفر الله لمن قتل ويقبل توبة من بقي ففعل هارون بهم حتى قتل سبعون الفاً.

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » وقال تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمو تاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » وقال تعالى « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله » .

وبمثل هذا صارح الرسول (ص) في تعاليمه الثمينة لامته فقال (ص) أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان جائر فقتله (١)

ولم يتباعد عن هذه التعاليم محمد بن الحسن الشيبانى فينفى البأس عن رجل يحمل على الألف مع النجاة أو النكاية ثم قال ولا بأس بمن يفقد النجاة أو النكاية اذا كان اقدامه على الالف مما يرهب العدو ويقلق الجيش معللا بأن هذا الاقدام أفضل من النكاية لأن فيه منفعة للمسلمين (٢)

ويقول ابن العربي المالكي جوز بعض العلماء أن يحمل الرجل على الجيش العظيم طالباً للشهادة ولا يكون هذا من الالقاء بالتهلكة لأن الله تعالى يقول « من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » خصوصاً اذا أوجب الاقدام تأكد عزم المسلمين حين يروا واحداً منهم قابل الالوف (٣)

لقد اختص الله سبحانه امناء شرعه والخلفاء على الامة من أبناء نبيه الكريم بأحكام ناشئة عن مصالح خاصة بهم لا تدرك أكثرها أحلام البشر وتنحسر عن كنهها العقول وفي جملتها الزامهم بالتضحية في سبيل مرضاته

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٣٠٩ فى آية التهلكة .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الأحكام لابن العربى ج ١ ص ٤٩ آية التهلكة .

عز وجل وبذل كلما يحوونه من مال وجاه وحرمات فتراهم في أعماق السجون طوراً وفي خلل المنفى تارة وفي ربقة التسفير آونة وفي مقاساة الخوف والشدائد ردحاً والاصاخة الى قوارص الكلم اويقات حتى شارفوا منايا هم والمسوغ لهم في كل ذلك ما علموه من جدهم الأعظم (ص) المخبر عن وحي السماء من المزايا والمصالح التي تتحفظ بها الجامعة الاسلامية بحيث لولا التوطين على هذا الاقدام لذهب الدين أدراج المنكرات والأضاليل ولا سبيل الى معارضتهم فيما اطلعهم الله عليه من السر المكنون وعرفهم تلك الأهمية الملحوظة لديه عز شأنه على اختلاف فيهم فمنهم من أمره بالصبر دون الحرب والجهاد ومنهم من أمره بالقتل ومنهم من أمره بتناول السموم وكان السر في هذا الاختلاف في التكليف ما يراه المولى سبحانه من المصالح حسب الوقت والزمان .

فلم يكن اقدامهم على القتل وتناول السموم جهلا منهم بما صنعه سلطان الجور وقدمه اليهم بل هم على يقين من ذلك فلم يفتهم العلم بالقاتل وما يقتلون به واليوم والساعة طاعة منهم لأمر بائهم تعالى وانقياداً للحكم الالهي الخاص بهم وليسوا في هذا الحال إلا كحالهم في امتثال جميع أوامر المولى سبحانه الموجهة اليهم من واجبات ومستحبات والعقل حاكم بلزوم انقياد العبيد لأمر المولى والانزجار عن نهيه من دون الزام بمعرفة المصلحة أو المفسدة الباعثة على الحكم وأما اذا كان المولى حكيما في أفعاله « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » فبالأحرى يكون الخضوع له من دون فحص عن أسباب أحكامه .

والى هذا الذي ارتأيناه نظر المحققون من العلماء الأعلام وإن خبط الباحثون في قضية اقدام أهل البيت (ع) على ما فيه إزهاق نفوسهم المقدسة فأخذوا ذات اليمين والشمال فلم يأتوا بما فيه نجعة المرتاد ولا نهلة الصادي لكونها تخيلات لا تتفق مع القواعد والطريقة المثلى.

لقد دلت الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة (ع) على أنهم اذا عرفوا من أعدائهم العزم على الفتك بهم أو اشتد عليهم ألم القيود ووضح لديهم تأخر القضاء عملوا كل وسيلة من دعاء غير مردود أو شكوى الى جدهم النبي (ص) ليدفع عنهم هذه الاضرار والحوادث فيقول أبو جعفر الباقر عليه السلام نحن أهل بيت اذا أكربنا أمر وتخوفنا من شر السلطان قلنا يا كائناً قبل كل شيء ويا ملكوت كل شيء صل على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا (١).

ولما احتدم المنصور على أبي عبدالله الصادق «ع» وعزم على الفتك به دعا ربه تعالى أن يفرج عنه فانجلت بسببه غمائم الفتك به حتى اذا وقع نظره على الصادق «ع» قام اليه فرحاً مستبشراً وعانقه وكان يحدث بعد ذلك عن سبب نقض عزمه أن رسول الله «ص» تمثل له باسطاً كفيه حاسراً عن ذراعيه وقد عبس وقطب حتى حال بينه وبين الامام مشيراً اليه أن لو أساء الى أبي عبدالله «ع» أهلكه فلم ير المنصور بداً من العفو والاكبار لجلال الامامة وسيره الى مدينة جده مبجلا (٢).

---

(١) مهج الدعوات للسيد رضي الدين بن طاووس ص ٢٦٥ طبع بمبي.
(٢) مهج الدعوات ص ٢٩٩

ولما طال الحبس بموسى بن جعفر « ع » وضاق صدره مما كان يلاقيه توسل الى الله تعالى فى الخلاص منه وقال في دعائه : يا مخلص الشجر من بين رمل وماء ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء خلصني من يد هارون (١) فنجا ببركة هذا الدعاء من ظلمات الحبس وألم القيود .

ولما قدم اليه الرشيد الرطب المسموم انتقى غير المسموم فأكله والقى المسموم الى كلبة الرشيد فماتت (٢) ولم يقصد بقتلها إلا إعلام الطاغية بأن مما يدور في خلده من اغتياله والفتك به في هذا الحين لم يقرب وقته ولذا لما دنا الأجل ودعاه الله تعالى اليه أكل الرطب المسموم الذي قدمه اليه الرشيد مع العلم به ورفع يديه بالدعاء قائلا : يا رب إنك تعلم أني لو أكلت قبل اليوم لكنت قد أعنت على نفسي فأكل منه وجرى القضاء (٣)

وعلى هذا الأساس يأمر الامام أبو الحسن علي الهادي « ع » أبا هاشم الجعفري أن يبعث رجلا الى « الحائر » الأطهر يدعو له بالشفاء مما نزل به من المرض وعلله بأن الله تعالى أحب أن يدعا فى هذا المكان (٤) فان غرضه التعريف بأنه لم يجب في شريعة التكوين إلا جري الامور

---

(١) أمالي الصدوق ص ٢٢٧ مجلس ٦٠

(٢) عيون أخبار الرضا ص ٥٧

(٣) مرآة العقول ج ١ ص ١٨٨ وروضة الواعظين ص ١٨٥

(٤) كامل الزيارات لابن قولويه ص ٢٩١

على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعة أو إنه أراد التنبيه على فوائد الابتهال الى الله حينما تتوارد الكوارث على العبد وتحيط به المحن كما يرشد اليه احتفاظ الربيع مولى المنصوروالد وانيتي بالكنز المذخور الذي دعا به الامام الصادق « ع » يوم دخل على المنصور وقد سخط عليه وأراد التنكيل به فشاهد الربيع احتفاء المنصور بالامام وتكريمه (١).

وعلى هذا كان الامام المجتبى الحسن بن أمير المؤمنين « ع » يستشفى بتربة جده تارة ويعمل بقول الطبيب اخرى ويأخذ بقول أهل التجربة ثالثة (٢) مع علمه بأن ذلك المرض لا يقضى عليه وللأجل حد معلوم ولكنه أراد ارشاد الناس الى أن مكافحة العلل تكون بالأسباب العادية فلا غناء عنها حتى يساير هذه الأسباب العادية لكنه لما حان الأجل المحتوم لم يعمل كل شيء تسليما للقضاء وذلك عندما قدمت اليه جعدة بنت الاشعث اللبن المسموم وكانت الوقت حاراً والحسن صائماً فرفع رأسه الي السماء قائلا : إنا لله وإنا اليه راجعون الحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين وأبي سيد الوصين وامي سيدة نساء العالمين وعمي جعفر الطيار في الجنة وحمزة سيد الشهداء (٣) ثم شرب اللبن وقال لها لقد غرك وسخر منك فالله يخزيك،

---

(١) مهج الدعوات

(٢) كامل البهائى من ص ٤٥٣ الى ص ٤٥٦ بالفارسية مؤلفه جليل فى الطائفة من علماء القرن السابع الحسن بن علي بن محمد الحسن الطبرى المازندرانى « رياض العلماء » .

(٣) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ١٦٤

ويخزيه (١) وهي تضطرب كالسعفة .

وقد أعلم الرضا « ع » أصحابه بأن منيته تكون على يد المأمون ولا بد من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله (٢) وقال أبو جعفر الجواد لاسماعيل ابن مهران لما رآه قلقاً من اشخاص المأمون له : أنه لم يكن صاحبي وسأعود من هذه السفرة ولما أشخصه المرة الثانية قال « ع » لاسماعيل بن مهران في هذه الدفعة يجري القضاء المحتوم وأمره بالرجوع الى ابنه الهادي فانه إمام الامة بعده (٣)

ولما دفعت اليه ام الفضل المنديل المسموم لم يمتنع من استعماله تسليما للقضاء وطاعة لأمر المولى سبحانه ، نعم قال لها ابتلاك الله بعقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر فاصيبت بعلة فى أغمض الجوارح من بدنها .

وإخبار أمير المؤمنين « ع » بأن ابن ملجم قاتله لم يختلف فيه اثنان ولما أتى ابن ملجم يبايع أمير المؤمنين وولى قال عليه السلام من أراد أن ينظر الى قاتلي فلينظر الى هذا فقيل له ألا تقتله قال « ع » واعجبا تريدون أن أقتل قاتلي (٤) يشير بذلك الى أن قتله لما كان أمراً مبرماً وقضاء محتوماً وإن قاتله ابن ملجم قضاء لا خلف فيه فكيف يقدر أن ينقض الارادة الالهية ويحل ما ابرم من التقدير والى هذا يشير الصادق « ع » بقوله لعقبه

---

(١) الارشاد للمفيد والخرايج

(٢) كتابنا فى الامام الرضا ص ٥٤

(٣) الارشاد وأعلام الورى ص ٢٠٥

(٤) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٤ ورسالة ابن زيدون ص ٩٥٦

الأسدي لو أن الأئمة « ع » ألحوا على الله في هلاك الطواغيت لأجابهم سبحانه وتعالى وكان عليه أهون من سلك فيه خرز انقطع فذهب ولكن لا نريد غير ما أراده الله تعالى (١) .

الخلاصة

لقد ارتفع بتلك البراهين القويمة الستر المرخى على الحقيقة فظهرت بأجلى مظاهرها وبرزت للباحث النيقد محفوفة بصدق ويقين فهو إذاً جد عليم بأن أئمة الهدى كانوا على علم بمجاري القدر النازل والقضاء الذي لا يرد بما انتابهم من الكوارث لأنهم قيد اشارة المولى الجليل عز شأنه بكل ما يستقبلهم من سراء وضراء ولم يبارحهم هذا العلم المفاض عليهم من « مبدء الوجود » جلت آلاؤه أولا وإعلام النبي « ص » به ثانياً ووقوفهم على الصحيفة النازلة على جدهم ثالثاً وحيث أن الله تعالى أعد لهم منازل وشرفاً خالداً لا ينالونه إلا بالشهادة وإزهاق تلك النفوس المقدسة لذلك ضحوا حياتهم الثمينة بخوعاً لأمر الله تعالى وجرياً مع المصالح الواقعية التي لا تدركها أحلام البشر ولا يعرف دقيقها غير علام الغيوب ولا يلزمنا معرفة وجه الصلاح والفساد في جميع التكاليف الشرعية وانما الذي يوجبه العقل طاعة المولى الجليل عز شأنه في أوامره ونواهيه .

وإني لأعجب ممن أصاخ لهتاف الأحاديث الصحيحة مسلماً مذعناً بأن الأئمة من آل محمد يعلمون ما كان ويكون وعندهم علم المنايا والبلايا كيف

(١) اصول الكافي .

خفي عليه ضوء الكثير من الأحاديث المصرحة بأن ما صدر منهم من كلام أو سكوت وقيام أو قعود إنما هو أمر موجه اليهم خاصه من الله سبحانه على لسان رسوله الأمين على الوحي الالهي ولم يعزب عنهم صغير ولا كبير ولم يجهلوا شيئاً من ذلك حتى ساعة الموت ، ومما يشهد لذلك قول الامام أبي جعفر الباقر « ع » .

إني لأعجب من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضه كطاعة رسول الله « ص » ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم لضعف قلوبهم فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون أن الله تعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عليهم أخبار السماء ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم .

فقال له حمران يا ابن رسول الله أ رأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسين وخروجهم وقيامهم وما اصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا .

فقال له أبو جعفر (ع) : يا حمران ان الله تبارك وتعالى قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ثم أجراه عليهم فبتقدم علم اليهم من رسول الله قام علي والحسن والحسين وبعلم منه صمت من صمت منا ولو أرادوا أن يدفع الله تعالى عنهم وألحوا عليه في ازالة ملك الطواغيت لكان ذلك أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد وما الذي أصابهم لذنب اقترفوه ولا لمعصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن

يبلغهم إياها فلا تذهبن بك المذاهب يا حمران (١) .

ومن اشعاعات هذا الحديث الشريف تظهر أسرار غامضة وحكم إآلهية اختص الله بها أولياءه خزان وحيه وبها ميزهم عن سائر البشر وهي :

أ — علمهم بكل شيء وعدم انقطاع أخبار السماء عنهم وعمومه شامل للموضوعات بأسرها .

ب — ان ما جرى عليهم من الأخطار وقهر أرباب الجور ناش عن مصالح لا يعلمها إلا المهيمن جل شأنه .

ج — ان ما صدر منهم من الحرب والجهاد والقتل في سبيل الدعوة الآلهية والسكوت عما يفعله أئمة الضلال ومشاهدتهم تمادي الأمة في الطغيان واقدامهم على ما فيه استئصال حياتهم القدسية طاعة لأوامر المولى الخاصة بهم وانقياداً لتكليفه بلا إلجاء من الله لهم في شيء من ذلك وإنما هم مختارون فيه كاختيار غيرهم في جميع التكاليف .

د — التسليم للقضاء المحتوم والأجل المبرم وعدم التوسل الى الباري تعالى في ازاحة العلة لينالوا بالشهادة التي هي أشرف الموت الدرجات الرفيعة والمنازل العالية التي لا تحصل إلا بهذا النوع من ازهاق النفس .

وفي نفس هـــذه العلة أجاب أبو الحسن الرضا (ع) من سأله عن جواز تعريض أمير المؤمنين نفسه للقتل مع علمه بالساعة والقاتل فقال عليه السلام : لقد كان كل ذلك ولـكنه خير تلك الليلة لتمضي المقادير (٢) .

---

(١) الـكافي على هامش مرآة العقول ج ١ ص ١٩٠ باب انهم يعلمون ماكان وبصائر الدرجات للصفار ص ٣٣ والخرايج للراوندي ص ١٤٣ هند .

(٢) اصول الـكافي على هامش مرآة العقول ج ١ ص ١٨٨ .

فدلنا هذا وأمثاله على أن اقدام اهل البيت على ما فيه التهلكة إنما هو من باب الطاعة وامتثال التكليف الموجه اليهم خاصة ، فلا يتطرق ساحة علمهم نقص ولا ان اقدامهم على ما فيه الهلكة مما يأباه العقل واليه ذهب المحققون من أعلام الامامية .

فيقول الشيخ المفيد في جواب المسائل العكبرية : لسنا نمنع أن يعلم الامام اعيان مايحدث على التفصيل والتميز ويكون باعلام الله تعالى كما لا نمنع أن يتعبد الله امير المؤمنين بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل فيبلغه بذلك علو الدرجة ما لا يبلغه إلا به فيطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يردها ولا يكون امير المؤمنين ملقياً بيده الى التهلكة ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول ولا يلزم فيه ما يظنه المعترضون كما لا نمنع أن يكون الحسين (ع) عالماً بموضع الماء وانه قريب منه بقدر ذراع فلو حفر لنبع له الماء ، فامتناعه من الحفر لا يكون فيه اعانة على نفسه بعد أن يكون متعبداً بترك السعي في طلب الماء حيث يكون ممنوعا منه ولا يستعبد العقل ذلك ولا يقبحه وكذلك في علم الحسن (ع) بعاقبة موادعة معاوية ، فقد جاء الخبر بعلمه به وكان شاهد الحال يقضي به غير انه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم اصحابه الى معاوية وكان في ذلك لطفاً في بقائه الى حال مضيه ولطفاً لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده ودفع فساد في الدين أعظم من الفساد الذي حصل عند هدنته وكان عليه السلام عالماً بما صنع ولكن الله تعالى تعبده بذلك .

ويقول العلامة الحلي في جواب من سأله عن تعريض امير المؤمنين

نفسه للقتل بأنه يحتمل أن يكون قد أخبر بوقوع القتل في تلك الليله وفى أي مكان يقتل وأن تكليفه مغاير لتكليفينا فجاز أن يكون بذل مهجته في ذات الله واجباً كما يجب الثبات على المجاهـد وان كان ثباته يفضي الى القتل (١) .

وقال الشيخ الجليل الشيخ يوسف البحراني : ان رضاهم بما ينزل بهم من القتل بالسيف أو السم وكذا ما يقع بهم من الهوان على أيدي اعدائهم الظالمين مع كونهم عالمين قادرين على دفعه إنما هو لما علموه من كونه مرضياً له سبحانه وتعالى ومختاراً بالنسبة اليهم وموجباً للقرب من حضرة قدسه فلا يكون من قبيل الالقاء باليد الى التهلكة الذي حرمته الآية إذ هو ما اقترن بالنهي من الشارع نهي تحريم وهذا مما علم رضاه به واختياره له فهو على النقيض من ذلك إلا أنه ربما ينزل بهم شيء من تلك المحذورات قبل الوقت المعدود والأجل المحدود فلا يصل اليهم منه شيء من الضرر ولا يتعقبه المحذور والخطر فربما امتنعوا منـــه ظاهراً وربما احتجبوا منه باطناً وربما دعوا الله فى رفعه عنهم حيث علموا انه غير مراد لله سبحانه فى حقهم ولا مقدر عليهم حتما ، وبالجملة انهم عليهم السلام يدورون مدار ما علموه من الأقضية والاقدار وما اختاره لهم القادر القهار المختار (١) وعلى هـــذا مشى العلامة المجلسى والمحقق الـكركي والحسن بن سليمان الحلي من تلامذة الشهيد الأول وغيرهم .

---

(١) حكاه عنه المجلسى فى مرآة العقول ج ١ ص ١٨٩ ، وفى البحار ج ٩ ص ٦٦٣ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٣٠٩ .

علم الحسين بالشهادة

لقد تجلى ما بيناه تحبيــــذ العقل والشرع الاقدام على الهلكة اذا تحققت هناك مصلحة تقادم مفسدة الهلكة من ابقاء دين وشريعة أو ابراز حقيقـــة لا تظهر إلا به كما فى أمر الحسين (ع) يوم وقف ذلك الموقف المدهش فتلا على الملأ صحيفة بيضاء رتلها الحقب والأعوام .

فلقد عرف صلوات الله عليه بنهضته المقدسة الأمم الحاضرة والمتعاقبة أعمال الامويين ومن سن لهم خرق نواميس الشريعة والتعدي على قداسته قوانينها ، وقد استفادت الأمم من اقدام أبي الضيم (ع) على الموت وبذله كل ما لديه من جاه وحرمات فى سبيل تأييد الدعوة المحمدية دروساً عالية وعرفوا كيفية الثبات على المبدء وانه يستهان في تحرير النفوس عن الجور وإنقاذها من مخالب الظلم كل غال ورخيص .

واذا كان محمد بن الحسن الشيباني ينفي البأس عن رجل يحمل على الألف مع فقد احتمال النجاة أو النكاية بالعدو ولا يكون هذا الاقدام منه إلقاء بالتهلكة لأن فيه نفع المسلمين وتقوية عزائمهم وبعث روح النشاط فيهم للدفاع عن المبدأ والموت تحت راية العز (١) .

فأبو عبدالله الحسين (ع) يفضل كل أحد فانه باقدامه على أولئك الجمع المغمور بالأضاليل وان أزهق نفسه المقدسة ونفوس الأزكياء من اهل

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٣٠٩ .

بيته وصحبه وعرض حرم رسول الله (ص) للسلب والأسر إلا انه سجل أسطراً نورية على جبهـــة الدهر في احقية نهضته وبطلان تمويهات عدوه الحائد عن سنن الحق المتمرد فى الطغيان فهو الفاتح المنصور وان المتجمهر عليه راسب في بحر الضلال هاتك لحرمات الله تعالى متعـد على نظم الاسلام التي قررها صاحب الدعوة الالهية .

وإني لأعجب ممن يذهب الى أن الحسين « ع » كان يظن موافقـة الـكوفيين له وقد تخلف ظنه فانا لو تنازلنا وقلنا بأن الحسين لم يكن عنده العلم العام لما كان ويكون وما هو كائن ولـكن أين يذهب عنـه العلم بما يقع من الحوادث بواسطة إخبار جده وأبيه الوصي بأنه مقتول بأرض كربلا ممنوع من الورود ومعه ذووه وصحبه قضاء محتوماً ، أليس هو الذي أعلم ام سلمة بقتله حين أبدت له خوفها من سفره هذا لأن الصادق المصدق الذي لا ينطق عن الهوى أعلمها بقتله بأرض كربلا ممنوعاً من الورود .

وفيما قال لها إني أعلم اليوم الذي اقتل فيه والساعة التي اقتل فيها وأعلم من يقتلني ومن يقتل من أهل بيتي وأصحابي أ تظنين أنك علمت ما لم أعلمه وهل من الموت بد فان لم أذهب اليوم ذهبت غداً .

وقال لأخيه عمر الأطرف إن أبي أخبرني بأن تربتي تـكون الى جنب تربته أ تظن أنك تعلم ما لم أعلمه . وقال لأخيه محمد بن الحنفية شاء الله أن يراني قتيلا ويرى النساء سبايا .

وقال لابن الزبير : لو كنت فى جحر هامة من هذه الهـــوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم وقال لعبد الله بن جعفر : إني رأيت رسول الله فى المنام وأمرني بأمر أنا ماض له . وفى بطن العقبة قال لمن معه :

ما أراني إلا مقتولا فاني رأيت في المنام كلاباً تنهشني وأشدها علي كلب أبقع
ولما أشار عليه عمرو بن لوذان بالانصراف عن الكوفة الى أن ينظر
ما يكون عليه حال الناس قال عليه السلام ليس يخفى علي الرأي ولكن
لا يغلب على أمر الله وإنهم لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي .

الى غير ذلك من تصريحاته وتلويحاته في المدينه ومكة والطريق الى
الكوفة كما ستقرأها بتمامها فانها شاهدة على أنه عليه السلام كان على علم
ويقين بأنه مقتول فى اليوم الموعود به بأرض كربلاء ، ثم هل يتردد أحد
فى هذا وهو يقرأ خطبته بمكة حين أراد السفر منها العراق التي يقول فيها :
ـأ ني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن
مني أكراشاً جوفا وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم .

فدلت هذه الأجوبة من الحسين « ع » لمن طلب منه التريث فى
السفر أو الذهاب فى أرض الله العريضة على وقوف سيد الشهداء على أمره
ولم يخف عليه نوايا الكوفيين ولكنه سر إلهي تعلق به خاصة ولأجل القاء
الحجة على هذا الخلق المتعوس كانت استغاثاته وانتصاراته يوم الطف قبل
نشوب الحرب وبعده .

وإنما لم يصارح بما عنده من العلم لكل من رغب في إعراضه عن
السفر الى الكوفة لعلمه بأن الحقائق لا تفاض لأي متطلب بعد اختلاف
الأوعية سعة وضيقاً وتباين المرامي قرباً وبعداً فلذلك عليه السلام يجيب
كل أحد بما يسعه ظرفه وتتحمله معرفته وعقليته فان علم أهل البيت « ع »
صعب مستصعب لا يتحمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن
الله قلبه بالايمان .

الحسين فاتح

كان الحسين « ع » يعتقد في نهضته أنه فاتح منصور لما في شهادته من إحياء دين الرسول وإماتة البدعة وتفظيع أعمال المناوئين وتفهيم الامة أنهم أحق بالخلافة من غيرهم واليه يشير في كتابه الى بني هاشم : من لحق بنا منكم استشهد ، ومن تخلف لم يبلغ الفتح (١)

فانه لم يرد بالفتح إلا ما يترتب على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة وأقامة أركان العدل والتوحيد وإن الواجب على الامة القيام في وجه المنكر .

وهذا معنى كلمة الامام زين العابدين لابراهيم بن طلحة بن عبيدالله لما قال له حين رجوعه الى المدينة « من الغالب » فقال السجاد « ع » اذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب (٢)

فانه يشير الى تحقق الغاية التي ضحى سيد الشهداء نفسه القدسية لأجلها وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور الله تعالى وما أراده أبوه من نقض مساعي الرسول « ص » وإماتة الشهادة له بالرسالة بعد أن كان الواجب على الامة فى الأوقات الخمس الاعلان بالشهادة لنبي الاسلام ذلك الذي هدم صروح الشرك وأبطل العبادة للاصنام كما وجب على الامة الصلاة على النبي وعلى آله الطاهرين في التشهدين وإن الصلاة عليه بدون

(١) كامل الزيارات ص ٧٥ .

(٢) أمالي الشيخ الطوسى ص ٦٦ .

الصلاة على آله بتراء (١)

كما أن العقيلة ابنة أمير المؤمنين عليها السلام أشارت الى هـذا الفتح بقولها ليزيد: « فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمـدنا، ولا يرحض عنك عارها وشنارها ».

إن المتأمل فى حادثة الطف يتجلى له أن هذه الشهادة أعظم من يوم بدر وإن كان هو أول فتح اسلامي لأن المسلمين يومئذ خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوة وقد احتف بهم ثلاثة آلاف من الملائكة مسومين وهتاف النبي « ص » بالنصر والظهور على العـدو ملء مسامعهم فقابلوا طواغيت قريش مطمئنين بالغلبة.

وأما مشهد الطف فالمقاسات فيـه أصعب، والكرب أشد، وقد التطمت فيه أمواج الحتوف، وكشرت الحرب عن نابها وأخذ بنو امية على سبط النبي أقطار الأرض وآفاق السماء.

عشـية أنهضهـا بغيهـا	فجـاءته تركب طغيانها
بجمع من الأرض مـد الفروج	وغطى النجود وغيطانهـا
وطا الوحش إذ لم يجد مهرباً	ولازمت الطـير أوكانهـا

لـكن عصبة الحق لم يثن من عزمهم شيئاً فقابلوا تلك الأخطار من غير مدد يأملونه أو نصرة يرقبونها وقـد انقطعت عنهم خطوط الوسائل الحيوية حتى الماء الذي هو أوفر الأشياء والناس فيه شرع سواء وضوضاء

(١) فى الصواعق المحرقة ص ٨٧ وكشف الغمة للشعرانى ج ١ ص ١٩٤ لاحظ كتابنا « زين العابدين » ص ٣٧١

الحرم من الشر المقبل ، وصراخ الأطفال من الاوام المبرح في مسامعهم إلا أنهم تلقوا جبال الحديد بكل صدر رحيب وجنان طامن ولم تسل تلك النفوس الطاهرة إلا على قتل امية المنقوض ولا اريقت دماؤهم الزاكية إلا على حبلهم المنتكث فكان ملك آل حرب كلعقـــة الكلب أنفـه حتى اكتسحت معرتهم عن أديم الأرض .

فيوم الطف فتح اسلامي بعد الجاهل المستردة من جراء أعمال الامويين ولفيفهم الذين لم يستضيئوا بذلك الألق الساطع : نور التوحيـد وشعاع النبوة .

إن الحسين لم يكن قاصداً في خروجه محض السلطنة والرياسـة وخفقان الرايات فانه لو كان هذا غرضه لاتخذ الوسائل الموصلة اليـه وهو أعرف بها ولم يذع الى من كان معه من الأعراب قتله وهلاك من معـه واستسلام عائلته للأسر فيتفرق عنه جيشه وتتضاءل قواه الصورية لـكن نفسه المقدسة ـ وهكذا الأحرار ـ أبت كتمان الأمر وإيهام الحال حتى اختبرهم بالاذن فى المفارقة فذهب عنه من كان همه الطمع وأبى اولئك الصفوة إلا مواساته ونصرته فلا الحين يطرق ساحتهم ولا الانكسار يبين في مخائلهم لأن ذلك شأن المأيوس من غايته ، والقوم كانوا على يقين من الظفر بالامنية كما تنم عنه كلماتهم التي أجابوا الحسين لما أنبأهم ليلة عاشوراء بحراجة الموقف ورفع عنهم البيعة وخلى لهم السبيل .

فقالوا : الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك ولو كانت الدنيا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها .

فوجدهم عليه السلام متفانين في الجهاد معـه ، والذب عن قدس

الشريعة وتلا على الملأ سطراً من صحيفتهم البيضاء بقوله : إني لا أجد أصحاباً أوفى من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي (١) .

وإني لأعجب من الرواة وحملة التأريخ حيث توسعوا في النقل فقذفوا اولئك الأطهار بما تندى منه وجه الانسانية ويأباه الوجدان الصادق فقيل : كان القوم بحالة ترتعد فرائصهم وتتغير ألوانهم كلما اشتد الحال إلا الحسين فان أسرة وجهه تشرق كالبدر المنير (٢) .

وهذا بعد أن أعوزتهم الوقيعة في شهيد العز والاباء فلم يجدوا للغمز فيه نصيباً فمالوا على صحبه وأهل بيته ، وليس هذا إلا من الداء الدفين بين أضالع قوم دافوا السم في الدسم الى سذج حسبوه حقيقة راهنة فشوهوا وجه التأريخ غير أن البصير الناقد لا تخفى عليه نفسية القوم ولا ما جاؤا به .

وأعجب من ذلك قول زحر بن قيس الجعفي ليزيد : إنا أحطنا بهم وهم يلوذون عنا بالآكام والحفر لواذ الحمام من الصقر (٣) .

بفيك الكثكث أيها القائل كأنك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب فترى القوم من بسالة وإقدام ومفاداة دون الدين الحنيف حتى أغفل يومهم مع ابن المصطفى أيام صفين وما شاكلها من حروب دامية وحتى أخذت أندية الكوفة لا تتحدث إلا بشجاعتهم .

أجل إن تلك الأحوال أدهشتك ولم تدر ما تقول أو أن الشفقة بعدت عليك فنسيت ما كان ولكن هل غاب عن سمعك صراح الأيتام

---

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٤

(٢) نفس المهموم ص ١٣٥

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٣

وعويل الأيامى في دور الكوفة حتى طبق أرجاءها من جراء ما أوقعه اولئك الصفوة بأعداء الله وأعداء رسوله بسيوفهم الماضية ، والعذر لك إنك أدركت ساعة العافية فطفقت تشوه مقامهم المشكور طلباً لمرضات «يزيد الخمور».

ولقد صرح عن صدق نياتهم عدوهم الألد عمرو بن الحجاج محرضاً قومه : أتدرون من تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين لا يبرز اليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم (١).

وقيل لرجل شهد الطف مع ابن سعد : ويحك أقتلتم ذرية الرسول فقال عضضت بالجندل ، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها كالاسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالا تلقي نفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها وبين المنيــة أو الاستيلاء على الملك فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا ام لك (٢).

وشهد لهم بذلك كعب بن جابر فانه لما قتل بريراً عيبت عليه زوجته وقالت : أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيما من الأمر والله لا اكلمك من رأسي كلمة واحدة فقال يخاطبها من أبيات (٣) :

ولم تر عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع

---

(١) طبري ج ٦ ص ٢٤٩
(٢) شرح النهج للحديدي ج ١ ص ٣٠٧
(٣) طبرى ج ٦ ص ٢٤٧

أشد قراعاً بالسيوف لدى الوغى   ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للضرب والطعن حسراً   وقد نازلوا لو أن ذلك نافع

ثم أي فرد منهم أقلقه الحال حتى ارتعدت فرائصه ؟ أهو زهير بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً :

أقدم هديت هادياً مهدياً   فاليوم ألقى جدك النبيا

أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين وهو في آخر رمق من الحياة ، فكأنه لم يقنعه في المفاداة كل ما لاقاه من جهد وبلاء .

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهمه في سبيل السير الى ربه تعالى كل ما هنالك من فوادح وآلام إلا الصلاة التي دنا وقتها .

أم سعيد الحنفي الذي استهدف لهم عند الصلاة حتى سقط لكثرة نزف الدم فيقول للحسين : أوفيت يا ابن رسول الله ؟ .

أم ابن شبيب الشاكري الذي يلتي جميع لامته لتقرب منه الرجال فيموت في حين نرى الكماة الأبطال المعروفين بالشجاعة والاقدام يتدرعون للحرب كيلا يخلص اليهم ما يزهق نفوسهم .

أم جون الذي يأذن له الحسين فى الانصراف فيقع على قدميه يقبلهما وهو يبكي ويقول : إن لوني لأسود وحسبي لئيم وريحي منتن فتنفس علي بالجنة ليبيض لوني ويشرف حسبي ويطيب ريحي .

وإذا تأملنا قول أبي جعفر الباقر « ع » : إن أصحاب جدي الحسين لم يجدوا ألم مس الحديد (١)

---

(١) الخرايج للراوندى ص ١٣٨ طبع الهند .

وضح ما عليه اولئك الأطايب من الثبات وإنهم غير مكترثين بما لاقوه من ألم الجراح ولعاً منهم بالغاية وشوقاً الى جوار المصطفى .

ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العاشق وانه عند توجه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بما يلاقيه من عناء ونكد ، ولقد حكى المؤرخون أن كثير الشاعر كان في خبائه يبرىء سهاماً له فلما دخلت عليه عزة ونظر اليها أدهشه الحال فأخذ يبري أصابعه وسالت الدماء وهو لا يحس بالألم (١) .

ويتحدث الرواة إن شاباً من الانصار استقبل امرأة فأعجبته فأتبعها النظر فدخلت فى زقاق وهو خلفها ينظر اليها فاعترضت وجهه زجاجة في حائط فشقت وجهه وهو لا يشعر فلما مضت المرأة رأى الدماء تسيل على ثوبه وصدره فأتى رسول الله « ص » وحكى له فنزل قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » (٢) .

ويحدث النبي « ص » بأن الشهيد المقتول في سبيل الدعوة الالهية لا يجد من مسس القتل إلا كما يجد الانسان من مسس القرصة (٣) .

---

(١) الأغانى ج ٨ ص ٣٧

(٢) الكافى على هامش مرآة العقول ج ٣ ص ٥١١ باب ١٦٠ ما يحل النظر اليه من المرأة عن الباقر « ع » وعنه فى تفسير البرهان ج ٢ ص ٧٣١ فى تفسير الآية .

(٣) تيسير الوصول لابن الديبع ج ١ ص ٢١٩ وكنز العمال ج ٢ ص ٢٧٨ فضل الشهادة .

وأما رشيد الهجري(١) لما دعاه ابن زياد وسأله عما أخبره أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: بلى دخلت عليه يوماً وعنده أصحابه وكان في بستان فدعا برطب من نخلة فقلت له يا أمير المؤمنين أطيب هذا الرطب فعرفه عليه السلام بأن الدعي عبيدالله سيحمله على البراءة منه وإلا فيقطع يديه ورجليه ولسانه ويصلبه على جذع من هذه النخلة فقال رشيد آخر ذلك الى الجنة قال عليه السلام: أنت معي في الدنيا والآخرة قال إذاً والله لا أتبرأ منك.

فكان رشيد يختلف الى تلك النخلة طرفي النهار ويسقيها الماء ويقول لك غذيت ولي نبت وما دارت الأيام حتى تولى ابن زياد الكوفة فدعاه وسأله عما أخبره به أمير المؤمنين قال أخبرني خليلي أنك تدعوني الى البراءة منه فلا أبرأ أبداً فتقطع يدي ورجلي ولساني قال ابن زياد لأكذبن قوله ثم أمر به فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه وحمل الى أهله فاجتمع عليه الناس وهو يحدثهم بما أطلعه أمير المؤمنين من علم المنايا والبلايا وفضل أهل البيت ثم قال أيها الناس سلوني إن للقوم عندي طلبة لم يقضوها فأسرع رجل الى ابن زياد وقال ما صنعت قطعت يديه ورجليه وهو يحدث الناس بالعظائم فأمر به بأن يقطع لسانه فمات من ليلته ثم صلب (٢) على باب دار عمرو بن حريث (٣)

تقول ابنته قنوا سألت أبي عما يجده من الآلام فقال يا بنية لا أجد

---

(١) في الخلاصة للعلامة الحلي بضم الراء المهملة.

(٢) رجال الكشي ص ٥١

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٣٢٩ ولسان الميزان لابن حجر ج ٢ ص ٤٦١

إلا كالزحام بين الناس (١) .

وهذا الحال يفيد المتأمل بصيرة بأن كل من اتجهت مشاعره نحو المولى سبحانه وتجلت له المظاهر الربوبية وشاهد ما أعد له من النعيم الخالد في سبيل دعوة الدين هان عليه ألم الجراح ويؤكد ما قلناه من ذهول العاشقين عندما يشاهد محبوبه عن كل ما يرد عليه من الأذى غفلة النسوة عن ألم قطع المدية أيديهن لمحض مشاهدة جمال الصديق يوسف عليه السلام كما حكاه جل شأنه « ولما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشر إن هو إلا ملك كريم » .

واذا لم تشعر النسوة (٢) بمضض الجراح فليس من الغريب ألا يجد أصحاب الحسين « ع » وهم زبد العالم كله ألم مس الحديد عند نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الالهي ونزوع أنفسهم الى الغاية القصوى من القداسة بعد التكهرب بولاء سيد الشهداء عليه السلام :

بأبي أفدي وجوهاً منهم	صافحوا في كربلا فيها الصفاحا
أوجهاً يشرقن بشراً كلما	كلح العام ويقطرن سماحا
تتجلى تحت ظلماء الوغى	كالمصابيح التماعا والتماحا
ارخصوا دون ابن بنت المصطفى	أنفساً تاقت الى الله رواحا
فقضوا صبراً ومن اعطافهم	أرج العز بثوب الدهر فاحا
لم تذق ماء سوى منبعث	من دم القلب به غصت جراحا

(١) رجال الكشي ص ٥١ وسماها فى بشارة المصطفى ص ١١٣ (أمة الله)

(٢) فى ديوان الصبابة على هامش تزيين الاسواق ص ٣٩ بلغ عدد اللائى قطعن أيديهن أربعين امرأة مات منهن تسع شوقاً ووجداً .

أنهلت من دمها لو أنه كان من ظامي الحشا يطفي التياحا
اعريت فهي على أن ترتدي بنسيج الترب تمتاح الرياحا (١)

الحسين مع أصحابه

تمهيد

ان الشريعة المقدسة أوجبت على الناس النهضة لسد باب المنكر والردع عن الفساد وألزمت الأمة بمتابعة الامام في رد عادية الباغين على الخليفة المنصوب علماً للعباد بعد أن يدعوهم الى التوبة عما هم فيه من معاندة الحق والرجوع الى ساحة الشرع الأعظم سبحانه وتعالى كما قال في الحجرات - ٩ :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » ، وقد نهض امير المؤمنين (ع) أيام خلافته للدفاع عن قدس الشريعة وتنبيه الأمة عن رقدة الجهل وكان الواجب على الناس الفيء اليه لأنه امام الحق المفروضة طاعته ، وقد اعترف جمهور المسلمين بتمامية البيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحكموا بأن قتاله لمن خرج عليه حق وهذه كلماتهم التي سجلوها في صحفهم شواهد متقنة على هذه الدعوى المدعومة بالعقل والنقل .

فهذا ابو حنيفه يقول : ماقاتل أحد علياً إلا وعلي أولى بالحق منه

---

(١) من قصيدة في الحسين « ع » للسيد عبد المطلب الحلي ذكرت بتمامها في شعراء الحلة ج ٣ ص ٢١٤ .

ولو لا ما سار علي (ع) فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين ولا شك أن علياً (ع) إنما قاتل طلحة والزبير بعد أن بايعاه وخالفاه ، وفى يوم الجمل سار علي (ع) فيهم بالعدل وهو علم المسلمين فكانت السنة فى قتال أهل البغي (١) .

واقتفاه تلميذه محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٧ فقال : لو لم يقاتل معاوية علياً عليه السلام ظالماً له متعديا باغياً كنا لا نهتدي لقتال أهل البغي (٢) .

وقال سفيان الثوري : ما قاتل علي (ع) أحداً إلا كان علي أولى بالحق منه (٣) .

وقال الشافعي : السكوت عن قتلى صفين حسن وإن كان علي (ع) أولى بالحق من كل من قاتله (٤) .

وقال أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ : كان علي محقاً في قتال الفئة الباغية لم يخالف فيه أحد (٥) .

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي المتوفى سنة ٥٤٦ : كان علي إماماً لأنهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لأنه أحقهم بالبيعة فقبلها حوطة على الأمة أن لا تسفك دماؤها بالتهارج فيتخرق الأمر وربما تغير الدين

---

(١) مناقب أبي حنيفة للخوارزمى ج ٢ ص ٨٣ و ٨٤ حيدر آباد .

(٢) الجواهر المضيئة طبقات الحنفية ج ٢ ص ٢٦ .

(٣) حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٧ ص ٣١ .

(٤) أدب الشافعى ومناقبه ص ٣١٤ .

(٥) أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٩٢ .

وانقض عمود الاسلام وطلب أهل الشام منه التمكين من قتلة عثمان فقال لهم علي (ع) : ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه ، وكان علي (ع) أسدهم رأياً وأصوبهم قولا لأنه لو تعاطى القود لتعصبت لهم قبائلهم فتكون حرباً ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للامام تأخير القصاص اذا أدى ذلك الى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة .

وحينئذ فكل من خرج على علي (ع) باغ ، وقتال الباغي واجب حتى يفيء الى الحق وينقاد الى الصلح ، وان قتاله لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة واهل الجمل والنهروان الذين خلعوا بيعته حق ، وكان حق الجميع أن يصلوا اليه ويجلسوا بين يديه ويطالبوه بما رأوا ، فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة فتناولهم قوله تعالى : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » .

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص (١) بعدم مشاركته في

(١) في كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٧٤ عند ذكر البيعة لأمير المؤمنين قال : لم يبايع سعد بن أبى وقاص وعبدالله بن عمر وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن حديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وعبدالله بن سلام وصهيب بن سنان وسلامة بن سلامة بن وقش واسامة بن زيد وقدامة ابن مظعون والمغيرة بن شعبة وتعرض لهم أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى أصول الدين ص ٢٩٠ والباقلانى فى التمهيد ص ٢٣٣ وابن تيميه فى الفتاوى المصرية ج ٤ ص ٢٢٦ وأبو جعفر الطبرى فى تاريخه أخبار الملوك والأمم ج ٣ ص ١٥٣ .

قتال علي (ع) فردّ عليه سعد بأني ندمت على تأخري عن قتال الفئة الباغية يعني معاوية ومن تابعه (١).

وقال أبو بكر محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ بعد ذكر جملة من فضائل أمير المؤمنين (ع) : ان علياً يصلح للخلافة ببعض هـذه الخصال ودون هذه الفضائل ويستحق الامامة فهو حقيق بما نظر فيه وتولاه فوجب الانقياد له بعقد من عقدها له من وجوه المهاجرين والأنصار عشية اليوم الثالث من مقتل عثمان بعد امتناعه عليهم واصرارهم عليه لأنه أعلم من بقي وأفضلهم وأولاهم بهذا الأمر وناشدوه الله تعالى في حفظ بقية الأمة وصيانة دار الهجرة فبايعوه قبل حضور الزبير وطلحة ومبايعتهما له تبع لغيرهما بعد وجوبها عليهما ولو تأخرا عن الانقياد لـكانا مأثومين وقولهما له : « بايعناك مكرهين » (٢) لا يضر بامامة علي (ع) لأن البيعة له تمت قبل مبايعتهما وطلبهما منه قتل قتلة عثمان خطأ لأن عقد الامامة لرجل على أن يقتل الجماعة بالواحد لا يصح بعد أن كان الامام متعبداً باجتهاده فقـد يؤدي الى أنه لا يجوز قتل الجماعة بالواحد وان أدى اليه اجتهاده فقد يجتهـد ثانياً الى عدمه ولو ثبت أن علياً (ع) يرى جواز قتل الجماعة بالواحد لم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بعد أن تقوم البينة على القتلة بأعيانهم وأن يحضر أولياءهم الدم مجلسه ويطالبوا بدم أبيهم ووليهم وان لا يؤدي القتل الى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون مثل قتلة عثمان أو أعظم منه وتأخير

(١) أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ ط مصر سنة ١٣٣١ هـ .

(٢) فى مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٤ أول من بايعه طلحة فقال : هذه بيعة تنكث .

إقامة الحد الى وقت إمكانه أولى وأصلح للأمة وأنفى للفساد (١) .

وقال أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ : الأخبار الواردة في بيعة امير المؤمنين كلها صحيحة مجمع عليها وفيها يقول خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا | أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنه | أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وان قريشاً ما تشق غباره | اذا ماجرى يوماً على الضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله | وما فيهم كل الذي فيه من حسن

وساق الذهبي جميعه في تلخيص المستدرك ولم يتعقبه (٢) ثم حكى الحاكم عن عبدالله بن عمر بن الخطاب انه قال : ما وجدت في نفسي من شيء من أمر هذه الآية : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » إلا اني لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى (٣) .

وحكى الحاكم النيسابوري عن ابي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة انه قال عهدت مشائخنا يقولون : إنا نشهد بأن كل من نازع أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فى خلافته فهو باغ وبه قال ابن إدريس (٤) .

وقال أبومنصور عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ : أجمع أهل الحق على صحة إمامة علي (ع) وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان وانه كان

---

(١) التمهيد ص ٢٢٩ .
(٢) المستدرك ج ٣ ص ١١٥ .
(٣) المستدرك ج ٢ ص ٤٦٣ .
(٤) معرفة علوم الحديث ص ٨٤ .

محقاً مصيباً فى التحكيم وفى قتال اصحاب الجمل واصحاب معاوية بصفين (١) .

وقال ابو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي الفيروز آبادي المتوفى سنة ٤٧٦ : اذا خرجت على الامام طائفة من المسلمين ورأت خلعه بتأويل أو منعت حقا توجه عليها بتأويل وخرجت عن قبضة الامام وامتنعت عليه بمنعة قاتلها الامام لقوله عز وجل : « فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي » ولأن أبا بكر قاتل مانعي الزكاة وقاتل علي اهل البصرة يوم الجمل وقاتل معاوية بصفين وقاتل الخوارج بالنهروان (٢) وظاهره أن قتال علي (ع) لهؤلاء بحق لأنه إمام حق وجبت بيعته في أعناقهم وخروجهم عن طاعته وان كان بتأويل لا يبرر عملهم .

وقال امام الحرمين الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ : كان علي بن أبي طالب إماماً حقاً في توليته ومقاتلوه بغاة (٣) .

وقال علاء الدين الكاساني الحنفي المتوفى سنة ٥٨٧ : قاتل سيدنا علي أهل حروراء بالنهروان بحضرة الصحابة تصديقاً لقوله صلى الله عليه وآله لسيدنا علي (ع) : انك تقاتل على التأويل كما تقاتل على التنزيل والقتال على التأويل هو القتال مع الخوارج ودل الحديث على إمامة سيدنا علي لأن النبي (ص) شبه قتال سيدنا علي بقتاله على التنزيل وكان رسول الله (ص) محقاً في قتاله على التنزيل فلزم أن يكون سيدنا علي محقاً في قتاله بالتأويل فلو لم يكن إمام حق لما كان محقاً في قتاله إياهم لأن الدعوة قد بلغتهم

---

(١) أصول الدين من ص ٢٨٦ الى ٢٩٢ .

(٢) المهذب فى الفقه الشافعى ج٢ ص ٢٣٤ ط مصر سنة ١٣٤٣ هـ .

(٣) الإرشاد فى أصول الإعتقاد ص ٤٣٣ .

لكونهم في دار الاسلام ومن المسلمين ويجب على كل من دعاه الى قتالهم أن يجيبه الى ذلك ولا يسعه التخلف اذا كان عنده غنى وقدرة لأن طاعة الامام فيما ليس بمعصية فرض فكيف فيما هو طاعة، وما روى عن أبي حنيفه اذا وقعت الفتنه بين المسلمين فينبغي للرجل أن يلزم بيته محمول على وقت خاص وهو ألا يكون امام يدعوه الى قتال واما اذا كان فدعاه يفترض عليه الاجابة لما ذكرنا (١) .

وقال يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٧ : كان علي هو المحق المصيب فى تلك الحروب وقال معظم الصحابة والتابعين وعامـة علماء الاسلام يجب نصر المحق فى الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين قال الله تعالى : « فقاتلوا التي تبغي » الآية ، وهذا هو الصحيح (٢) .

وقال ابن همام الحنفي المتوفى سنة ٦٨١ : كان علي (ع) على الحق في قتال الجمل وقتال معاوية بصفين وقول النبي (ص) لعمار : تقتلك الفئــة الباغية وقد قتله اصحاب معاوية صريح بأنهم بغاة ، ولقد أظهرت عائشة الندم كما ذكره أبو عمرو في الاستيعاب وقالت لعبدالله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري ؟ قال لها : رأيت رجلا قد غلبك يعني ابن الزبير فقالت : أما لو نهيتني ما خرجت (٣) .

---

(١) بدائع الصنائع ج ٧ ص ١٤٠ أحكام المرتدين .

(٢) شرح صحيح مسلم على هامش إرشاد السارى ج ١٠ ص ٣٣٦ وص ٣٣٨ .

(٣) فتح القدير ج ٥ ص ٤٦١ كتاب القضاء أدب القاضى وفى تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٢١ قالت عائشة : وددت انى مت قبل يوم الجمل بعشرين —

وقال ابن تيميه المتوفى سنة ٧٢٨ : لما قتل عثمان بايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهو أحق بالخلافة حينئذ وأفضل من بقي لكن كانت القلوب متفرقة ونار الفتنة موقدة فلم تتفق الكلمة ولم تنتظم الجماعة ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يرون من الخير الى أن ظهرت الحرورية المارقة فقاتلوا أمير المؤمنين علياً ومن معه فقتلهم بأمر الله تعالى ورسول الله (ص) طاعة لقول النبي (ص) ان الطائفة المارقة يقتلها أدنى الطائفتين الى الحق ، فكان علي بن أبي طالب ومن معه هم الذين قاتلوهم فدل كلام النبي (ص) على أنهم أدنى الى الحق من معاوية ومن معه (١) .

وقال : كل فرقة من المتشيعين مقرة بأن معاوية ليس كفؤاً لعلي (ع) بالخلافة ، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي (ع) فان فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائل كانت عنده ظاهرة معروفة ولم يكن بقي من أهل الشورى غيره وغير سعد وقد ترك سعد هذا الأمر وتوفي عثمان فلم يبق لها معين إلا علي (٢) .

ـــسنة . وفى العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٨ عند ذكر اصحاب الجمل ومعارف ابن قتيبة ص ٥٩ قيل لعائشة ندفنك معرسول الله « ص » قالت : لا انى أحدثت بعده حدثاً ادفنونى بالبقيع . وذكره الحاكم النيسابورى فى المستدرك ج ٤ ص ٦ ولم يتعقبه الذهبي ، وفى تطهير الجنان على هامش الصواعق المحرقة ص ١١٣ قالت عائشة : وددت انى جلست مع صواحبى وهو أحب إلي من أن اكون ولدت لرسول الله اثنى عشر ولداً .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٢٥١ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٢٤ .

وقال الزيلعي المتوفى سنة ٧٤٣ : كان الحق بيد علي (ع) في نوبته فالدليل عليه قول النبي (ص) لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، ولا خلاف انه كان مع علي (ع) وقتله اصحاب معاوية (١) .

وقال ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ : كان علي في وقته سابق الأمة وأفضلها ولم يكن فيهم حين وليها أولى بها منه (٢) .

وقال ابو عبدالله بن محمد بن مفلح الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٣ : كان علي (ع) أقرب الى الحق من معاوية واكثر المصنفين في قتال اهل البغي يرى القتال من ناحية علي (ع) ومنهم من يرى الامساك ، وقال ابن هبيرة في حديث ابي بكرة في ترك القتال في الفتنة أي في قتل عثمان فأما ماجرى بعده فلم يكن لأحد من المسلمين التخلف عن علي (ع) ، ولما تخلف عنه سعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة ومسروق والأحنف ندموا ، وكان عبدالله بن عمر يقول عند الموت : اني لم أخرج من الدنيا وليس في قلبي حسرة إلا تخلفي عن علي (ع) وكذا روي عن مسروق وغيره بسبب تخلفهم (٣) .

ويحكى محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥ عن الجمهور : انهم صرحوا بأن علياً (ع) واشياعه كانوا مصيبين ، إذ كان علي (ع) أحق الناس بالخلافة وأفضل من على وجه الدنيا حينئذ (٤) .

وقال ابن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٤ : ان اهل الجمل وصفين

---

(١) نصب الراية ج ٤ ص ٦٩ .

(٢) بدائع الفوائد ج ٣ ص ٢٠٨ .

(٣) الفروع ج ٣ ص ٥٤٢ و ٥٤٣ .

(٤) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ح ١١ ص ٣٤٦ كتاب الفتن .

رموا علياً (ع) بالمواطاة مع قتلة عثمان وهو بريء من ذلك وحاشاه (١)

(١) فى كامل ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٠ كان محمد بن سيرين يقول : ما علمت أن علياً أتهم فى قتل عثمان حتى بويع فلما بويع اتهمه الناس ، وفى التمهيد للباقلانى ص ٢٣٥ : كان علي « ع » يقول بالبصرة : والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله ولكن الله قتله وأنا معه فظن قوم انه أخبر عن نفسه بالقتل بقوله : « وأنا معه » وإنما أراد ان الله أماته ويميتنى معه لأنه حلف وهو الصادق أنه ما قتله ولا مالأ عليه ، وفى العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٤ فى باب براءة علي من دم عثمان كان علي « ع » فى الكوفة يقول : ولئن شاءت بنو امية لأباهلنهم عند الكعبة خمسين يميناً ما بدأت فى حق عثمان بشيء وفى مجموع الفتاوى المصرية لإبن تيمية ج ٤ ص ٢٢٤ : كان علي « ع » يحلف وهو البار الصادق بلا يمين أنه لم يقتل عثمان ولا رضى بقتله . وفى تاج العروس شرح القاموس ج ٨ ص ١٤١ مادة نفل النفل الحلف ومنه حديث علي « ع » : لوددت أن بنى امية رضوا ونفلنا خمسين من بنى هاشم يحلفون ما قتلنا عثمان ولا نعلم له قاتلا أى حلفنا لهم خمسين يميناً على البرائة . وفى إصلاح المنطق لإبن السكيت ص ١٧٠ باب ما يهمز وترك العامة همزه فى مادة « ملأ » يروى عن علي بن أبى طالب أنه قال : والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله والتمالؤ الإجتماع على الأمر . وفى كتاب صفين لنصر ص ٦٠ مصر قتل المغيرة ابن الأخنس يوم الدار مع عثمان فقال ابنه شعراً يعذر علياً عن الإشتراك مع القوم فقال من أبيات :

فأما علي فاستغاث ببيته فلا آمر فيها ولم يك ناهيا

ولإبن ابى الحديد كلمة فى شرح النهج ج ١ ص ١١٢ مصر تدل على فتمه بالحوادث فقال : كان معاوية شديد الإنحراف عن علي « ع » لأنه يوم —

ثم قال : ويجب على الامام قتال البغاة لاجماع الصحابة عليه ولا يقاتلهم حتى يبعث اليهم أميناً عدلا فطناً ناصحاً يسألهم عما ينقمونه على الامام تأسياً بعلي عليه السلام في بعثه ابن عباس الى الخوارج بالنهروان فرجع بعضهم الى الطاعة (١) .

وحديث مناظرة بن عباس مع الخوارج مذكور في آخر خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٤٨ .

وقال الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١١٠٠ : حديث النبي (ص) تقتل عمار الفئة الباغية وقد قتله اصحاب معاوية وكان مع علي (ع) بصفين وهو صريح في أن الخليفة هو علي (ع) وأن معاوية مخطيء في اجتهاده والباغية من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله : اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سميه هو عمار كان مع علي (ع) وهذا هو الذي ندين الله به وهو أن علياً كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتله عثمان (٢) .

وقال الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ في حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله : تكون امتي فرقتين يخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهما بالحق دلالة على أن علياً (ع) ومن معه هم المحقون ومعاوية ومن

ــ بدر قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وشرك فى جده عتبة أو عمه شيبة وقتل من اعيان بنى عبد شمس وامثالهم نفراً كثيراً فمن هنا أشاع نسبة قتل عثمان اليه أو انضواء القتلة اليه .

(١) شرح المنهاج ج ٤ ص ١١٠ و ١١٢ .

(٢) شرح الشفا ج ٣ ص ١٦٦ طبع سنة ١٣٢٦ .

معه هم المبطلون (١) .

وحكى ابو الثناء الألوسي المفسر عن بعض الحنابلة التصريح بوجوب قتال الباغين لأن علياً (ع) اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغين دون الجهاد فهو إذاً أفضل من الجهاد ثم ذكر ندم عبدالله بن عمر على تركه المشاركة مع علي (ع) فى قتال الباغين ولم يتعقبه الألوسي بشيء (٢) .

هذه نصوص علماء السنة في أحقية علي بالخلافة من غيره وان الخارج عليه باغ يستحق القتال حتى يثوب الى الحق ولذا كان خيار الصحابه والتابعين معه ومنهم اويس القرني فانه فى الرجالة يوم صفين (٣) .

وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول ما وجدت فى نفسي من شيء ماوجدت اني لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى وكان يحدث بما اخبر به النبي (ص) ان ابن سميه عماراً تقتله الفئة الباغية ، وان البغاة على الامام علي معاوية واصحابه ولما سئل عن تركه المشاركة مع علي بن ابي طالب يوم صفين اعتذر بما لا يجديه يوم فصل الخطاب فقال : اني لم أضرب بالسيف ولم أطعن بالرمح ولكن رسول الله (ص) قال أطع أباك فأطعته (٤) .

هذا هو التمويه والخداع كيف يسوغ التدرع عن مخالفة الحق بحمل كلام النبي (ص) على غير حقيقة أتجوز الشريعة حمل الحديث على

(١) نيل الأوطار ج ٧ ص ١٣٨ .

(٢) روح المعاني ج ٢٦ ص ١٥١ مصر .

(٣) عمدة القارى للعينى ج ١١ ص ٣٤٦ .

(٤) عمدة القارى للعينى ج ١١ ص ٣٤٦ .

وجوب طاعة الأب حتى اذا استلزمت ترك الفرائض او ارتكاب المحرمات ؟
- كلا - إن طاعة الامام الذي تمت له البيعة كانت مفروضة في أعناق المسلمين لا مناص للامة حينئذ إلا الخضوع له ووجوب امتثال أمره فيما يدعوهم اليه ولاطاعة للأبوين في قبال طاعة الامام (ع) ولعل قوله تعالى : « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » شامل لذلك ، فان المراد من الشرك المنهي عنه الكناية عن ترك الانقياد لله سبحانه ويدخل فيه الاعراض عن طاعة النبي (ص) والامام الذي تمت له البيعة في اعناق المسلمين .

ان الشريعة المقدسة أوجبت على امام الامة إقامة الحجة على كل من عانده وخرج عن طاعته بتذكير آلاء الله تعالى المتتابعة على العباد مع ما هم عليه من التمرد والطغيان .

ثم يعرفهم بأن الدنيا الزائلة لا تعود على المنهمك فيها إلا بالخسران إذ لعل بالمواعظ القدسية وتلاوة الآيات المحكمة يستنير من اعمته الشهوات فيبصر سبيل الرشاد ويلمس الحقيقة الناصعة .

ولقد سار امير المؤمنين (ع) على هـــذه الخطة التي سنها قانون الاسلام في أيامه الثلاثة بعد الهتاف بأصحابه ألّا يتعدوا مقررات الشريعة ومنها عدم الاستعجال في القتال حتى تكون الفرقة المقابلة لهم هي العادية بقتال المؤمنين لتثبت الحجة على البادي بالظلم (١) .

وقد أكثر سلام الله عليه وعلى ابنائه المعصومين من وعظ اهل الجمل وصفين والنهروان كيلا يبقى لأحد عذر يوم نشر الصحف . وتدحض حجة

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٤ فى وصاياه « ع » .

كل من بلغته دعوته وأصر على الخلاف والعناد ، فاستضاء بأنوار ارشاداته من هداه الله الى الايمان وضل من ضل عن سبيل الحق .

الحسين يوم الطف

وعلى هذه السنن مشى أبو عبد الله الحسين (ع) يوم الطف فلم يبدأ القوم بقتال مهما رأى من اعدائه التكاتف على الضلال والمقابلة له بكل ما لديهم من حول وطول حتى منعوه وعياله وصحبه من الماء الذي لم يزل صاحب الشريعة (ص) يجاهر بأن الناس فى الماء والكلاء شرع سواء لأنه عليه السلام أراد اقامة الحجة عليهم فوقف في ذلك الملأ المغمور بالأضاليل ونادى بحيث يعي الجماهير حجته ، فعرفهم أولاً خسارة هذه الدنيا الفانية لمن تقلب فيها فلا تعود عليهم إلا بالخيبة ثم تراجع ثانياً الى التعريف بمنزلته من نبي الاسلام وشهادته له ولأخيه المجتبى بأنهما سيدا شباب اهل الجنة وناهيك بشهادة من لا ينطق عن الهوى وكان محبواً بالوحي الآلهي أن تؤخذ ميزاناً للتمييز بين الحق والباطل ، وفي الثالثة عرفهم بأنه يؤدي كلما لهم عنده من مال وحرمات ، وفى الرابعة نشر المصحف الكريم على رأسه ودعاهم الى حكمه وحتى اذا لم تجد هذه النصائح القيمة فيهم ووضح لديه اصرارهم على الغي والعناد لله تعالى ولرسوله (ص) كشف الستار عن الاباء العلوي الذي انحنت عليه اضالعه ورفع الحجاب عن الأنفة التى كان ابناء علي (ع) يتدارسونها ليلا ونهاراً وتلهج بها أنديتهم فقال صلوات الله عليه :

ألا وأن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا واني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر .

كيف يلوى على الدنية جيداً لسوى الله مالواه الخضوع
ولديه جأش ارد من الدرع لظمىء القنا وهن شروع
وبه يرجع الحفاظ لصدر ضاقت الارض وهي فيه تضيع
فأبى أن يعيش إلا عزيزاً أو تجلى الكفاح وهو صريع (١)

هذه وصايا الشريعة المطهرة واحكامها الباتة في الدعوة الى الحق والنهضة لسد باب الباطل وكما الزمت جهاد المضلين المشركين أباحت ترك الجهاد للصبي والمقعد والأعمى والشيخ الكبير والمرأة والبالغ الذي لم يأذن له أبواه لكن مشهد « الطف » خرق ناموسها الاكبر وجاز تلك المقررات جريا على المصالح والأسرار التي قصرت عنها أحلام البشر وقد تلقاها (أبي الضيم) عليه السلام من جده المنقذ الاكبر وابيه الوصي المقدم . فالحسين (ع) لم يشرع سنة أخرى في الجهاد ، وإنما هو درس إلهي أثبته اللوح الأقدس في عالم الابداع محدد الظرف والمكان تلقاه الأمين جبرئيل وأفاضه على حبيب الله وصفيه « محمد » صلى الله عليه وآله فأودعه صاحب الدعوة الآلهية عند ولده سيد الشهداء (ع) .

فكل ما يشاهد في ذلك المشهد الدامي من الغرائب التي تنحسر عن الوصول الى كنهها عقول الرجال فهو مما آثر المولى سبحانه به وليه وحجته

(١) من قصيدة في الحسين للسيد حيدر الحلي رحمه الله .

أبا عبد الله الحسين عليه السلام .

وعلى هذه السنن مشى شهيد الكوفة مسلم بن عقيل المميز فى العلم والعمل ووفور العقل والملكات القدسية كما يقتضيها تأهله للولاية والنيابة عن الامام الحجة (ع) وقد كابد من شدة الظما ما يجوز له شرب النجس ولكن ابن عقيل كقمر الهاشميين رضيعا لبن واحد وخريجا مدرسة الامامة والعصمه فحازا أرقى شهادة في الاخلاص بالمفادات دون الدين الحنيف من أئمة معصومين جعلتها القدوة في الأعمال الصالحة ، فكما أن مسلم لم يذق الماء حتى لفظ نفسه الأخير عطشاً لم تسمح نفس أبي الفضل في الورود حين زلزل الصفوف عن مراكزها حتى ملك الماء وحده ، وقد علم بعطش سيد الشهداء وحرائر المصطفى (ص) والصبية الفاطمية ، فلم تجوّز له الشريعة التى تلقاها من أبيه الوصي وأخويه الامامين « إن قاما وإن قعدا » على حد تعبير النبي (ص) الروي من ذلك المعين تداركا لنفس حجة الوقت ولو في آن يسير ، غير أن المحتوم عاقه عن بلوغ الأُمنية :

لم يذق الفرات أُسوة به ... ميما بمائه نحو الخبا

لم ير في الدين يبل غلة ... وصنوه فيه الظما قد ألهبا

والمرتضى أوصى اليه فى ابنه ... وصية صدته عن أن يشربا

لذاك قد أسنده لدينه ... وعن يقين فيه لن يضطربا

هذا من الشرع يرى فعلته ... ومن صراط احمد ما ارتكبا

ومثله الحسين لما ملك الماء ... فقيل رحله قد نهبا

أم الخيام نافضا لمائه ... إذ عظم الامر به واعصوصبا

فكان للعباس فيه اسوة إذ فاض شهما غير مفلول الشبا (١)

لقد نهض ابو عبدالله الحسين (ع) بذلك الجمع النزر المؤلف من شيوخ وصبية ورضع ونساء مع العلم بأن مقابليه لا يرقبون فيه إلاً ولا ذمة قادمين على استئصال شافة النبي (ص) في أهله وذويه، لكن سياسة «شهيد الطف» التي لا يدرك مداها وتتحسر العقول عن تفسير مغزاها عرفت الأجيال الواقفين على هذه الملحمة التي لم ينتج الدهر مثلها بأعمال هؤلاء الجبابرة الذين لم يسلم أسلافهم حين أظهروه إلا فرقاً من سيف الاسلام، وقد أصاب ابو عبدالله (ع) شاكلة الغرض يوم تقشعت سحب الأوهام بأنوار نهضته اللماعة وهتاف حرمه الذي بلبل الأفكار وأقلق الأدمغة حتى راحت الأندية تلهج بما احتقبه هؤلاء الطغاة ومن قبلهم من الشنار والعار.

الرخصة في المفارقة

وعلى هذا النهج القويم تكون مصارحة سيد الشهداء بكلمته الثمينة البعيدة المغزى الحكيمة الأساس المتضمنة تجويزه لأهل بيته وصحبه مفارقته ونص ما يتحدث به المؤرخون عن ذلك قوله عليه السلام لأهل بيته وصحبه عشية التاسع من المحرم: اني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من اصحابي ولا اهل بيت أبر واوصل من اهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً

---

(١) للحجة الميرزا محمد علي الغروي الأردوبادي.

ألا وإني اظن يومنا من هذا غدا واني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً خيرا وتفرقوا فى سوادكم ومدائنكم فان القوم إنما يطلبوني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري (١) .

ما أجل مغزاك يا أبي الضيم وما أسمى ما ترمي اليه يا سيد الشهداء وما أحكم أقوالك وأفعالك يا روح النبوة بلى أن هذه الجملة الذهبية كتبت أسطراً نورية على جبهات الدهر أن اولئك الصفوة الميامين الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنهم سادة الشهداء وأنهم لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق (٢) زبد العالم ونخبة الكون واستضئنا من تلك الاشعاعات طوايا نياتهم من الحزم والثبات والاخلاص فى المفاداة والتضحية القدسية ، وفي كل ذلك دروس راقية لمن يريد اقتصاص أثر اولئك الاباة في الترفع عن الدنايا ، والموت تحت راية العز وعدم الخضوع للسلطة الغاشمة ، فاما ظفر بالامنية أو فوز بالشهادة والسعادة .

ولولا تلك الرخصة بالمفارقة الصادرة من أمين الشرع والشريعة وتلك الكلمات التي أباحتها نفوسهم الطاهرة لما أمكن للأجيال معرفة مبلغهم

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٣٨ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢٤ وفى البداية لإبن كثير ج ٨ ص ١٧٨ ذكر اذنه بالمفارقة واصرار اصحابه واهل بيته على المفادات ورواه الفضل بن شاذان النيسابورى فى « اثبات الرجعة » عن أبي حمزة عن ابى جعفر « ع » ورواه الشيخ المفيد فى الارشاد والطبرسى فى اعلام الورى والفتال فى روضة الواعظين وذكره الخوارزمى فى المقتل ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه ص ٩٩٩ و ص ٩٧٠

من العلم واليقين وتفاضلهم فى الملكات وطموحهم الى أبعد الغايات السامية والثبات على المبدأ باخلاص وبصيرة .

فسيد الشهداء أراد بذلك اختبار نفسياتهم والاختبار من الحكيم العالم بما كان ويكون لا يحط من علمه ووقوفه على الخفايا بعد أن كانت الغاية الملحوظة له ثمينة والمقصد سام وهو الذي أشرنا اليه من التعريف بملكات أصحابه وأهل بيته ولا حزازة فى هذا الاختبار بعد أن صدر مثله من « فاطر الاكوان » جل شأنه الذي لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً فيأمر خليله ابراهيم بذبح ولده اسماعيل وهو لا يريده مع العلم بطاعة رسوله الخليل وثبات نبيه اسماعيل لولا المصلحة التي يعلمها رب العالمين وإن انحسرت عن ادراكها العقول .

وأبو عبد الله « ع » أراد بهذا الاختبار تعريف الأجيال مبوأ أهل بيته وصحبه من الشرف والعز وطهارة أعراقهم وخضوعهم لما فيه مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

إن العلم بمبلغ أي رجل في العالم من الطهارة والثبات على المبدأ والطاعة للأصلح المرضي للمولى تعالى لا يحصل إلا بأقواله المشفوعة بالعمل الصحيح أو بشهادة من له الوقوف على حركاته وسكناته ولم يخف على كل أحد قصور التأريخ الذي بأيدينا عن كثير من أعمال الرجال الصالحين الذين بذلوا كل ما لديهم من جاه وحرمات في سبيل تأييد الشريعه الحقة ولم يحمل التأريخ شيئاً من أعمال اولئك الصفوة « شهداء كربلاء » لنتشوف منه قداسة ضمائرهم وخلوص نياتهم وتزكية نفوسهم غير ذلك المشهد الدامي ولولا تلك الأقوال التي صارح بها صحب الحسين عليه السلام وأهل بيته حينما أبدى لهم الرخصة

في مفارقته وأباح لهم تخليته مع القوم الذين تجمهروا عليه لما عرفنا تفاضلهم في الملكات وتفاوتهم في النظرات البعيدة الغور والفضيلة لم يستو فيها البشر والعلم نور يقذفه الله تعالى فى قلب من يشاء من عباده مع التفاوت شدة وضعفاً .

فهذا مسلم بن عوسجة الأسدي لم يكشف التأريخ عن أعماله الخالدة ومزاياه الصالحة بقليل ولا كثير غير كلمة شبث بن ربعي أنه غزا مع المسلمين « آذربيجان » وقتل ستة من المشركين قبل فتام خيول المسلمين وما عسى أن يتعرف منها القارىء مدى ولائه الأكيد لخلفاء النبي « ص » وعدم تغيره بتطور الزمن وملابسات الأحوال ولكن قوله للحسين « ع » : أنحن نخلي عنك ولما نعذر الى الله تعالى فى أداء حقك أما والله لا افارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك .

أفادنا بصيرة بثبات الرجل على المبدأ فى آخر مرحلة من مراحل الوجود وإنه لا يهمه فى سبيل مرضاة الله تعالى ورسوله كل ما يلاقيه من آلام وجروح دامية وقد شفع هذا القول بالجهود في العمل حين استقبل السيوف والرماح بصدره ونحره كما لم يقتنع بهذا حتى أوصى حبيب بن مظاهر ذلك الذي استفاد علم المنايا والملاحم من أمير المؤمنين بنصرة الحسين عليهما السلام وإنه لا يعذر عند رسول الله « ص » بالتقصير في حقه وهو فى آخر رمق من الحياة وفاضت نفسه الغالية على هذه المقيدة والطاعة (١) .

---

(١) يذكرنى هذا التفانى دون ابن بنت المصطفى اعتذار سعد بن أبى وقاص لما طلب منه أمير المؤمنين « ع » نصرته فقال كما فى كتاب الجمل للشيخ —

وتابعه في اخلاص الولاء والمفاداة سعيد بن عبدالله الحنفي إذ يقول : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله « ص » فيك والله لو علمت أني اقتل ثم احيا ثم احرق حيا ثم اذرى يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .

فوقف دون أبي عبد الله « ع » ونصح في الذب عنه ولم يقنعه ما أصابه من الجروح الدامية حين استهدف لأعداء الله تعالى دون الحسين عليه السلام وهو يصلي الظهر في حومة الميدان حتى استفهم من أبي الضيم أنه أدى أجر الرسالة ووفى بما أوجبه الله عليه فيموت جذلا برضى « الرب » تعالى أم هو التقصير فالخيبة والخسران فطمنه أبو عبد الله « ع » بنيل السعادة بالشهادة وملاقاة الرسول قبله .

وما إن فرغ من خطابه حتى قدم زهير بن القين البجلي يتلو على مسامع الأجيال تعاليم راقية في الدعوة الى الدين أعقبت له الخلود الى الأبد فيقول للحسين : والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل على هذه الف مرة وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك .

لا شك في قبول الطاعه من العبد لو كان ما يأتي به من الأعمال بلحاظ الربح يوم الخلود ولكن هناك ما هو أبعد غوراً وأسمى قصداً وهو طاعة أهل اليقين الذين لا يهمهم في أداء ما وجب عليهم إلا كون المولى سبحانه

ـ المفيد ص ٥٩ طبع ثاني اني اكره الخروج في هذا الحرب فاصيب مؤمناً إلا أن تعطيني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر .

أهلا للعبادة « وابن القين » وعاء اليقين والايمان الخالص أقرأنا في هذا الموقف نظراته البعيدة وعقائده الحقة وغاياته السامية من حفظ شخص الامامة الواجبة من قبل الله تعالى والنفوس العزيزة لرسول الله « ص » وإنه لا يريد بعبادته لله تعالى فى جهاد أعدائه ثواب الآخرة والمجازاة على الجهود يوم تقسم الاجور على الصالحات وإنما أراد بهذه العبادة دفع اليد العادية عما يسوء شخص الرسالة الممتزجة بشخصية حجة الوقت على حد تعبير النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها .

« حسين مني وأنا من حسين » فان صاحب الشريعة لم يرد بهذا التنزيل تعريف الامة بكون شهيد الطف بضعة منه لما فيه من الركاكة التي يأباها كلام سيد البلغاء لأن كل ولد بضعة من أبيه فلا امتياز للحسين ولكنه صلى الله عليه وآله بهذه الجملة الذهبية الاشارة الى ما ينوء به سيد الشهداء من توطيد اسس الاسلام وكسح أشواك الباطل عن صراط شريعة العدل وتنبيه الامم على جرائم أعمال من يعبث بقداسة الدين فكما أن النبي « ص » أول ناهض لنشر الدعوة الالهية يكون الحسين آخر ناهض لتثبيت دعامتها :

قد أصبح الدين منه شاكياً سقماً | وما الى أحد غير الحسين شكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً | إلا اذا دمه في كربلا سفكا
وما سمعنا عليلا لا دواء له | إلا بنفس مداويه اذا هلكا
بقتله فاح للاسلام نشر هدى | فكلما ذكرته المسلمون ذكا (١)

ولولا هذه المصارحة من « ابن القين » لما أمكننا استطلاع ما اختبأ بين جوانحه من الولاء الأكيد لمن وجبت لهم العصمة من المهيمن سبحانه

(١) من قصيدة فى الحسين للسيد جعفر الحلي طبعت فى ديوانه .

وقيضهم أعلاماً لعباده وحفظة لشرعه مع أن التأريخ لم يسجل له غير الموالاة « لعثمان بن عفان » ومقت ابن الرسول الأطهر .

أما موقف عابس بن أبي شبيب الشاكري يوم البيعة لمسلم بن عقيل بالكوفة ويوم الطف يفسر فضله الكثير وعقيدته الراسخه بمحبة أهل البيت عليهم السلام وإنه لا يهمه في سبيل حفظ الامام « ع » ولو في بعض الأناة إزهاق نفسه وبذل كل ما لديه من نفيس فيقول لمسلم بن عقيل حينما شاهد تلك النفوس الخائنة متداكة على البيعة له : إني لا اخبرك عن الناس ولا أعلم ما نفوسهم وما أغرك منهم ووالله إني احدثك عما أنا موطن نفسي عليه والله لاجيبنكم اذا دعوتم ولاقاتلن معكم عدوكم ولاضربن بسيفي دونكم حتى التقى الله لا اريد بذلك إلا ما عند الله (١) .

ففسر بهذه الكلمة الموجزة نوايا القوم وخور عزائمهم وأنهم مجبولون على الغدر والنفاق ومتابعة الأهواء وأنهم لم يرقهم المكاشفة في الميل عنه لئلا يعود ذلك فتاً في عضد البيعة الواهية ومثاراً للاحن فاجملوا القول وهم ينتظرون نواجم العاقبة وإلا فلم لم يحصل له الواحد من هؤلاء الآلاف يدله على الطريق يوم اظلمت عليه الآفاق فلم يدر الى أين يتوجه .

ثم يقول ابن أبي شبيب للحسين يوم الطف : ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليك منك ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعز علي من نفسي لفعلت (٢) .

بلى يا ابن أبي شبيب إن الرجال المخلصين لله تعالى المتفانين في خدمتة

---

(١) تأريخ الطبرى ج ٦ ص ١٩٩

(٢) تأريخ الطبرى ص ٢٥٤

لا يرون الوجود إلا متلاشي الأطراف والبقاء الأبدي بنصرة الامام علة الكائنات ومدار الموجودات .

ثم يقوم نافع بن هلال فيقول : والله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك . ويتكلم أصحابه بما يشبه ذلك .

ولما أذن عليه السلام لأهل بيته بالانصراف قالوا بأجمعهم بصوت واحد : أنفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً . ثم التفت الى بني عقيل وقال : حسبكم من القتل بمسلم قد أذنت لكم .

فانطلقت السنتهم تعبر عما اضمر فى جوانحهم من النصرة للدين والذب عن شخص الامام الحجة فقالوا : إذن ما نقول للناس إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف لا والله لا نفعل ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا نقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك .

إن هذه المفاداة فى ذلك المأزق الحرج الذي تقطعت فيه خطوط المدد وسد دونهم باب الورود المباح للحيوانات تكشف عن بلوغهم أسمى صفات الكمال وتجردهم عن عوارض الدنيا الفانية ولو كانوا يحملون أقل شيء من الرغبة فى البقاء والتبلغ فى هذا الوجود لاتخذوا الاذن بالمفارقة ذريعة يتدرعون بها يوم الحساب ولكن هذه النفوس التي فطرها « رب العالمين » سبحانه من طينة القداسة وامتزجت بنور اليقين لا ترغب فى البقاء إلا أن تحق الحق أو تبطل الباطل وهل تستمرىء العيش وهي تعلم ما يلاقيه فلذة كبد الرسول ومهجة الاسلام من الجروح الدامية والاوام المبرح :

نفوس أبت إلا تراث أبيهم فهم بين موتور لـذاك وواتر
لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى كما أنست أقدامهم بالمنابر (١)

وفي هذا الحين انهي الى محمد بن بشير الحضرمي خبر أسر ابنه بثغر الري فقـال : عند الله أحتسبه ونفسي ما احب أن يؤسر بعده فلما سمع الحسين « ع » هذا منه أذن له بالمفارقة وحل عقد البيعة ليعمل في فكاك ابنه فلما سمع ذلك من سيد الشهداء ثارت به حمية الدين وحفزه الولاء الصادق الى اظهار عقيدته الراسخة فى التفانى دون شخص الامام فقال : يا أبا عبد الله أكلتني السباع حياً إن فارقتك .

إن الايمان الثابت والطاعة لله تعالى وللرسول يرفعان من تمكنا فيه الى أوج العظمة وفوق مستوى الفضيلة ولو كان ابن بشير متزلزل العقيدة لاغتنم فرصة الاذن بالانصراف عذراً عند المولى سبحانه وعند الناس .

إن « الشهامة الحسينية » لم تترك لصاحبها منتدحاً دون المجـاهرة بالأفراج عن العبد الأسود « جون مولى أبي ذر الغفاري » لئلا يقيده الحياء عن الفرار ولكن سيد الشهداء بعد أن عرف صبره وثباته عند الهزاهز أراد بامتحانه تعريف المتجمهرين عليه ومن يأتي من الامم نفسية هذا العبد الأسود ومبلغ موقفه في الذب عن الشريعة التي تلاعبت بها أيدي الخائنين مهما تفاقم الخطب وتراكمت الأهوال فأباح له حل العهدة والنجاة بنفسه فقال له : ياجون إنما تبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقتنا فعندها تسابقت دموعه خوفاً من عدم التوفيق لنيل السعادة الخالدة وقد مزجها بقوله الذي لم يزل رجع صداه فى مسامع الأجيال معرفاً بنجاح الصابر عند الهزاهز (وإنما الراحة بعدالعنا) .

---

(١) مثير الأحزان لابن نما .

فقال : أنا فى الرخاء الحسن قصاعكم وفى الشدة أخذلكم إن ريحي لنتن وحسبي لئيم ولوني أسود فتنفس علي بالجنه ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم (١) .

ولولا هذه المصارحة من الحسين « ع » لما تسنى لكل أحد الوقوف على طهارة ضمير هذا العبد ونواياه الحسنة وأن ثباته على القتل بعد الافراج والاذن بالمفارقة عن عقيدة راسخة .

الخلاصة

إن حفظ شخص الامام كحفظ شخص النبي « ص » مما يلزم به العقل والشرع ولا يسع كل أحد التخلف عنه وتركه ومن يريد استئصاله بل الواجب بذل النفس والنفيس دونه ليدرأ بذلك العدوان عن نفس الامام الذي هو حياة الوجود وبقاء الكون كما يجب على الامام عليه السلام الدعوة الى نصرته والدفاع عنه وأما مع العلم بأن المواقف له قادم على إزهاق نفسه القدسية وإنه لا ندحة له عن دفع الموت فيجوز له عدم إلزام أي أحد بالدفاع عنه لخلوه عن الفائدة .

والحسين كان عالماً بما يجري عليه من أعدائه وعد لا خلف فيه وقضاء غير مردود كما أنبأ ام سلمة بقوله : إن لم أخرج اليوم خرجت في غد وإن لم أخرج فى غد فبعد غد وهل من الموت بد أتظنين أنك تعلمين ما لم أعلمه .

إذاً فلا يجب عليه إلزام الغير بالدفاع عنه نعم لا يسقط التكليف عمن فقد العلم بالمقدرات الالهية من البشر فى القيام بالدفاع عن شخص الامام

(١) اللهوف ص ٦١ صيدا .

الحجة ولا يعذر من يبصر حصار القوم لمن أهله الله تعالى خليفة على العباد وقطعهم خطوط المدد عنه وسد باب الورود عليه فلم ينهض لرد العادية عنه كيلا يخلص اليه ما يزهق نفسه القدسية ولا يقبل الله تعالى حجة من ينظر هذا الحال ثم يتقاعس عن النصرة وإن اعصوصب الأمر وتفاقم الخطب اللهم إلا أن يأذن حجة الزمن بمفارقته وتخليته مع أعدائه لكونه العالم بالمصالح تعليما من لدن حكيم عليم تعالى شأنه وحينئذ لا يلزم العقل ولا الشرع بالبقاء معه والدفاع عنه ولا يكون من يفارقه متعدياً على مقررات الشريعة ويصح له العذر يوم نشر الصحف بترخيص الامام عليه السلام في ترك نصرته ولا يكون الامام مجازفاً لو أباح للغير تخليته وأعدائه وحل عقدة العهد بعد التسليم بانه لا يتخطى المصالح الواقعية قيد شعرة هذا ما يقتضيه تكليف الامام وأما تكليف المأذون بالانصراف فانه اذا لم يشاهد استغاثة الامام واستنصاره فلا تبعة عليه ولا مسؤولية وأما مع مشاهدته حيرة الامام وتتابع استغاثته فلا يسوغ له ترك النصرة للقطع بأنه فى هذا الحال بحاجة ماسة الى الذب عنه فلا يقبل منه العذر يوم الحساب .

وإن كلمة أبي عبد الله « ع » لعبيد الله بن الحر الجعفي يوم اجتمع معه في قصر بني مقاتل لما استنصره فأبى عليه إذ قال له الحسين « ع » : إني أنصحك إن استطعت أن لا تسمع واعيتنا وصراخنا ولا تشهد وقعتنا فافعل فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبه الله على منخريه في نار جهنم .

تؤيد ما سجلناه من دحض حجة من يسمع استغاثة الامام ثم لا ينصره وأما من لم يسمع الواعية وقد أباح له المفارقة فهو معذور .

فالضحاك بن عبد الله المشرقي لا يعذر يوم الحساب لأن استنصار الحسين فى مسامعه ويراه مكثوراً فالواجب عليه الدفاع الى آخر نفس يلفظه .

وهذا الرجل جاء الى الحسين قبل اشتباك الحرب وقال : له إني اقاتل معك ما رأيت معك مقاتلا فاذا لم أر أحداً فأنا فى حل فقال له الحسين نعم فخبأ فرسه فى بعض الأبنية لما رأى خيل أصحاب الحسين (تعقر) وصار يقاتل راجلا ولما بقي الحسين وحده قال له الضحاك إني على الشرط قال نعم أنت في حل إن قدرت على النجاة فأخرج فرسه من الفسطاط وركبها وغار على القوم فافرجوا له وتبعه خمس عشرة رجلا فانتهى الى (شفيه) قريبة من شاطىء الفرات ولحقه القوم وعرفه أيوب بن مشرح الحيواني وكثير ابن عبد الله الشعبي وقيس بن عبد الله الصائدي وقالوا لاخوانهم هذا ابن عمنا ننشدكم الله لما كففتم عنه فنجا منهم « تأريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ » .

بقاء الشريعة بالحسين

لقد كانت نهضة الحسين الجزء الأخير من العلة التامة لاستحكام عروش الدين حيث أنها فرقت بين دعوة الحق والباطل وميزت احدى الفريقين عن الآخر حتى قيل : إن الاسلام بدؤه محمدي وبقاؤه حسيني . ولذلك لم يجد أئمة الهدى وسيلة لنشر أمرهم في الاصلاح ونفوذ كلمتهم في إحياء شرع جدهم الأقدس إلا لفت الأنظار الى هذه النهضة الكريمة لما اشتملت عليه من فجائع تفطر الصخر الأصم ويشيب لها فود الطفل ويذوب

الفؤاد فطفقوا عليهم السلام يحثون الامة على تأييدها والقيام بذكر ما لاقاه شهيد الاصلاح من القسوة والاضطهاد وإعلام الامة بما حدث في تلكم المشاهد الدموية من مظلومية الحسين وأهله وذويه لأنهم صلوات الله عليهم علموا أن في إظهار مظلوميته مجلبة للعواطف واسترقاقاً للأفئدة فبطبع الحال يتحرى السامع لتلكم الفجائع الوقوف على مكانة هذا المضطهد وأسباب ما ارتكب منه من أعمال قاسية .

وطبعاً يعلم أن سبط النبوة إمام عدل لم يرضخ للدنايا ولم يصخ الى دعوة المبطلين وإن إمامته موروثة له من جده وأبيه (الوصي) وإن من ناوأه لا يملك من منصة الخلافة موضع قدمه وكذا كل من حذا حذوه وذهب على شاكلته .

واذا عرف السامع هذا علم الحق كله في جانب الحسين ومن خلفه من أئمة الدين فلم تدع له عقليته إلا السير معهم واعتناق طريقتهم المثلى وبذلك تتوطد اسس السلام والوئام .

لقد أقعدت السلطة الغاشمة من بني امية وبني العباس أهل البيت عليهم السلام في دورهم وأوصدت عليهم أبواب الاجتماع بشيعتهم فلاقوا منهم ضروب الأذى والتنكيل فآثروا العزلة على الخروج بالسيف في وجه دعاة الباطل مع ما يشاهدونه من تمادي اولئك في الطغيان وظلم شيعة أمير المؤمنين وأبنائه وتتبعهم تحت كل حجر ومدر وإبادتهم العلويين من جديد الأرض وكان بمرأى منهم بناء المنصور والرشيد الاسطوانات على ذرية فاطمة عليها السلام ظلماً وعدواناً (١) .

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ص ٦٢

ولكن لم يفتهم الجهاد الأكبر بتحريض شيعتهم على عقد المحافل (١) لذكر حادثة الطف الخالدة وتواصل الاستياء لما هنالك من فجائع ومصائب واسبال الدموع لكارثتها المؤلمة وأكثروا من بيـــان فضل ذلك الى حد بعيد لأنهم علموا أن هذا هو العامل القوي في ابقاء الرابطة الدينيـــة التي لأجلها لاقى أمير المؤمنين (ع) ما لاقاه وأصاب ولده الحسن (ع) ما أصابه ومصاب الحسين يدكدك الجبال الرواسي .

فكان أهل البيت عليهم السلام يتحرون أساليب مختلفة من البيـــان توجب توجيه النفوس نحو التذكارات الحسينية لما لها من العلاقة التامة لحفظ المذهب عن الاندراس فعبروا عنها بالعموم تارة وبالخصوص اخرى فيقول

---

(١) عقد المحافل للتذكير بتلك الفاجعة المؤلمة لا يقتصر فيه على ذكرها في البيوت فقط فانه خلاف اطلاق الأخبار ففي أمالي الصدوق عن الرضـــا عليه السلام من ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تعمى العيون ، وفي قرب الاسناد ص ٢٦ عن أبي عبد الله « ع » من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه . وفي كامل الزيارات ص ١٠٠ عن أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله وفيه من ذكر الحسين « ع » عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح الذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة . وهذه الأخبار الى نظائرها الكثير تحث بعمومها على كل وسيلة يتذكر بها مصاب الحسين أو مصاب أهل البيت « ع » سواء في ذلك عقد المأتم أو بذل المال لأجله أو نظم الشعر أو كتابة تلك الفوادح أو تدوينها أو إنشاد ما جرى عليهم أو تصوير تلك الفاجعة أمام الناس بكل مظهر من مظاهره فان الجامع لهذه الأنحاء قوله عليه السلام « من ذكر بمصابنا » .

الباقر عليه السلام : رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر في أمرنا فان ثالثهما ملك يستغفر لهما ، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله بهما الملائكة فاذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر فان في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياؤنا وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا الى ذاكرنا .

ويقول الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار : أتجلسون وتتحدثون قال نعم فقال عليه السلام : أما أني احب تلك المجالس فاحيوا أمرنا فان من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب .

فالأئمة عليهم السلام أرادوا بهذا النحو من البيان حمل الامة على الاعتقاد بامامتهم وما أوجبه المولى سبحانه من عصمتهم وما أهلهم له من الفضائل والفواضل وأن الدعوة اليهم ملازمة لاعتقاد خلافتهم دون من اغتصب ذلك المنصب الالهي .

إن التذكارات الحسينية على اختلاف أطوارها من عقد العزاء والمآتم (١) واللطم (٢) في الدور والشوارع أوجبت تقدم الطائفة ، وكان

---

(١) فى كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٧٤ عن مالك الجهنى أن الباقر عليه السلام قال : فى يوم عاشوراء وليندب الحسين ويبكيه ويأمر من فى داره بالبكاء عليه ويقيم فى داره مصيبته باظهار الجزع عليه ويتلاقون بالبكاء عليه بعضهم بعضا فى البيوت وليعز بعضهم بعضا بمصاب الحسين فأنا ضامن على الله لهم اذا فعلوا ذلك أن يعطيهم ثواب الفى الف حجة وعمرة وغزوة مع رسول الله والأئمة الراشدين عليهم السلام .

(٢) روى الشيخ الطوسى فى التهذيب ج ٢ ص ٢٨٣ آخر الكفارات عن الصادق عليه السلام أنه قال : ولقد شققن الفاطميات الجيوب ولطمن —

لمل الشبيه أوضح المصاديق والحجج على القساوة التي جاء بها الامويون ولقيفهم من تلاوة الشعر وذكر المصاب لتسرب ذلك بوضوح الى أدمغة الأطفال والعامة الذين لا يفهمون ما يشتمل عليه القريض والكتب من دقايق الحادثة وهو أحكم وآكد في تأثر النفوس وإحتدام القلوب فى حفظ الروابط المذهبية بين الأئمة ومواليهم وله نصيب وافر في رسوخ العقيـــدة .

ولقد قلد الشيعة فى تمثيل فاجعة الطف غيرهم من الهنود وبعض فرق الاسلام وهم في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الاسلامية (١) .

فكان لفت الأنظار نحو هذه التذكارات والاعتناق بها أمس في إحياء أمر المعصومين المحبوب لديهم التحدث والتذاكر فيه . ولعل جملة من هذه الفوائد لا تفهم الامة منها النكتة المهمة بل غاية ما يتصورون من فائدة عملهم هو الثواب عليه في الآخرة فقط ولكن الواقف على أسرار أهل البيت والمستشرف لمغازي أقوالهم وأفعالهم يتجلى له ما ألمعوا اليه من هذه النوادي والمجتمعات وحثوا شيعتهم عليه بمزيد لطفهم وأوسع علمهم .

— الخدود الفاطميات على الحسين بن علي وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب . وذكره الشهيد فى الذكرى فى البحث الرابع من المطلب الثالث من أحكام الأموات .

(١) ذكر الدكتور « جوزف » الفرنسى فى كتابه الاسلام والمسلمون الذى نشرت جريدة (الحبل المتين) منه فصلا بالفارسية فى عدد ٢٨ من سنتها ١٧ إن التمثيل والشبيه تداول بين الشيعة من زمن الصفوية الذين نالوا السلطة بقوة المذهب بفضل مساعدة علمائهم الروحانيين .

البكاء

من تلك الفوائد ما ورد من الحث الكثير البالغ حد التواتر على البكاء لما أصاب سيد الشهداء حتى جاء في ثواب من خرج من عينه كجناح الذباب انه يطفئ حر جهنم ، فان الغرض ليس إلا أن الدمعة لا تفاض إلا عند انفعال النفس وتأثرها مما يصيبها أو يصيب من تمت به بنحو من اسباب الصلة ، ولا شك انا نرى النفس عند تأثرها بذلك تكون متأثرة بشيء آخر وهو العداء والبغض لكل من أوقع الفوادح والآلام ، فالأئمة حيث أنهم أعرف الناس بمقتضيات الأحوال والملابسات التي تؤكد دعوتهم ، كانوا يتحرون التوصل الى اغراضهم بكل صورة وكان من الوسائل التي توجب انحراف الأمة عن اعداء الله ورسوله (ص) أمرهم بالبكاء على مصاب الحسين لما فيه من استلزام تذكر تلك القساوة المستلزم لانفعال النفس وانقباضها عما لا يلائم خطتهم ، وهذا هو المغزى لقول الحسين عليه السلام : « انا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا أستعبر (١) فالمؤمن حيث يمت بالحسين بالولاء والمشايعة كان ذلك موجباً لتأثر نفسه واحتدام قلبه عن كل من يوجه اليه الأضرار والأخطار ويشتد هذا التأثر عند تناهي تلك الفوادح .

---

(١) كامل الزيارة ص ١٠٨ .

التباكي

لقد راق أئمة الهدى (ع) أن تبقى تلك الذكريات الخالدة مدى الدهر تتحدث بها الأجيال المتعاقبة علماً منهم ببقاء الدين غضاً طرياً مادامت الأمة تتذاكر تلك الفاجعة العظمى ولم يقتصروا على لازمها وهو البكاء حتى رغبوا الى التباكي وهو التشبه بالباكي من دون أن يخرج منه دمع فيقول الامام الصادق : من تباكى فله الجنة (١) .

ومعلوم ان التباكي انما يتصور فيمن تتعسر عليه الدمعة لكنه لم يفقد التأثر لأجل المصاب كما يشاهد في كثيرين فالتأثر النفساني بتصور ماورد على المحبوب من آلام وفوادح يستلزم قهراً النفرة عمن أورد ذلك العدوان .

وفي الحديث عن النبي (ص) انه قرأ آخر الزمر : « فسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً » على جماعة من الأنصار ، فبكوا إلا شاباً منهم قال لم تقطر من عيني قطرة واني تباكيت قال (ص) : من تباكى فله الجنة (٢) .

وروى جرير عنه (ص) انه صلى الله عليه وآله قال : اني قاريء عليكم « الهاكم التكاثر » من بكى فله الجنة ومن تباكى فله الجنة (٣) .

وحدث أبو ذر الغفاري عن النبي (ص) : اذا استطاع أحدكم أن

---

(١) أمالي الصدوق ص ٨٦ مجلس ٢٩ .

(٢) كنز العمال ج ١ ص ١٤٧ .

(٣) كنز العمال ج ١ ص ١٤٨ .

يبكي فليبك ومن لم يستطع فليستشعر قلبه الحزن وليتباك فان القلب القاسي بعيد من الله (١) .

وهذه الأحاديث تدلنا على أن التباكي منبعث عن حزن القلب وتأثر النفس كالبكاء ، لكن في باب الرهبة منه سبحانه وتعالى يكون الحزن والتأثر لأجل تصور مايترتب على مخالفة المولى من الخزي فى الآخرة فيتباعد عنه ويعمل ما يقربه من المولى زلفة ، وفى باب تذكر مصائب آل الرسول يستوجب بغض من ناوأهم وأوقع بهم وأساء اليهم .

ولعل ما أشرنا اليه هو مراد الشيخ محمد عبده ، فانه قال : التباكي تكلف البكاء لا عن رياء (٢) .

ويقول الشريف الجرجاني : باب التفاعل أكثره اظهار صفة غير موجودة كالتغافل والتجاهل والتواجد ، وقد أنكره قوم لما فيه من التكلف والتصنع واجازه قوم لمن يقصد به تحصيل الصفة والأصل فيه قوله صلى الله عليه وآله : إن لم تبكوا فتباكوا ، أراد به التباكي ممن هو مستعد للبكاء لا تباكي الغافل اللاهي (٣) .

فالباكي والمتباكي مشتركان في احتراق القلب وتأثر النفس لأجل تصور ما ورد من الظلم على اهل البيت (ع) ومشتركان في لازمه وهو النفرة والتباعد عن كل من دفعهم عن مقامهم .

ومن لا يفقه مغازي كلام المعصومين يحكم بالرياء على المتباكي وبعد ما

---

(١) اللؤلؤ والمرجان للنورى ص٤٧ ، ومجموعة شيخ ورام ص ٢٧٢ .
(٢) تفسير المنار ج ٨ ص ٣٠١ .
(٣) التعريفات ص ٤٨ .

أوضحناه من السر تعرف قيمة البلاغة وقدر البلغاء .

وكم لأهل البيت عليهم السلام من أسرار غامضة لا يقف عليها إلا من مارس كلامهم ودرس مقتضيات الأحوال ، فانهم لم يزالوا يتحرون الوسائل الدقيقة لتوجيه النفوس نحوهم وتعريف ما لهم من حق مغصوب .

فمن ذلك ما أوصى به الامام الباقر (ع) باعطاء ثمانمائة درهم لنوادب يندبنه بمنى أيام الموسم (١) .

فانك اذا عرفت ان الناس من مختلفي الأقطار والمذاهب يجتمعون في منى أيام الحج وقد أحلوا من كل ما حرم عليهم إلا النساء وانها أيام عيد وتزاور فتعقد هنالك حفلات المسرة ونوادي التهاني .

تعرف النكتة الدقيقة التي لاحظها الامام (ع) باختياره أيام منى على عرفات والمشعر لاشتغال الناس بالعبادة والابتهال الى المولى سبحانه في هذين الموقفين مع قصر الزمان .

نعم في أيام منى حيث أنها ثلاثة وهي أيام عيد وفرح وسرور لا حزن وبكاء وطبعاً ان السامع للبكاء في أيام المسرات يستفز الى الأسباب الموجبة له ويتساءل عمن يندبنه وما هي دعوته وأعماله ويسأل عمن ناوأه ودافعه عن حقه ، وبهذا الفحص يتجلى له الحق والطريقة المثلى لأن نور الله لا يطفى والدعوة اليه جلية البرهان .

---

(١) التهذيب للطوسى ج ٢ ص ١٠٨ كتاب المكاسب ، والمنتهى للعلامة الحلي ج ٢ ص ١١٢ ، والذكرى للشهيد الأول المبحث الرابع من أحكام الأموات ، وفيمن لا يحضره الفقيه ص ٣٦ انه « ع » أوصى بثمانمائة درهم لمأتمه وأن يندب فى المواسم عشر سنين .

وهذا النبأ يتناقله الناس الى من كان نائياً عن هذه المواقف عند الاياب الى مقرهم ، فيصل الى الغائبين بهذا الطريق وبه تتم الحجة فلا يسع كل أحد أن يتدرع بعذر عدم الوصول الى المدينة التي هي موطن « حجة الله (ع) » ولا من أبلغه خبره ، ولا عرفت دعوة الامام وضلال مناوئه فلا يبقى حينئذ جاهل قاصر على الأغلب .

ومن هنا نفهم السبب فى إعراض الامام (ع) عن الوصية للنوادب يندبنه بمكة أو في المدينة أيام الحج فانه في البلدين لا تكون الندبة إلا فى الدور فمن أين يقف الرجال عليهن وكيف يكون هذا البكاء مشعراً بالغرض المطلوب .

ودعوى كون صوت المرأة عورة ويحرم على الأجانب سماعه مردودة بما رواه الكليني في الكافي : أن أم خالد دخلت على الامام الصادق (ع) وكانت عاقلة عارفة وعنده أبو بصير ، فقال عليه السلام لأبي بصير أتحب أن تسمع كلامها ؟ ثم أجلسها معه على الطنفسة وتكلمت أم خالد فاذا هي امرأة بليغة عاقلة ، فلو كان سماع صوت المرأة محرماً على الأجانب لما أجاز الامام ذلك لأبي بصير .

على ان وصية الامام الباقر بالمال للنواب بمنى تفيد الجواز لأن سماع الرجال أصواتهن لا ينكر وإلا لأمر بالبكاء عليه فى دور المدينة ومكة بل النكتة الملحوظة للامام (ع) لا تحصل إلا بسماع الرجال أصواتهن وما يدعين اليه . وفى حديث حماد الكوفي ان الصادق قال له : بلغني أن أناساً من اهل الكوفة يأتون قبر أبي عبدالله (ع) فى النصف من شعبان فبين من يقرأ ويقص الى أن قال ونساء يندبنه ، قال حماد : قد شهدت بعض

ما تصف ، فقال : الحمد لله الذي جعل في شيعتنا من يفد الينا ويمدحنا ويرثي لنا ولا ينكر أن ندبة النساء عند القبر يلزمها سماع الأجانب أصواتهن ولو كان محرما لما استحسنه الامام الحجة ودعا لهم بالرحمة .

وأما كون صوت المرأة عورة فلم تشهد به رواية وما ورد من منع الرجال محادثة الأجنبية أو المبيت معها في بيت واحد فليس من جهة كون صوتها عورة بل للحذر عن الوقوع فيما لا يحمد عقباه .

والفقه السني لم يمنع منه ، ففي الفقه على المذاهب الأربعة ج١ ص١٦٧ صوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبي (ص) كنّ يتكلمن مع الصحابة ويستمعون منهن أحكام الدين . وقال الشيباني الحنبلي في نيل المآرب ج ٢ ص ١٢٧ : صوت المرأة لم يكن عورة ولكن يحرم التلذذ بصوتها وهو مختار ابن حجر في كف الرعاع على هامش الزواجر ج ١ ص ٢٧ : نعم ذهب بعض اهل السنة الى كونه عورة ولم يستصحه ابن حجر .

تشريع الزيارة

ان مجتمعات الزيارة كمواسم جاء الحث عليها لما أن المزور دعامة من دعائم الدين ومنار هداه ومنه تؤخذ التعاليم وتدرس المعارف فاذا ازدلف الزائرون الى قبره من شتى النواحي وتعرف كل بالآخر وشاهد كل منهم ذلك الزحام المعجب والتهافت المتواصل والتهالك دون ذلك المقصد الشريف بما أن صاحب المشهد صاحب دعوة إلهية وداعية الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

عظم في عينه الشخص المزور ونزعته ودعوته وثلج صـــدره بذلك المنظر المبهج ورق له قلبه وثبت به يقينه وبطبع الحال ينجذب الى تتبع تعاليمه ودرس أحواله واقتصاص أثره وتعرف مظلوميته الى ما هنالك من فوائد لا تحصى .

هذه هي الحقيقة في زيارة أئمة الهـــدى أجمع فانهم الطريق المهيع والسبيل الجدد الى كل هدى متبع ، وناموس مصلح ، وطقس مهذب ، ورشد هاد ، ومعرفة كاملة ، كما أنه يجب ان يعتقد فيهم ذلك بعـد الوقوف على فضلهم الظاهر ، وعلومهم الجمة ، وورعهم الموصوف ، ومعاجزهم الخارجة عن حد الاحصاء ولا شك أن فى المثول حول مشاهدهم المقدسة بداعي الزلفى للمولى سبحانه مزيداً لهاتيك العقيدة ورسوخها .

هذا هو السبب الوحيد لتشريع الزيارة وأما تخصيص سيد الشهداء بزيارات خاصة في أيام السنة زائداً على ما جاء في الحث المتأكد على زيارته المطلقة دون سائر الأئمة بل لم يخصص سيد المرسلين بزيارة خاصة فيتصور لذلك علل وأسباب .

أهمها أن النزعة الأموية لم تزل تتجم وتخبو فى الفينة بعـــد الفينة تتعاوى بها ذووا أغراض مستهدفة وإن أصبح الامويون رمماً بالية ولم يبق منهم إلا شية العار وسبة عند كل ذكر ، لـكن بما أنها الحادية يتحراها لفيفهم ومن انضوى اليهم من كل الأجيال ، فكان هم أهل البيت عليهم السلام إخمادها ولفت الأنظار الى ما فيها من المروق عما جاء به المنقذ الاكبر الذي لاقى المتاعب فى سبيل نشر دعوته وإحيائها ، ومن الطرق الموجبة لتوجيه النفوس نحوها وتعريف مظلوميتهم ودفعهم عن الحق الآلهي المجعول

لهم من المشرع الأعظم ذكر قضية سيد الشهداء لاحتفافها بمصائب يرق لها قلب العدو الألد فضلا عن الموالي المشايع لهم المعترف بما لهم من خلافة مغتصبة .

فأراد الأئمة أن يكون شيعتهم على طول السنة وممر الأيام غير غافلين عما عليه السلطة الغاشمة من الابتعاد عن النهج القويم فحملوهم على المثول حول مرقد سيد شباب اهل الجنة في مواسم خاصة وغيرها فان طبع الحال قاض بأنهم فى هذا المجتمع يتذاكرون تلك القساوة التي استعملها الأمويون من ذبح الأطفال وتسفير حرم الرسالة من بلد لآخر :

مغلولة الأيدى الى الأعناق تسبى على عجف من النياق

حاسرة الوجـــه بغير برقع لاستر غير ساعد وأذرع (١)

وإن الحمية والشهامة تأبى لكل أحد أن يخضع لمن أتى بهذا الفعل الشنيع مع كل أحد فضلا عن آل الرسول الأقدس فتحتـــدم إذ ذاك النفوس وتثور العاطفة ويحكم على هؤلاء الأرجاس بالمروق عن دين الاسلام وطبعاً هذا الداعي في سيد الشهداء ألزم من غيره من الأئمة لاشتمال قضيته على ما يرقق القلوب ، فمن هنا اتخذه المعصومون حجة يصولون بها على أعدائهم ، فأمروا شيعتهم بالبكاء تارة والاحتفال بأمره بأي نوع كان طوراً وزيارته ثالثة الى غير ذلك مما ترك الامة حسينية الذكر كما انها حسينية المبدأ ولا تلفظ نفسها الأخير ألا وهي حسينية المنتهي .

وإن دعاء الامام الصادق (ع) في سجوده الذي يرويه معاوية بن وهب مما يبعث الى القلوب نوراً وللعقيدة رسوخاً وللنفوس ارتياحاً ويوقفنا

(١) للحجة الشيخ هادى كاشف الغطاء قدس سره .

على أسرار غامضة مما تأتي بها الامة من هذه الأعمال .

قال عليه السلام وهو ساجد :

اللهم يا من خصنا بالكرامة ووعدنا الشفاعة وخصنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقى وجعل أفئدة من الناس تهوي الينا إغفر لي ولاخواني وزوار قبر جدي الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك وإجابة منهم لأمرنا وغيضاً أدخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضاك فكافهم عنا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف وأصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك وشديد وشر شياطين الانس والجن .

وأعطهم أفضل ما أملوه في غربتهم عن أوطانهم .

وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم .

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم الينا فلم ينههم ذلك عن الشخوص الينا خلافاً منهم على من خالفنا .

اللهم ارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس .

وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله الحسين .

وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا .

وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا .

وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا .

اللهم إني أستودعك تلك الأنفس والأبدان حتى توفيهم على الحوض يوم العطش الاكبر .

ولما استكثر معاوية بن وهب هذا لزوار الحسين قال له الامام الصادق : إن من يدعو لزوار الحسين فى السماء أكثر ممن يدعو لهم فى الأرض (١) .

وهذا الدعاء من إمام الامة اشتمل على أحكام جليلة ومزايا لا يقف عليها إلا من استضاء بنورهم واعتصم بحبل ولايتهم فمن ذلك رجحان البكاء والجزع والصراخ لما أصاب المعصومين من أهل البيت والصرخة كما نص عليها علماء اللغة هي الصيحة الشديدة عند الفزع والمصيبة (٢) وحيث لم تخص في الدعاء بما اذا وقعت في الدور كان الاطلاق شاملا لمحبوبيتها في كل حال سواء وقعت في الشوارع أو المشاهد أو غيرهما من رجال أو نساء .

ومنها مسح الخدود على القبر الأطهر ولا يقتضي التخصيص بقبر الحسين عليه السلام فان رواية الشيخ الطوسي في التهذيب (ج ١ ص ٢٠٠) فى الصلاة على القبور عن محمد بن عبد الله الحميري قال : كتبت الى الفقيه أسأله عن الرجل يزور القبور الى أن قال فى التوقيع أما السجود على القبر فلا يجوز في نافلة ولا فريضة بل يضع خده الأيمن على القبر وعمومه شامل لرجحان وضع الخد عند كل قبر من قبور المعصومين عليهم السلام .

---

(١) رواه الكليني فى الكافى وابن قولويه فى كامل الزيارة ص ١١٦ والصدوق فى ثواب الأعمال ص ٥٤

(٢) تاج العروس ج ٣ ص ٦٦ بمادة صرخ .

affection / preference

الايثار

ومما أرشدنا اليه هذا الدعاء محبوبية ما تفعله الشيعة من بذل الأموال للاحياء أمر أئمتهم عليهم السلام فى العزاء والمواليد وغيرهما وإيثارهم بذلك على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم .

وغير بعيد عنك معنى الايثار فانه ترجيح الغير على النفس أما بسد خلته أو لتأييده فى بلوغ امنيته أو لتكريمه وهو من الخصال الحميدة المنبعثة عن كرم الطباع ودماثة الأخلاق وطيب العنصر وقد مدح سبحانه وتعالى المتصفين به فقال : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وهي الحاجة والفقر وسوء الحال (١) .

ولا إشكال في أن من اريد إيثاره اذا كان جامعاً لموجباته يكون الايثار فيه أأكد وأنت اذا أمعنت البصيرة فى ذوي الفضائل لا تجد من هو أحق بالايثار من « عترة الوحي » لما منحهم الباري سبحانه من المرتبة الفاضلة ومبوءاً من الرفعة لا يسامى وأياد على الامة لا بد أن تكافأ وحقوق واجبة لا محيص عن أدائها .

فأي موال لهم لا يؤثرهم على نفسه وأهله وقرباه وهو يذعن بأن الأئمة أسباب الفيوض الالهية وهم المعلمون بالشريعة وكل ما في السعادة للانسان وفوزه بالرقي من أخلاق فاضلة وسياسة حقة وأحكام اجتماعية وتعاليم كافلة للنجاح .

(١) تاج العروس ج ٤ ص ٣٨٧

مع ما لأئمة الدين من جهود جبارة دون انتشال الامة الى ساحل النجاة وإنقاذها من غمرات الهلكة حتى أنهم عليهم السلام آثروا ذلك بالحياة السعيدة فضحوا نفوسهم لتقف الامة على المحجة أو ليدرأ عنهم العذاب .

كما في حديث الامام موسى بن جعفر عليه السلام أنه وقى نفسه دون شيعته (١) مع حبهم المتواصل لشيعتهم حتى كانوا يترحمون عليهم كل صباح ومساء ويفرحون عند فرحهم كما يحزنون عند حزنهم لأنهم من فاضل طينتهم وهم أوراق تلك الدوحة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

---

(١) الحديث فى اصول الكافى بهامش مرآة العقول ج ١ ص ١٨٩ ونصه : قال موسى بن جعفر (ع) إن الله غضب على الشيعة فخيرنى نفسى أو هم فوقيتهم والله بنفسى . قال المجلسي رحمه الله لعل الغضب إنما هو لأجل تركهم التقية حتى انتشر أمر إمامته فتردد الأمر بين أن يقتلهم الرشيد أو يحبس الامام ويقتله فاختار البلاء لنفسه ووقى بذلك شيعته .

ويروى السيد نعمة الله الجزائرى فى شرح الصحيفة ص ٥ أن الله تعالى غضب على الشيعة بافشائهم أسرار الأئمة وأراد الله أن يستأصلهم بالعذاب فأخبر موسى الكاظم (ع) بأنى مستأصل شيعتك هذه السنة فقال عليه السلام : يا رب احب أن افدي بنفسى ويبقون هم على الارض فأماته الله شهيداً هذه السنة .

ولا غرابة فيه بعد أن حمل الله النبي (ص) ذنوب شيعة علي (ع) ثم غفرها لهم كما فى معانى الأخبار للصدوق ص ١٠٠ وفى الروضة ص ١٣٥ ملحقة بعلل الشرايع لم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يدعو الله فى غفران —

وقد ورد في دعاء الحجة عجل الله فرجه :

اللهم إن شيعتنا خلقوا من شعاع أنوارنا وبقيـــة طينتنا وقد فعلوا ذنوباً كثيرة إتكالا على حبنا وولايتنا فان كانت ذنوبهم فيما بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا وما كان منها فيما بينهم فاصلح بينهم وقاص بها عن خمسنا وأدخلهم الجنة وزحزحهم عن النار ولا تجمع بينهم وبين أعدائنـــا في سخطك (١) .

وإني لأراك والحالة هذه تجد في شريعـة الحقوق أو يلتاح لك في منهج الوفاء أو يجوز لك دافع المروة أن تتقاعس عن مواساة آل الرسالة بايثارهم على نفسك وأهلك في كل غال ورخيص إلا أن تسف الى هوة الضعة وتدعها رمية لنبال اللوم من ناحية العقل مرة ومن صوب الشريعـة اخرى ومن جهة الشهامة ثالثة .

ولا ريب في رغبة الامام الصادق عليه السلام بالايثار لاحياء أمرهم أجمع نعرف ذلك من الالتفات الذي استعمله الامام في الدعاء فانه بعد أن دعا لزوار الحسين باعطاء أفضل ما يأملونه ، قال عليه السلام « وما آثرونا به » فلو أراد الايثار في خصوص زيارة سيد الشهداء لقال « وما آثروه » فحيث

ـــ ذنوب شيعته وفي بشارة المصطفى ص ٢٧٤ كان الصادق يقول : إن حقوق شيعتنا علينا كثيرة وفي كامل الزيارة نحن نترحم عليها كل صباح ومساء وفي عيون المعجزات ص ٧٦ قال السجاد عليه السلام لام فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر : إني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة لأنا نصبر على ما نعلم ويصبرون على ما لا يعلمون .

(٢) جنة المأوى للنوري ص ٢٨١ ملحق بجزء ١٢ من البحار .

عدل عن المفرد الى الجمع علم أن مراده بيان محبوبية الايثار فيما يعود اليهم أجمع .

وإن كان الايثار لزيارة قبر المظلوم « ع » أشمل لما فيه من التذكير بهاتيك النهضة المقدسة فكأن الماثل أمام الضريح الأطهر يشاهد نفسه واقفاً بين الصفين جحفل القداسة « حسين الهداية ورهطه » وخميس الضلال « يزيد وأشياعه » فيبصر موقف هؤلاء من الحق والنزاهة ومبوأ اولئك من الباطل والرجاسة فتحتدم بين أضالعه الخصلتان : الولاية والبراءة .

وغير خاف على البصير النيقد المراد من قول أبي عبدالله في دعائه المتقدم : « اللهم إن أعداءنا عابوا علينا خروجهم الينا فلم ينههم ذلك عن الشخوص الينا خلافاً منهم على من خالفنا » .

فانه عليه السلام أراد تنشيط الشيعة فى الدؤوب على مواساتهم بتعظيم شعائرهم وإقامة آثارهم ونشر مآثرهم وإن ما يقاسونه فى هذا السبيل من الأرزاء كله بعين الله تعالى ورضا أوليائه الأطهار وما يضرهم وهم على الحق هزء المستهزئين ولقد سخر اليهود بالأذان كما سخر المشركون بالسجود فلم يثن من عزم المسلمين شيئاً فمشوا على ذلك النهج القويم غير مبالين بعثرات غيرهم .

وما يضر المزدلفون الى قبر أبي عبد الله الحسين والمتزاحمون على إقامة الشعائر الحسينية سخرية الجاهلين الذين يقول فيهم الصادق عليه السلام : « والله لحظهم أخطأوا وعن ثواب الله زاغوا وعن جوار محمد تباعدوا » .

ولما قال له ذريح المحاربي : إني إذا ذكرت فضل زيارة أبي عبد الله

عليه السلام هزأ بي ولدي وأقاربي ، فقال عليه السلام : يا ذريح دع الناس يذهبون حيث شاؤا وكن معنا .

وقال عليه السلام لحماد : بلغني أن اناساً من أهل الكوفة وقوماً آخرين من نواحيها يأتون قبر أبي عبدالله في النصف من شعبان فبين قارىء يقرأ القرآن وقاص يقص ومادح لنا ونساء يندبنه .

فقال حماد : قد شهدت بعض ما تصف .

قال عليه السلام : الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد الينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل عدونا يطعن عليهم ويقبحون ما يصنعون (١) .

إذاً فسخرية المتباعدين عن أهل البيت المائلين عن إقامة هذه الشعائر لا يحط من كرامة الآثار الموجبة لاحياء أمر الأئمة المحبوبة لهم وقد استفادت منها الامة آثاراً دنيويه واخروية .

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المومنين عليه السلام : إن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا أنالهم شفاعتي يوم القيامة (٢) .

نظم الشعر

من الواضح الذي لا يرتاب فيه أن نظم الشعر في أي أحد تعريف به وإحياء لذكره وإقامة لأمره فان آثار الرجال مهما كبرت في النفوس

---

(١) مزار البحار ص ١٢٤

(٢) فرحة الغرى ص ٣١ لابن طاووس .

وعظم أمرها قد يخمل ذكرها بمرور الزمن وتباعد العهد فيغفل عن تلك المآثر ويتناسى مالها من أهمية كبرى ولما كان القول المنظوم أسرع تأثيراً في الاصاخة لرغبة الطباع اليه فتسير به الركبان وتلوكه الأشداق وتتحفظ به القلوب وتتلقاه جيلا بعد جيل وتأخذه امة بعد امة وقد حفظ الأدب العربي كثيراً من قضايا الامم وسيرها وحروبها في الجاهلية والاسلام .

وبما أن ذكرى أهل البيت قوام الدين وروح الاصلاح ، وبها تدرس تعاليمهم ويقتفى أثرهم ، طفق الأئمة المعصومون يحثون مواليهم بنشر ما لهم من فضل كثار وما جرى عليهم من المصائب ولاقوه في سبيل إحياء الدين من كوارث ومحن لأن فيه حياة أمرهم ورحم الله من أحيا أمرهم ودعا الى ذكرهم .

وقد تواتر الحث من الأئمة على نظم الشعر فيهم مدحاً ورثاء بحيث عد من أفضل الطاعات . وفي ذلك قالوا عليهم السلام من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة وفي آخر حتى يؤيد بروح القدس وفي ثالث بنى الله له في الجنة مدينة يزوره فيها كل ملك مقرب ونبي مرسل (١) .

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام للكميت لما أنشده قصيدته : « من لقلب متيم مستهام » لا تزال مؤيداً بروح القدس (٢) .

واستأذن الكميت على الصادق عليه السلام في أيام التشريق ينشده قصيدته فكبر على الأيام أن يتذاكروا الشعر في الأيام العظام ، ولما قال له الكميت إنها فيكم أنس أبو عبد الله عليه السلام حيث أنه من الذكر

---

(١) عيون أخبار الرضا « ع » ص ٥

(٢) رجال الكشي ص ١٣٦

اللازم لأن فيه إحياء أمرهم ثم دعا بعض أهله فقرب ثم أنشده الكميت فكثر البكاء ولما أتى على قوله :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم   فيا آخراً أسدى له الغي أول

رفع الصادق يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ما قدم وأخر وما أسر وأعلن واعطه حتى يرضى (١) .

وأذن ابو جعفر الجواد (ع) لعبدالله بن الصلت أن يندبه ويندب أباه الرضا (ع) .

وكتب اليه ابو طالب أبياتاً يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا (ع) فقطع ابو جعفر (ع) الأبيات عنده وكتب اليه : « أحسنت وجزاك الله خيراً » (٢) .

ودخل جعفر بن عفان (٣) على الصادق فقال له : انك تقول الشعر في الحسين وتجيد قال : نعم ، فاستنشده فلما قرأ عليه بكى حتى جرت دموعه على خديه ولحيته وقال له : لقد شهدت ملائكة الله المقربون قولك في الحسين وإنهم بكوا كما بكينا ولقد أوجب الله لك الجنة ، ثم قال (ع) : من قال في الحسين شعراً فبكي وأبكى غفر الله له ووجبت له الجنة (٤) .

وجعفر هذا من رجال الشيعة المخلصين أطروه علماء الرجال ووثقوه وهو الذي ردّ على مروان بن أبي حفصة حيث يقول :

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١١٨ ومعاهد التخصيص ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) رجال الكشي ص ٣٥٠ .

(٣) في الأغاني ج ٧ ص ٨ أنه طائي .

(٤) رجال الكشي ص ١٨٧ .

اني يكون وليس ذاك بكائن   لبني البنات وراثة الأعمام

فقال جعفر بن عفان :

لم لا يكون وان ذاك لكائن   لبني البنات وراثة الأعمام
للبنت نصف كامل من ماله   والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وإنما   صلى الطليق مخافة الصمصام (١)

ودخل جماعة على الرضا (ع) فرأوه متغيراً فسألوه عن ذلك قال : بتّ ليلتي ساهراً متفكراً في قول مروان بن أبي حفصة وذكر البيت المتقدم.

قال : ثم نمت فاذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول :

أنا يكون وليس ذاك بكائن   للمشركين دعائم الاسلام
لبني البنات نصيبهم من جدهم   والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وإنما   سجد الطليق مخافة الصمصام
قد كان أخبرك القران بفضله   فمضى القضاء به من الحكام
ان ابن فاطمة المنوّه باسمه   حاز الوراثة عن بني الأعمام
وبقى ابن نثلة واقفاً متردداً   يبكى ويسعده ذووا الأرحام (٢)

ومروان سرق المعنى مما قاله مولى لتمام بن معبد بن العباس بن عبد المطلب معرضاً بعبيدالله بن أبي رافع مولى رسول الله (ص) فانه أتى الحسن بن علي (ع) وقال : أنا مولاك ، وكان قديماً يكتب لعلي بن أبي طالب (ع) فقال مولى تمام :

جحدت بني العباس حق أبيهم   فما كنت في الدعوى كريم العواقب

---

(١) الأغاني ج ٩ ص ٤٥ .

(٢) عيون الأخبار الرضى ص ٣٠٥ .

متى كان أولاد البنات كوارث   يحوز ويدعى والداً في المناسب (١)

وحسب الشاعر أن يترتب على عمله البار هاتيك المثوبات الجزيلة التي تشف عن أن ما يصفه بعين الله سبحانه حتى يبوأه الجليل سبحانه من الخلد حيث يشاء وتزدان به غرف الجنان ولا بدع فانه بهتافه هذا معدود من اهل الدعوة الآلهية المعلنين بكلمة الحق وتأييد الدين فهو بقوله الحق يرفع دعامة الاصلاح وتشييد مبانيه ويطأ نزعة الباطل بأخمص الهدى ويقم أشواكه المتكدسة أمام سير المذهب ويلحب طريقه الواضح .

ولم يعهد من الأئمة مع تحفظهم على التقية وإلزام شيعتهم بها تثبيط الشعراء عن المكاشفة فى حقهم واظهار باطل المناوئين مع أن فى الشعراء من لا يقر له قرار ولا يؤيه مكان فرقاً من اعداء اهل البيت لمحض مجاهرتهم بالولاء والدعوة الى طريقة آل الرسول كالكميت ودعبل الخزاعي ونظرائهما بل كانوا عليهم السلام يؤكدون ذلك بالتحبيذ وادرار المال عليهم واجزال الهبات لهم وذكر المثوبات على عملهم هذا .

وليس ذاك إلا لعلمهم بأن المكاشفة في أمرهم أدخل في توطيد اسس الولاية وعامل قوي لنشر الخلافة الآلهية حتى لا يبقى سمع إلا وقد طرقه الحق الصراح ثم تتلقاه الأجيال الآتية كل ذلك حفظاً للدين عن الاندراس ولئلا تذهب تضحية أمناء الوحي فى سبيله أدراج التمويهات .

ولو لا نهضة أولئك الأفذاذ من رجالات الشيعة للذب عن قدس الدين بتعريض أنفسهم للقتل كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وميثم التمار وأمثالهم بما نال أهل البيت من أعدائهم لما عرف الأجيال المتعاقبة موقف

(١) طبقات ابن المعتز ص ١٥ .

الأئمة من الدين ولا ما قصده أعداؤهم من نشر الجور والضلال .

« إن من يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون » .

الخروج بالعيال

إن الكلمة الناضجة في وجه حمل الحسين عياله الى العراق مع علمه بما يقدم عليه ومن معه على القتل هو انه عليه السلام لما علم بأن قتلته سوف تذهب ضياعا لو لم يتعقبها لسان ذرب وجنان ثابت يعرفان الامة ضلال ابن ميسون وطغيان ابن مرجانة باعتدائهما على الذرية الطاهرة الثائرة في وجه المنكر ودحض ما ابتدعوه في الشريعة المقدسة .

كما عرف « أبي الضيم » خوف رجال الدين من التظاهر بالانكار وخضوع الكل للسلطة الغاشمة ورسوف الكثير منهم بقيود الجور بحيث لا يمكن لأكبر رجل الاعلان بفضاعة أعمالها وما جرى على ابن عفيف الأزدي يؤكد هذه الدعوى المدعومة بالوجدان الصحيح .

وعرف سيد الشهداء من حرائر الرسالة الصبر على المكاره وملاقات الخطوب والدواهي بقلوب أرسى من الجبال فلا يفوتهن تعريف الملأ المغمور بالترهات والأضاليل نتائج أعمال هؤلاء المضلين وما يقصدونه من هدم الدين ، وان الشهداء أرادوا بنهضتهم مع إمامهم قتيل الحنيفية إحياء شريعة جده (ص) .

والعقائل من آل الرسول وان استعرت أكبادهن بنار المصاب وتفاقم الخطب عليهن وأشجاهن الأسى لكنهن على جانب عظيم من الأخذ بالثار والدفاع عن قدس الدين .

وفيهن « العقيلة » ابنة أمير المؤمنين سلام الله عليها التي لم يرعها الأسر وذل المنفى وفقد الأعزاء وشماتة العدو وعويل الأيامى وصراخ الأطفال وأنين المريض ، فكانت تلقى خواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبة أو فقل بين المخلب والناب غير متلعثمة وتقـــذفها كالصواعق على مجتمع خصومها فوقفت أمام ابن مرجانة ذلك الألد وهي امرأة عزلاء ليس معها من حماتها حمي ولا من رجالها ولي غير الامام الذي أنهكته العلة ونسوة مكتنفة بها بين شاكية وباكية وطفل كظه العطش الى اخرى أقلقها الوجل وأمامها رأس علة الكائنات ورؤوس صحبه وذويه ، وقد تركت تلك الأشلاء المقطعة في البيداء تصهرها الشمس والواحدة من هذه تهد القوى وتبلبل الفكر .

لكن « ابنة حيدرة » كانت على جانب عظيم من الثبات والطمأنينة فأفرغت عن لسان أبيها بكلام أنفذ من السهم وألقمت ابن مرجانة حجراً إذ قالت له : « هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك امك يا ابن مرجانة » .

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه وانه لن يرحض عنه عارها وشنارها كما أنها أدهشت العقول وحيرت الفكر في خطبتها بكناسة الكوفة والناس يومئذ حيارى يبكون لا يدرون ما يصنعون وأنى يرحض عنهم العار

بقتلهم سليل النبوة ومعـــدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة ، وقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وباءوا بغضب من الله وخزي في الآخرة ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون .

وبعد أن فرغت من خطابها اندفعت فاطمه ابنة الحسين بالقول الجزل مع ثبات جأش وهدوء بال ، فكان خطابها كوخز السنان فى القلوب ولم يتمالك الناس دون أن ارتفعت أصواتهم بالبكاء وعرفوا عظيم الجناية والشقاء فقالوا لها : حسبك يا ابنة الطاهرين فقد أحرقتِ قلوبنا وأنضجت نحورنا .

وما سكتت حتى ابتدرت أُم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (ع) فعرّفت الحاضرين عظيم ما اقترفوه ، فولول الجمع وكثر الصراخ ولم ير إذ ذاك أكثر باك وباكية (١) .

فهل يا ترى يمكنك الجزم بأن أحداً يستطيع فى ذلك الموقف الرهيب الذي تحفه سيوف الجور أن يتكلم بكلمة واحدة مهما بلغ من المنعة فى عشيرته وهل يقدر أحد أن يعلن بموبقات ابن هنـــد وابن مرجانة غير بنات أمير المؤمنين (ع) ؟ . . . كلا .

إن على الألسن أوكية والأيدي مغلولة والقلوب مشفقة .

على أن هذا إنما يقبح ويستهجن اذا لم يترتب عليه إلا فوائد دنيوية مثارها رغبات النفس الأمارة وأما اذا ترتبت عليه فوائد دينية أهمها تنزيه دين الرسول عما ألصقوا بساحته من الباطل فلا قبح فيه عقلا ولا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع .

---

(١) إقرأ الخطب الثلاثة فى الأمور المتأخرة عن الشهادة من هذا الكتاب .

والمرأة وإن وضع الله عنها الجهاد ومكافحه الأعداء وأمرها سبحانه وتعالى أن تقر فى بيتها ، فذاك فيما اذا قام بتلك المكافحة غيرها من الرجال وأما اذا توقف إقامة الحق عليها فقط بحيث لولا قيامها لدرست اسس الشريعة وذهبت تضحية أولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات كان الواجب عليها القيام به .

ولذلك نهضت سيدة نساء العالمين « الزهراء » عليها السلام للدفاع عن خلافة الله الكبرى حين أخذ العهد على سيد الأوصياء بالسكوت فخطبت فى مسجد النبي (ص) الخطبة البليغة فى محتشد من المهاجرين والأنصار .

على أن الحسين (ع) كان على علم بأخباره جده الأمين بأن القوم وان بلغوا الغاية وتناهوا فى الخروج عن سبيل الحمية لا يمدون الى النساء يد السوء كما أنبأ عنه سلام الله عليه بقوله لهن ساعة الوداع الأخير : « البسوا ازركم واستعدوا للبلاء واعلموا ان الله حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم الى خير ويعذب أعاديكم بأنواع العذاب ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم » .

هذا كله لو لم نقل بالامامة لسيد الشهداء وأما مع الخضوع لناموس علم الامام الشامل لما كان ويكون وسيره حسب المصالح الواقعية وعصمته فى أقواله وأفعاله ، كما هو الحق الذي لا محيص عنه كان المحتم علينا الاذعان بأن ما صدر منه ناش عن حكم ربانية ومصالح إلهية لا يتطرق اليها الشك وليس الواجب علينا إلا التصديق بجميع أفعاله من دون أن يلزمنا العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك الأفعال الصادرة منه ، وهكذا الحال في كل

ما وجب على المكلفين فانه لم يجب على العباد إلا التسليم والخضوع للمولى من دون أن تعرف الأغراض الباعثة عليها وهكذا الحال في العبيد مع مواليهم فان العقل لا يلزم العبد بأكثر من طاعة سيده ومولاه حينما يأمره وينهاه .

نهضة العلويين

لقد كان من نتائج تلك النهضة المقدسة ومن ولائد ذلك الفتح المبين تطور في نظريات العلويين نسباً أو مذهباً أو من أخذ لدعوته لوناً من الانتماء الى آل محمد وإن كان مضمراً غير ما يتظاهر به وكل من هؤلاء لم يعدم التشييد لدعوة الحق والوهن فى دولة الباطل وتعريف الأمة بأن لآل محمد حقاً مغتصباً والواجب عليهم النهوض لقطع اليد العادية .

فكانت تلكم الثورات المتتابعة باعثة الى الأفئدة دواع تحفزها الى تحري الرشد حتى تقف على صراح الحقيقة .

كانت الامة تعتقـــد انه ليس من المستطاع النهوض في وجه المستحوذين على أمر الامة وأمرة المسلمين لقوة سلطانهم وان القيام أمام السلطة القاسية لا يعقب إلا فشلا بل من المحظور في الشريعة القاء النفس في التهلكة من غير ما جدوى هنالك .

لكن شهيد الاباء والحمية « سيد شباب أهل الجنة » أوحى الى الملأ الديني بصرخته في مشهد الطف التي لم يزل دوي صداها فى مسامع القرون والأجيال ، إن الواجب فى شريعة الحفاظ الثورة أمام كل باطل اذا لم يكن ما يدحره غيرها .

وإن في مستوى اليقين بلوغ الغاية المتوخاة لمن يجعل طلب الحق عنوان نهضته فانه أما أن يفوز الناهض بالظفر أو من يتلوه في نهضته حتى تتجسد الأماني بالفتح المبين .

وهذا ما نراه من تعاقب النهضات تجاه عبث الأمويين بالشريعة المطهرة فكانت دعوة المختار هي ثارات آل محمد .

وقام زيد بن علي بن الحسين (ع) وولده يحيى داعين الى الرضا من آل محمد وأظهر بقية الهاشميين التذمر من خلفاء الجور ووثبوا لسد سيل الضلال الجارف .

وإن المتأمل في سير المعصومين من آل الرسول وما قيضهم المولى سبحانه له من كسح أشواك المنكر وإرشاد العباد الى الطريقة المثلى تتجلى له رغبتهم عليهم السلام في هاتيك المحتشدات الدامية ، لأن الغاية المتوخاة لهم إنما هي تعريف الامة أحقيتهم بمنصب الرسول الأقدس ، وان الدافع لهم عن هذا الحق المجعول لهم من الباري عز اسمه مائل عن النهج القويم ، وهـذا المعنى إنما يتسرب الى الأدمغة وتلوكه الأشداق بسبب هاتيك الثورات في مختلف الأصقاع لتتم الحجة على الامة ، فلا يسع أحد الاعتذار بالجهل بالامام المنصوص عليه من النبي الأعظم .

وإنما نشاهد من بعض أئمة الهدى الانكار والتبري من العلويين وغيرهم الخارجين على خلفاء الجور ، فانما هو للتقية من السلطة الغاشمة كيلا تنسب اليهم الثورة فينالهم ما لا يحمد عقباه .

نعم كان في المتنمرين اناس اتخذوا مظلومية أهل البيت نخاً يصطادون به البسطاء ، كابن الزبير الذي كان يشيد بذكر الحسين (ع) والظلم الذي

جرى عليه ، ثم لما حسب انه ملك الأمر تركه فكان أشد المناوئين لأهل البيت عليهم السلام وأظهر ما انحنت عليه جوانحه .

فترك الصلاة على النبي (ص) أربعين جمعة فقيل له في ذلك قال :

إن له أهل بيت سوء ، اذا ذكرته اشرأبت نفوسهم اليه وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر أعينهم (١) .

ولقد جرأه على ذلك معاوية بن أبي سفيان الذي يقول لما سمع المؤذن يشهد بالرسالة :

لله ابوك يا ابن عبدالله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك مع اسم رب العالمين (٢) . ولما قال له المغيرة بن شعبة لقد كبرت فلو أظهرت عدلا لاخوانك من بني هاشم فانه لم يكن عندهم شيء تخافه قال : هيهات ملك اخو تيم وفعل ما فعل فوالله ما غدا ان هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر ثم ملك اخو عدي فاجتهد وشمر فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر ثم ملك اخونا عثمان فعمل ما عمل فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عثمان .

وإن أخا هاشم يصرخ باسمه في كل يوم خمس مرات : أشهد أن محمداً رسول الله (ص) فأي عمل يبقى مع هذا لا ام لك والله إلا دفنا دفناً .

ولما سمع المأمون بهذا الحديث كتب الى الافاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامة فأشير عليه بالترك فاعرض

---

(١) المقاتل لأبي الفرج ص ١٦٥ ط ايران .

(٢) شرح النهج الحديدى ج ٢ ص ٥٣٧ .

عما كان عليه (١) .

وأعطف عليه بني العباس الذين ملؤا الجو هتافاً بالاستياء لما أصاب آل محمد يوم الطف ولما حصلوا على الامنية قلبوا عليهم ظهر المجن وأبادوهم عن جديد الأرض وكان موسى بن عيسى العباسي صاحب الوقعة بفخ يقول : لو نازعنا النبي (ص) هذا الأمر لضربنا خيشومه بالسيف (٢) .

فهؤلاء الى أمثالهم برئت منهم الذمه وانقطعت العصمة وان استفادت الأمة بنهضتهم من ناحية استئصال شافة أعدائها من آل حرب وامية :

طمعت ابناء حرب أن ترى | فيه للضيم انعطافا وانكسارا
حاولت تصطاد منه أجدلاً | نفض الذل على الوكر وطارا
ورجت للخسف أن تجذبه | أرقماً قد ألف العز وجارا
كيف يعطي بيد الهون الى | طاعة الرجس عن الموت حذارا
فأبى إلا التي إن ذكرت | هزّت الكون اندهاشاً واذعارا
فأتى من بأسه في جحفل | زحفه سد على الباغي القفارا
وليوث من بني عمرو العلى | لبسوا الصبر على الطعن دثارا
اشعروا ضربا بهيجاء غدا | لهم في ضنكها الموت شعارا
فقضوا حق المعالي ومضوا | طاهري الأعراض لم يدنسن عارا
بذلوها أنفساً غالية | كبرت بالعز أن ترضى الصغارا
أنفساً قد كضها حر الظما | فأسالوها على الطعن حرارا

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٣ آخر أخبار المأمون .

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص ١٥٨ ط ايران .

أيها المرقل فيهـــا جسرة | كهبوب الريح تجتاح القفارا
صل الى طيبـــة واعقلها لدى | أمنع الخلق حريماً وجوارا
وانخهـــا عنـــده موقرة | بالشجى قد خلعت عنها الوقارا
وله لا تعلن الشكوى وإن | كبر الفادح أن يغدو سرارا
حـــذراً من شامت يسمعها | كان بالرغم لخـير الرسل جارا
فلقــــد أضرم قدماً فتنــــة | كربلا منهم غدت تصلى شرارا
قل له عن ذي حشا قد نفذت | أدمعاً سال بها الوجد انهارا
يا رسول الله ما أفضعهـــا | نكبة لم تبق للشهم اعتـذارا
كم لـــكم حر دم في كربلا | ذهبت فيـه المباتير جبارا (١)



---

(١) للسيد عبد المطلب الحلي انتخبنا منها هذا وهى طويلة ذكرت بتمامها فى شعراء الحلة ج ٣ ص ٢١٨ .

حدیث کربلا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

((ان لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا))

(مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢١٧)

هل المحرم

هل المحرم فاستهل مكبرا ... وانثر به درر الدموع على الثرى

وانظر بغرته الهلال اذا انجلى ... مسترجعاً متفجعاً متفكرا

واخلع شعار الصبر منك وزر من ... خلع السقام عليك ثوباً أصفرا

فيثاب ذي الأشجان أليقها به ... ما كان من حمر الثياب مزررا

شهر بحكم الدهر فيه تحكمت ... شر الكلاب السود في أسد الشرى

لله أي مصيبة نزلت به ... بكت السماء له نجيعاً أحمرا

خطب دهى الاسلام عند وقوعه ... لبست عليه حدادها (ام القرى)

أو ما ترى الحرم الشريف تكاد من ... زفراته الجمرات أن تتسعرا

(وأبا قبيس) فى حشاه تصاعدت ... قبسات وجد حرها يصلي (حرا)

علم (الحطيم) به لحطمه الأسى ... ودرى (الصفا) بمصابه فتكدرا

واستشعرت منه المشاعر بالبلا ... وعفا (محسرها) جوى وتحسرا

قتل الحسين فيا لها من نكبة ... أضحى لها الاسلام منهدم الذرى (١)

---

(١) ديوان معتوق بن شهاب الموسوى ط مصر سنة ١٣٣٠ هـ .

شهر المحرم

محرم فيه الهنا محرم ... والحزن فرض والبكاء محتم
شهر به الايمان ثل عرشه ... والكفر بالاسلام بان بطشه
هلاله قوس رمى قلب الهدى ... والدين في سهم الحتوف والردى
قد كان عند الكفر والاسلام ... فيه القتال اعظم الآثام
وآل حرب حاربوا رب السما ... فيه وحللوا الدم المحرما
وانتهكوا حرمة سادات الحرم ... وارتكبوا ما أمطر السماء دم
يا آل حرب لا لقيتم سلماً ... ولا وقيتم من لسان ذمّا
لعنتم في الأرض والسماء ... على لسان جملة الأحياء
بشراكم بالويل والثبور ... وبالعذاب يوم نفخ الصور
كم حرة للمصطفى هتكتم ... وكم دم لولده سفكتم
يا امة الخذلان والكفران ... وعصبة الضلال والشيطان
بأي عين تبصرون جده ... وقد فعلتم ما فعلتم بعده
جزرتم جزر الأضاحي نسله ... وسقتم سوق الاماء أهله
نسيتم احسان يوم الفتح ... نسيتم فيه جميل الصفح
قد كنتم لولا بدور هاشم ... ستراً يضيع في ضلوع كاتم
بهم تسنمتم ذرى المنابر ... كما علوتم صهوة المفاخر (١)

(١) المقبولة الحسينية ص٩ للحجة آية الله الشيخ هادي كاشف الغطاء «قده».

في المدينة

لما هلك معاوية بدمشق للنصف من رجب سنة ستين هجرية كان ابنه يزيد في « حوران » فأخذ الضحاك بن قيس أكفانه ورقى المنبر فقال بعد الحمد لله والثناء عليه : كان معاوية سور العرب وعونهم وجدهم قطع الله به الفتنة وملكه على العباد وفتح به البلاد ألا أنه قد مات وهذه أكفانه فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو البرزخ الى يوم القيامة فمن كان منكم يريد أن يشهد فليحضر .

ثم صلى عليه الضحاك ودفنه بمقابر باب الصغير وأرسل البريد الى يزيد يعزيه بأبيه والاسراع في القدوم ليأخذ بيعة مجددة من الناس (١) وكتب فى أسفل الكتاب (٢) :

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه ... وخلفت فانظر بعده كيف تصنع
أقمنا على المنهاج واركب محجة ... سداداً فأنت المرتجى حين نفزع

فلما قرأ يزيد الكتاب أنشأ يقول (٣) :

جاء البريد بقرطاس يخب به ... فأوجس القلب من قرطاسه جزعا
قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم ... قال الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

---

(١) البداية ج ٨ ص ١٤٣
(٢) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ١٧٨
(٣) الاغانى ج ١٦ ص ٣٤

مادت بنا الأرض أو كادت تميد بنا — كأن ما عز من أركانها انقلعا
من لم تزل نفسه توفي على وجل — توشك مقادير تلك النفس أن تقعا
لما وردت وباب القصر منطبق — لصوت رملة هد القلب فانصدعا

وسار الى دمشق فوصلها بعد ثلاثة أيام من دفن معاوية (١) وخرج الضحاك في جماعة لاستقباله فلما وافاهم يزيد جاء به الضحاك أولا الى قبر أبيه فصلى على القبر ثم دخل البلد ورقى المنبر وقال:

أيها الناس كان معاوية عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه اليه وهو خير من بعده ودون من قبله ولا ازكيه على الله عز وجل فانه أعلم به إن عفا عنه فبرحمته وإن عاقبه فبذنبه وقد وليت الأمر من بعده ولست آسى على طلب ولا أعتذر من تفريط واذا أراد الله شيئاً كان، ولقد كان معاوية يغزوكم في البحر وإني لست حاملا أحداً من المسلمين فى البحر وكان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتياً أحداً بأرض الروم وكان يخرج عطاءكم أثلاثاً وأنا أجمعه كله لكم (٢).

فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي فأنشأ:

إصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاك

---

(١) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ١٧٨ وفى الاستيعاب على هامش الاصابة بترجمة معاوية عن الشافعى أن معاوية لما ثقل كتب الى يزيد وكان غائباً يخبره بحاله فأنشأ يزيد يقول وذكر أربع أبيات الأول والثالث واثنا لم يذكرا هنا.

(٢) البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٤٣

لأزره أصبح فى الاقوام قدعلموا ... كما رزئت ولا عقبى كـعقبـــاك

أصبحت راعي أهل الدين كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعـــاك

وفي معـــاوية الباقي لنا خلف ... إذا نعيت ولا نسمع بمنعـــاك

فانفتح بذلك للخطباء (١) وقال له رجل من ثقيف السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته إنك قد فجعت بخير الاباء وأعطيت جميع الأشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطيـة فلا أحد اعطي كما اعطيت ولا رزء كما رزئت . وأقبل الناس عليه يهنونه ويعزونه فقال يزيد : نحن أنصار الحق وأنصار الدين وابشروا يا أهل الشام فان الخير لم يزل فيكم وستكون بيني وبين أهل العراق ملحمة وذلك أني رأيت فى منامي منذ ثلاث ليال كأن بيني وبين أهل العراق نهراً يطرد بالدم جرياً شديداً وجعلت اجهد نفسي لأجوزه فلم أقدر حتى جازه بين يدي عبيد الله بن زياد وأنا أنظر اليه .

فصاح أهل الشام إمض بنا حيث شئت معك سيوفنا التي عرفها أهل العراق في صفين ، فجزاهم خيراً وفرق فيهم أموالا جزيلة .

وكتب الى العمال في البلدان يخبرهم بهلاك أبيه وأقرهم على عملهم وضم العراقين الى عبيد الله بن زياد بعد أن أشار عليه بذلك سرجون مولى معاوية وكتب الى الوليد بن عتبة وكان على المدينة :

أما بعد : فان معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه واستخلصه ومكن له ثم قبضـــه الى روحه وريحانه ورحمته وعقابه عاش بقدر ومات

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٠٩ طبع ثانى باب وصية معاوية وكامل المبرد ج ٣ ص ٣٠٠ وبينهما اختلاف .

بأجل وقد كان عهد إلي وأوصاني بالحذر من آل أبي تراب لجرأتهم على سفك الدماء وقد علمت يا وليد أن الله تبارك وتعالى منتقم للمظلوم عثمان من آل أبي سفيان لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل فاذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على جميع أهل المدينة .

ثم أرفق الكتاب بصحيفة صغيرة فيها : خذ الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن إبي بكر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ومن أبى فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه (١) .

وقام العامل بهذه المهمه فبعث على الحسين وابن الزبير نصف الليل رجاء أن يغتنم الفرصة بمبايعتهما قبل الناس فوجدهما رسوله عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان بن عفان (٢) فى مسجد النبي « ص » فارتاب ابن الزبير من هذه الدعوة التي لم تكن في الوقت الذي يجلس فيه للناس (٣) لكن حجة الوقت « حسين الاصلاح » أوقفه على أمر غيبي وهو هلاك معاوية وإنه يطلب منهم البيعة ليزيد وأيده عليه السلام بما رآه فى المنام من اشتعال النيران في دار معاوية وأن منبره منكوس : (٤)

---

(١) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ١٧٨ الى ص ١٨٠ طبع النجف وقد أشرنا ص ١٦ من المقدمة الى السر فى إنشاء هذا الكتاب الصغير فاقرأه .

(٢) ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٧

(٣) الطبرى ج ٦ ص ١٨٩

(٤) مثير الأحزان لابن نما ص ١٠ ومقتل الخوارزمى ج ١ ص ١٨٢ فصل ٨ ، لا يخفى أن رؤيا الامام « ع » مشاهدة لحقيقة الحال أبصرها بنور الامامة الذى لا تمنعه الحواجز عن إدراك ما فى الكون ولا بدع فى ذلك —

ورام ابن ميسون على الدين إمرة فعاثت بدين الله جهراً جراءمه
فقام مغيثاً شرعة الدين شبل من بصمصامه بدءاً اقيمت دعائمه
وحف به (إذ محص الناس) معشر عته الى أوج المعالي مكارمه
فمن أشوس ينميه للطعن (حيدر) وينميه جد في قرى الطير (هاشمه)
ورهط تفانى في حمى الدين لم تهن لقاتله بين الجموع عزائمه
الى أن قضوا دون الشريعة صرعاً كما صرعت دون العرين ضراغمه
أراد ابن هند خاب مسعاه أن يرى
(حسيناً) بأيدي الضيم تلوى شكائمه
ولكن أبى المجد المؤثل وإلا با له الذل ثوباً والحسام ينادمه
أبوه علي وابنة الطهر امه وطه له جد وجبريل خادمه
الى ابن سمي وابن ميسون ينثني عد يداً والسيف في اليد قائمه
فصال عليهم صولة الليث مغضباً وعساله خصم النفوس وصارمه
فحكم فى أعناقهم نافذ القضا صقيلا فلا يستأنف الحكم حاكمه
الى أن أعاد الدين غضاً ولم يكن بغير دماء السبط تسقى معالمه (١)

ووضح لابن الزبير ما عزم عليه الحسين من ملاقات الوالي في ذلك الوقت فأشار عليه بالترك حذار الغيلة فعرفه الحسين عليه السلام القدرة على

— ممن كونه الله تعالى حجة على العالمين فهو عليه السلام فى مقام الكناية عن نكوس منبره بانقلاب الأمر من يده وانقطاع شهواته بهلاكه واشتعال النيران كناية عن احتدام الفتن بمثل فاجعة الطف وواقعة الحرة وهدم البيت الحرام الى أمثالها .

(١) من قصيدة للعلامة الشيخ محمد تقى آل صاحب الجواهر .

الامتناع منه (١) وصار اليه الحسين في ثلاثين (٢) من مواليه وأهل بيته وشيعته شاكين السلاح ليكونوا على الباب فيمنعوه إذا علا صوته (٣) وبيده قضيب رسول الله «ص» ولما استقر المجلس بأبي عبد الله «ع» نعى الوليد اليه معاوية ثم عرض عليه البيعة ليزيد فقال عليه السلام: مثلي لا يبايع سراً فاذا دعوت الناس الى البيعة دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً (٤).

فاقتنع الوليد منه لكن مروان ابتدر قائلا: إن فارقك الساعة ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم ولكن إحبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فقال الحسين: يا ابن الزرقاء (٥) أنت تقتلني أم هو؟

---

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٦

(٢) اللهوف للسيد رضى الدين ابن طاووس.

(٣) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ١٨٣ فصل ٨

(٤) طبرى ج ٦ ص ١٨٩

(٥) فى تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٢٩ طبع ايران والآداب السلطان للفخرى ص ٨٨ كانت جدة مروان من البغايا وفى كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٧٥ كان الناس يعيرون ولد عبد الملك بن مروان بالزرقاء بنت موهب لأنها من المومسات ومن ذوات الرايات وفى تأريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٤٠٧ جرى كلام بين مروان وعبد الله بن الزبير فقال له عبد الله وإنك لههنا يا ابن الزرقاء وفي أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٥ ص ١٢٩ قال عمرو بن العاص لمروان فى كلام جرى بينهما يا ابن الزرقاء فقال —

كذبت وأثمت (١) .

ثم أقبل على الوليد وقال : أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل شارب الخمور ، وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ولكن تصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة (٢) .

= مروان إن كانت زرقاء فقد أنجبت وأدت الشبه إذ لم تؤده غيرها .

غير خفي أن أدب الشريعة وإن حرج على المؤمن التنابز بالالقاب والطعن فى الأنساب ومن تستفاد منه الحكم والآداب الالهية أحرى بالأخذ بها إلا أن إمام الامة والحجة على الخليقة العارف بالملابسات لا يتعدى هذه المقررات وابتعادنا عن مقتضيات أحوال ذلك الزمن يلزمنا بالتسليم للامام المعصوم عليه السلام فى كل ما يصدر منه خصوصاً مع مطابقته للقرآن العزيز الذى هو مصدر الأحكام والتعبير الصادر من الحسين لمروان صدر مثله من الجليل عز شأنه مع الوليد بن المغيرة المخزومى إذ يقول فى سورة القلم ١٣ « عتل بعد ذلك زنيم » والزنيم فى اللغة الدعى فى النسب اللصيق به وورد فى حديث النبي صلى الله عليه وآله كما فى كنز العمال ج ١ ص ١٥٦ العتل الزنيم الفاحش اللئيم وروى الألوسى فى روح المعانى ج ٢٩ ص ٢٨ أن أباه المغيرة ادعاه بعد ثمان عشرة سنة من مولده فاذا كان ينبوع الأدب والاسرار يغمز فى حق رجل معين ويسمه بالقبيح فى كتابه الذى يتلا فى المحاريب ليلا ونهاراً فلا يستغرب من ابن النبوة اذا رمى مروان بالشائنة وهو ذلك المتربص بهم الغوائل .

(١) تأريخ الطبرى وابن الأثير والارشاد وأعلام الورى .

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلي من أعلام القرن السادس .

فأغلظ الوليد فى كلامه وارتفعت الأصوات فهجم تسعة عشر رجلا قد انتضو خناجرهم وأخرجوا الحسين الى منزله قهراً (١) .

فقال مروان للوليد عصيتني فوالله لا يمكنك على مثلها قال الوليد : « ويح غيرك » يا مروان اخترت لي ما فيه هلاك ديني أقتل حسيناً إن قال لا ابايع والله لا أظن امرأ يحاسب بدم الحسين إلا خفيف الميزان يوم القيامة (٢) ولا ينظر الله اليه ولا يزكيه وله عذاب أليم (٣) .

وعتبت أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام امرأة الوليد عليه لما جرى منه مع الحسين فاعتذر بأنه بدأه بالسب قالت أ تسبه وتسب أباه إن سبك فقال لا أفعل أبداً (٤) .

وفي هذه الليلة زار الحسين قبر جده « ص » فسطع له نور من القبر (٥) فقال : السلام يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك وسبطك الذي خلفتني فى امتك فاشهد عليهم يا نبي الله إنهم خذلوني ولم يحفظوني وهذه شكواي اليك حتى القاك ولم يزل راكعاً وساجداً حتى الصباح (٦) ,

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٠٨

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ١٩٠

(٣) اللهوف ص ١٣

(٤) ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٨

(٥) أمالي الصدوق ص ٩٢ مجلس ٣٠

(٦) مقتل العوالم ص ٥٤ والبحار ج ٢٠ ص ١٧٢ عن محمد بن أبى طالب ثم أن مسألة وجود الأنبياء والأوصياء فى قبورهم أو أنهم —

وأرسل الوليد من يتعرف له خبر الحسين وحيث لم يصبه الرسول في

— مرفوعون الى السماء محل الخلاف لاختلاف الآثار ففي كامل الزيارات والتوحيد والمجالس والعيون والخصال للصدوق والخرايج للراوندي والبصائر ص ١٣٠ أخبار دلت على وجود نبينا «ص» وعلي والحسين ونوح وشعيب وخالد العبسي ويوشع بن نون وعظام نوح وعظام يوسف وعظم النبي المذكور في خبر الاستسقاء في الأرض وإنها أول من تنشق عن نبينا «ص» ولهذه الأخبار اختار السيد محمود بن فتح الله الحسيني الكاظمي في رسالة كتبها في المسألة أنهم موجودون في قبورهم ولكن في كامل الزيارات ما من نبي أو وصي يبقى في الارض أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه الى السماء وفي تهذيب الشيخ الطوسي لا يبقى أكثر من أربعين يوماً فيرفع الى السماء والاختلاف بينهما أما لبيان الغاية في القلة والكثرة أو للاختلاف في مراتبهم ، وفي شرح الاربعين للمجلسي ص ٧٦ جمع آخر بين الخبرين وهو أن بعضهم يرفع بعد الثلاثة وبعضهم بعد الاربعين واحتمل أن تكون الأخبار واردة لقطع طمع الخوارج عن النبش وممن وافق على رفع الاجساد الاصلية الشيخ المفيد في المقالات ص ٨٤ والكراجكي في كنز الفوائد ص ٢٥٨ والمجلسي في مرآة العقول ج ١ ص ٣٧٣ والشيخ يوسف البحراني في الدرة النجفية ص ٢٦٦ والمحدث النوري في دار السلام ج ٢ ص ٣٣١ وذهب الفيض في «الوافي» الى أنهم يرتفعون بالاجساد المثالية وتبقى العنصرية في الارض ، وفي مرآة العقول ج ١ ص ٢٢٧ أن جماعة ذهبوا الى رجوعهم الى ضرائحهم بعد الرفع .

ولما سال ابن الحاجب شيخنا المفيد عن معنى حضور الوافدين الى هذه الضرائح حينئذ ؟ أجابه الشيخ المفيد بأنه انما جاء العباد الى محال قبورهم —

منزله اعتقد أنه خارج من المدينة فحمد الله على عدم ابتلائه به .

وعند الصباح لقي مروان أبا عبد الله عليه السلام فعرفه النصيحة التي يدخرها لأمثاله وهي البيعة ليزيد فان فيها خير الدين والدنيا فاسترجع الحسين وقال على الاسلام السلام إذ بليت الامة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول الله « ص » يقول الخلافة محرمة على آل أبي سفيان (١) فاذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه وقد رآه أهل المدينة على فلم يبقروا فابتلاهم الله بيزيد الفاسق . وطال الحديث بينهما حتى انصرف مروان مغضباً (٢) .

وفي الليلة الثانية جاء الحسين الى قبر جده وصلى ركعات ثم قال : اللهم إن هذا قبر نبيك محمد « ص » وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللهم إني احب المعروف وأنكر المنكر وأسألك ياذا الجلال والاكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى

— وإن لم يكونوا فيها إكباراً لهم وتقديساً للمواضع التى حلوا فيها ثم ارتفعوا عنها وهذا مثل تعبد الله العباد بالسعى الى بيته الحرام مع أنه سبحانه لا يحويه مكان وانما ذلك تعظيم له وتجليل لمقامه جل شأنه .

وفى الفتاوى الحديثية لابن حجر ص ٢١٣ عن ابن العربى أن الأنبياء ترد اليهم أرواحهم فى القبور ويؤذن لهم فى الخروج والتصرف فى الملكوت العلوى أو السفلي فلا مانع من أن يرى النبي « ص » الكثيرون لأنه كالشمس .

(١) اللهوف ص ١٣ ومثير الأحزان ص ١٠

(٢) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ١٨٥ فصل ٩

ولرسولك رضى وبكى .

ولما كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فغفا فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه فضم الحسين الى صدره وقبل بين عينيه وقال حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملا بدمائك مذبوحاً بأرض كربلا بين عصابة من امتي وأنت مع ذلك عطشان لا تسق وظمآن لا تروى وهم بعد ذلك يرجون شفاعتي لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة ، حبيبي يا حسين إن أباك وامك وأخاك قدموا علي وهم مشتاقون اليك . فبكى الحسين وسأل جده أن يأخذه معه ويدخله في قبره .

لكن الرسول الأقدس أبى إلا أن يمضي ولده على حال أربى فى نيل الجزاء وآثر عند الجليل سبحانه يوم الخصام فقال صلى الله عليه وآله : لا بد أن ترزق الشهادة ليكون لك ما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فانك وأباك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة فى زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة .

فانتبه الحسين وقص رؤياه على أهل بيته فاشتد حزنهم وكثر بكاؤهم (١) وعلموا قرب الموعد الذي كان رسول الله يخبر به ولحرصهم على

(١) مقتل العوالم ص ٥٤ عن محمد بن أبى طالب أن هذا التذمر بيان لمقتضى الحال وتعليم للامة بأن فى مشاهدة تلكم الأحوال من تداول المنكرات وإزهاق المعروف ما يستهان معه الموت وذلك بقضاء من الشهامة والتعرق فى الدين ولم يكن هذا من سيد الشهداء نكوصاً عن الأفضل ولا جزعاً - وحاشاه - مما قدر له ورضى به وأخذ عليه العهد والمواثيق المؤكدة وهو

نور النبوة أن لا يحجب عنهم ولا يفقـدوا تلك الهبات العلوية اجتمعوا عليه وطلبوا منه الموافقة ليزيد أو الابتعاد عن هذه البلاد .

رأى الاطرف

فقال له عمر الأطرف بن أمير المؤمنين (١) حدثني أبو محمد الحسن عن أبيه أمير المؤمنين أنك مقتول فلو بايعت لكان خيراً لك . قال الحسين : حـدثني أبي أن رسول الله أخبره بقتله وقتلي وإن تربتـه تكون بالقرب من تربتي أتظن أنك علمت مالم أعلمه ؟ وإني لا اعطي الدنيـة من نفسي أبداً ولتلقين فاطمة أباها شاكية مما لقيت ذريتها من امته . ولا يدخل الجنة من آذاها فى ذريتها (٢) .

لا بد أن ترد القيامة فاطم ... وقميصهـا بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في يوم القيامة ينفخ (٣)

ـــ جد عليم بأنه لا بد من وقوع ما جرت به المقادير لكن أبى الضيم حسب أن دعاء جده « ص » يغير القضاء فعرفه صاحب الدعوة الالهية أن الله تعالى أجرى قضاءه باعطائه منازل لا تحصل إلا مع الشهادة وفى كل حرف من قضية السبط الشهيد دروس راقية وهل فى الامة من يعتبر بها أو يدرسها ؟ .

(١) ذكرنا ترجمته فى هامش زيد الشهيد ص ١٠٠ طبع ثانى .

(٢) اللهوف ص ١٥ صيدا .

(٣) فى مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٩١ انها لمسعود بن عبدالله القاينى .

رأى ابن الحنفية

وقال محمد بن الحنفية (١) : يا أخي انت أحب الناس إلي وأعزهم علي ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق إلا لك وأنت أحق بها تنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث برسلك الى الناس فان بايعوك حمدت الله على ذلك وإن اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولم تذهب مروؤتك ولا فضلك ، وإني أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم فطائفة معك واخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة غرضاً فاذاً خير هذه الامة كلها نفساً وأبا واماً أضيعها دماً وأذلها أهلا .

فقال الحسين فأين أذهب ؟ قال : تنزل مكة فان اطمأنت بك الدار وإلا لحقت بالرمال وشعب الجبال وخرجت من بلد الى آخر حتى تنظر ما يصير اليه أمر الناس فانك أصوب ما تكون رأياً (٢) وأحزمه عملا حتى تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور أبداً أشكل عليك منها

---

(١) ذكرنا فى كتاب « قمر بنى هاشم » ص ١٠٤ أن له يوم البصرة عشرين سنة فهو أكبر من العباس بعشر سنين وكانت راية أمير المؤمنين معه فى الجمل والنهران وذكرنا فى كتاب « زين العابدين » ص ٣١٦ بعض أحواله .

(٢) ابن الاثير ج ٤ ص ٧

حين تستدبرها استدباراً (١) .

فقال الحسين : يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية .

فقطع محمد كلامه بالبكاء .

فقال الحسين : ياأخي جزاك الله خيراً لقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج الى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي أمرهم أمري ورأيهم رأيي ، وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عني شيئاً من امورهم (٢) .

وقام من عند ابن الحنفية ودخل المسجد وهو ينشد :

لا ذعرت السوام في فلق الصبح   مغيراً ولا دعيت يزيدا (٣)

يوم أعطى مخافة الموت ضيماً   والمنايا يرصدنني أن أحيدا (٤)

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ١٩١ وأنساب الأشراف للبلاذرى ج ٤ ص ٩٥

(٢) مقتل محمد بن أبي طالب ولم يذكر أرباب المقاتل هذا العذر واعتذر العلامة الحلي في أجوبة مسائل ابن مهنا بالمرض وفي أخذ الثار لابن نما الحلي ص ٨١ أصابته قروح من عين نظرت اليه فلم يتمكن من الخروج مع الحسين عليه السلام وجلالة ابن الحنفية ومواقفه المشهودة وإعترافه بامامة السجاد (ع) لا يدع لنا إلا الاذعان بمشروعية تأخره عن هذا المشهد على الاجمال .

(٣) هو يزيد بن مفرغ .

(٤) في أنساب الأشراف ج ٤ ص ٦٦ تمثل بهما في مكة .

وسمعه أبو سعيد المقبري فعرف أنه يريد أمراً عظيما (١) .

رأى ام سلمة

وقالت ام سلمة : لا تحزن بخروجك الى العراق فاني سمعت جدك رسول الله يقول : يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال كربلا وعندي تربتك في قارورة دفعها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال الحسين يا اماه وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً وقد شاء عز وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً .

قالت ام سلمة واعجبا فأنى تذهب وأنت مقتول ؟

قال عليه السلام يا اماه إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد وما من الموت والله بد وإني لأعرف اليوم الذي اقتل فيه والساعة التى اقتل فيها والحفرة التي ادفن فيها كما أعرفك وأنظر اليها كما أنظر اليك وإن أحببت يا اماه أن أريك مضجعي ومكان أصحابي فطلبت منه ذلك فأراها تربته وتربة أصحابه (٢) ثم أعطاها من تلك التربة وأمرها

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ١٩١ والأغانى ج ١٧ ص ٦٨

(٢) مدينة المعاجز ص ٢٤٤ عن ثاقب المناقب لمؤلفه الجليل أبى جعفر محمد بن علي بن محمد المشهدى الطوسى كما فى دار السلام للنورى ج ١ ص ١٠٢ وحكى فى روضات الجنات ص ٥٩٣ نسبة الكتاب اليه عن كامل البهائى —

أن تحتفظ بها فى قارورة فاذا رأتها تفور دماً تيقنت قتله وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت الى القارورتين فاذا هما يفوران دماً (١) .

الهاشميات

وكبر خروجه على نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة فمشى فيهن الحسين وسكتهن وقال : أنشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله فقلن : ولمن نستبقي النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيـــه رسول الله وعلي وفاطمة والحسن وزينب وام كلثوم فننشدك الله « جعلنا الله فداك » من الموت يا حبيب الأبرار من أهل القبور وأخبرته بعض عماته أنها سمعت هاتفاً يقول (٢) :

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

فصبرها الحسين وعرفها أنه أمر جار وقضاء محتوم .

— وعلى ما فى دار السلام من ذكر روايته عن جعفر بن محمد الدرويستى الراوى عن المفيد فى سنة ٤٠١ يكون من أعلام القرن الخامس .

(١) الخرايج فى باب معجزاته ومقتل العوالم ص ٤٧

(٢) فى كامل الزيارة ص ٩٦ ذكر بيتين ثم هذا البيت ورد فى أربعة أبيات فى حماسة أبى تمام كما فى شرحهـــا للتبريزى ج ٣ ص ١٤ ، ومروج الذهب ج ٢ ص ٩٢ ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٨ ومثير الأحزان عن المرزبانى وورد فى خمسة أبيات فى معجم البلدان ج ٦ ص ٥٢ ومقالات —

عبد الله بن عمر

وطلب منه عبدالله بن عمر بن الخطاب البقاء فى المدينة فأبى الحسين
وقال : يا عبدالله إن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيي بن زكريا يهدى

ـــ الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ج ١ ص ١٤٢ وفى ست ابيات فى كامل ابن الاثير ج ٤ ص ٣٧ وفى سبع ابيات فى مقاتل الطالبيين ص ٤٩ ط ايران وفى ثمان ابيات فى البداية لابن كثير ج ٨ ص ٢١١ ومثير الاحزان لابن نما .

« واختلفوا فى قائلها » ففى كامل ابن الاثير ج ٤ ص ٣٧ انها للتيمى تيم مرة وكان منقطعاً لبنى هاشم ، وفى الاصابة ج ٤ ص ٧٤ ومقالات الاسلاميين انها لأبى رمح الخزاعى وهو رواية ابن نما عن المرزبانى ، وفى شرح التبريزى على الحماسة ج ٣ ص ١٣ انها لأبى رمح الخزاعى بالجيم المعجمة وسماه البكرى فى المعجم مما استعجم ج ٣ ص ٨٩١ ابن رمح الخزاعى ولم يذكر إلا هذا البيت الذى فى روايته « ذل رقاب المسلمين فذلت » .

ويذهب المسعودى فى مروج الذهب انها لسليمان بن قبه بالباء الموحدة وعند ابن عساكر فى تاريخه ج ٤ ص ٣٤٢ «قتة» بالنون بعد القاف ويضيف ابن شهراشوب الى ذلك « الهاشمى » وفى حماسة أبى تمام سليمان بن قته العدوى وفى شرح التبريزى منسوب الى عدى .

وفى تهذيب كامل المبرد ج ٢ ص ٢٣٥ واعيان الشيعة ج ٣٥ ص ١٣٦ ونسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٤١ سليمان بن قته .

وفى مقاتل ابى الفرج ص ٤٩ والبداية لابن كثير ج ٨ ص ٢١١ ـــ

الى بغي من بغايا بني اسرائيل وان رأسي يهدى الى بغي من بغايا بني امية أما علمت ان بني اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً فلم يعجل الله عليهم بل أخذهم بعـد

ـــ سليمان بن «قتيبه» بالتاء المثناة من فوق بعد القاف ثم الياء المثناة من تحت بعدها باء موحدة ملحقة بهاء ، وفى مثير الاحزان لابن نما ان سليمان بن قتيبة العدوى مولى بنى تميم مر بكربلاء بعد قتل الحسين بثلاث فنظر الى مصارعهم فاتكأ على قوس له عربية وأنشأ الابيات وفى اللهوف لإبن طاووس ص ١١٩ ط صيدا ولقد أحسن ابن قتيبة رحمه الله ، وفى معجم البلدان ج ٦ ص ٥٢ انها لأبى دهبل الجمحى ، ووافقه فى تاج العروس بمادة الطف مع الاقتصار على نفس البيت «وابو دهبل» كما فى الاغانى ج ٦ ص ١٤٩ وهب بن زمعة بن أسد مادح معاوية وعبدالله بن الزبير والوالي على اليمن من قبله وهذا يضعف كون الشعر له ، وفى الاغانى ج ١٧ ص ١٦٥ دخل مصعب بن الزبير الكوفة وأخذ يسأل عن الحسين وقتله وعروة بن المغيرة يحدثه فقال متمثلا بقول سليمان بن قته :

فان الاولى بالطف من آل هاشم   تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

وفى طبقات القراء لإبن الجزرى ج ١ ص ٣١٤ سليمان بن قتة بفتح القاف والمثناة من فوق المشددة وقته امه التيمى مولاهم البصرى ثقة عرض على ابن عباس ثلاث عرضات وعرض عليه عاصم الجحدرى .

« ويمضى » على الالسن ان التى سمعت الهاتف ام هانى ولا يصح لانها ماتت أما فى ايام النبي « ص » كما فى مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ٩١٠ أو أيام معاوية كما فى تقريب التهذيب لإبن حجر ص ٦٢٠ ط لكنهو .

ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام (١) .

ولما عرف ابن عمر من الحسين العزم على مغادرة المدينة والنهضة في وجه أتباع الضلال وقمع المنكرات وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المقدسة ، قال له : يا أبا عبدالله اكشف لي عن الموضع الذي لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يقبله منك فكشف له عن سرته فقبلها ثلاثاً وبكى (٢) .

فقال له : اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي (٣) .

الوصية

وكتب الحسين قبل خروجه من المدينة وصية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما أوصى به الحسين بن علي (ع) الى أخيه محمد بن الحنفية ، إن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وان الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور .

وإني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الاصلاح فى امة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ، فمن قبلني

---

(١) إبن نما واللهوف .

(٢) أمالي الصدوق مجلس ٣٠ ص ٩٣ .

(٣) اللهوف ص ١٧ .

بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين .

وهذه وصيتي اليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب ، ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه الى أخيه محمد (١) .

رافع راية الهدى بمهجته	كاشفُ ظلمة العمى ببهجته
به استقامت هذه الشريعة	به علت أركانها الرفيعة
بنى المعالي بمعالي هممه	ما اخضرّ عود الدين إلا بدمه
بنفسه اشترى حياة الدين	فيا لها من ثمن ثمين
أحيى معالم الهدى بروحه	داوى جروح الدين من جروحه
جفت رياض العلم بالسموم	لم يروها إلا دم المظلوم
فأصبحت مورقة الأشجار	يانعة زاكية الثمار
أقعد كل قائم بنهضته	حتى أقام الدين بعد كبوته
قامت به قواعد التوحيد	مذ لجأت بركنها الشديد

---

(١) مقتل العوالم ص ٥٤ — غير خاف مغزى السبط المقدس من هذه الوصية فانه أراد الهتاف بغايته الكريمة من نهضته المقدسة وتعريف الملأ نفسه ونفسيته ومبدأ أمره ومنتهاه ولم يبرح يواصل هذا بأمثاله الى حين شهادته دحضاً لما كان الأمويون ولفائفهم يموهون على الناس بأن الحسين خارج على خليفة الوقت يريد شق العصا وتفريق الكلمة واستهواء الناس الى نفسه لنهمة الحاكمية وشره الرياسة تبريراً لأعمالهم القاسية فى استئصال آل الرسول ، ولم يزل عليه السلام مترسلا كذلك فى جميع مواقفه هو وآله وصحبه حتى دحروا تلكم الأكذوبة ونالوا أمنيتهم فى مسيرهم ومصير أمرهم .

غدت به سامية القباب معاهد السنة والكتاب

أفاض كالحيا على الوارد ماء الحياة وهو ظام صادي

وكظه الظما وفى طي الحشا ري الورى والله يقضي ما يشا

والتهبت أحشاؤه من الظما فأمطرت سحائب القدس دما(١)

الخروج من المدينة

وخرج الحسين من المدينة متوجهاً نحو مكة ليلة الأحد ليومين بقية من رجب ومعه بنوه واخوته وبنو أخيه الحسن وأهل بيته وهو يقرأ :

« فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين » .

ولزم الطريق الأعظم فقيل له لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب قال : لا والله لا افارقه حتى يقضي الله ما هو قاض .

ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان وهو يقرأ :

«ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل» (٢)

فنزل دار العباس بن عبد المطلب (٣) واختلف اليه اهل مكة ومن بها من المعتمرين واهل الآفاق وابن الزبير ملازم جانب الكعبة ويأتي الى الحسين فيمن يأتيه وكان ثقيلا عليه دخول الحسين مكة لكونه أجل منه

---

(١) للعلامة الحجة الشيخ محمد حسين الإصفهانى قدس الله سره .

(٢) إرشاد المفيد .

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٨ .

وأطوع في الناس فلا يبايع له ما دام الحسين فيها .

وخرج عليه السلام في بعض الأيام الى زيارة قبر جدته خديجة فصلى هناك وابتهل الى الله تعالى كثيراً (١) .

أفدي الأولى للعلى أسرى بهم ظعن وراه حاد من الأقدار يزعجه
ركب على جنة المأوى معرسه لكن على محن البلوى معرجه
مثل الحسين تضيق الأرض فيه فلا يدري الى أين مأواه ومولجه
ويطلب الأمن بالبطحا وخوف بني سفيان يقلقه منها ويخرجه
وهو الذي شرف البيت الحرام به ولاح بعد العمى للناس منهجه
يا حائراً لا وحاشا نور عزمته عن سواك الهدى قد شع مسرجه
وواسع الحلم والدنيا تضيق به سواك ان ضاق خطب من يفرجه
ويا مليكا رعاياه عليه طغت وبالخلافة باريه متوجه (٢)

في مكة

وفي مكة كتب الحسين (ع) نسخة واحدة الى رؤساء الأخماس بالبصرة وهم مالك بن مسمع البكري والأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود (٣)

---

(١) الخصائص الحسينية للشيخ جعفر الشوشترى ص ٣٥ ط تبريز ومقتل العوالم ص ٢٠ .

(٢) لحجة الإسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء « قده » .

(٣) في الإصابة ج ٣ ص ٤٨٠ : كان المنذر بن الجارود مع علي « ع » يوم الجمل وأمره على اصطخر .

ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمرو بن عبيد بن معمر وأرسله مع مولى له يقال له سليمان (١) وفيه : أما بعد فان الله اصطفى محمداً (ص) على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه اليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وآله وكنا أهله وأولياؤه وأوصياؤه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة واحببنا العافية ونحن نعلم انا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب وانا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه فان السنة قد اميتت والبدعة قد احييت ، فان تسمعوا قولي أهدكم الى سبيل الرشاد .

فسلم الجارود بن المنذر العبدي رسول الحسين الى ابن زياد فصلبه عشية الليلة التي خرج في صبيحتها الى الكوفة ليسبق الحسين اليها (٢) وكانت ابنة الجارود بحرية زوجة ابن زياد فزعم أن يكون الرسول دسيساً من ابن زياد ، فأما الأحنف فانه كتب الى الحسين (ع) : أما بعد فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون (٣) .

وأما يزيد بن مسعود (٤) فانه جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد

---

(١) هذا فى تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٠٠ ، وفى اللهوف ص ٢١ يكنى ابارزين ، وفى مثير الأحزان ص ١٢ أرسله مع ذراع السدوسى .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٠٠ .

(٣) مثير الأحزان ص ١٣ .

(٤) هذا فى مثير الأحزان ، وعند الطبرى وابن الأثير مسعود بن عمرو وقال ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب ص٢١٨ : كان عباد بن مسعود بن —

فلما حضروا قال : يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم ؟ قالوا : بخ بخ أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حللت فى الشرف وسطاً وتقدمت فيه فرطاً قال : فاني قد جمعتكم لأمر اريد أن اشاوركم فيه واستعين بكم عليه فقالوا : إنا والله نمنحك النصيحة ونجهد لك الرأي فقل حتى نسمع .

فقال : إن معاوية مات فأهون به والله هالكا ومفقوداً ألا وانه قد انكسر باب الجور والاثم وتضعضعت أركان الظلم وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن انه قد أحكمه وهيهات الذي أراد اجتهد والله ففشل وشاور فخذل وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم وقلة علم لا يعرف من الحق موطأ قدميه فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين ، وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله (ص) ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته يعطف على الصغير ويحسن الى الكبير فاكرم به راعي رعية وامام قوم وجبت لله به الحجة وبلغت به الموعظة فلا تعشو عن نور الحق ولا تكسعوا في وهد الباطل فقد كان صخر بن قيس انخذل

— خالد بن مالك النهشلي سيداً واخته ليلى بنت مسعود تحت علي بن أبي طالب ولدت له أبا بكر قتل مع الحسين وعبدالله كان مع مصعب بن الزبير على المختار وقتل يوم هزيمة اصحاب المختار وذكرنا فى (زيد الشهيد) ص ١٠١ طبع ثانى نصوص المؤرخين فى قتله بالمذار من سواد البصرة ولم يعلم قاتله . وفى الخرايج للراوندى فى معجزات علي « ع » وجد مذبوحا فى فسطاطه ولم يعلم ذابحه .

بكم يوم الجمل فاغسلوها بخروجكم الى ابن رسول الله (ص) ونصرته والله لا يقصر أحـــدكم عن نصرته إلا أورثه الله تعالى الذل في ولده والقلة في عشيرته، وها أناذا قد لبست للحرب لأمتها وأدرعت لها بدرعها من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت فاحسنوا رحمكم الله رد الجواب.

فقالت بنو حنظلة: يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت وإن غزوت بنـا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا اذا شئت.

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك لا نرضى إن غضبت ولا نبقى ان ظعنت والأمر اليك فادعنا اذا شئت.

وقالت بنو سعد بن زيد: أبا خالد إن أبغض الأشياء الينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل فحمدنا ما أمرنا وبقي عزنا فينا فامهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا.

فقال لهم لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً ولازال سيفكم فيكم.

ثم كتب الى الحسين (ع): أما بعد فقد وصل إلي كتابك وفهمت ما ندبتني اليه ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الابل الظما لورود الماء

يوم خمسها وقد ذلت لك رقاب بني سعد وغسلت درن قلوبها بماء سحاب مزن حين استهل برقها فلمع .

فلما قرأ الحسين (ع) كتابه قال : مالك آمنك الله من الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر .

ولما تجهز ابن مسعود الى المسير بلغه قتل الحسين (ع) فاشتد جزعه وكثر أسفه لفوات الامنية من السعادة بالشهادة (١) .

وكانت « مارية » ابنة سعد أو منقذ أيما وهي من الشيعة المخلصين ودارها مألفاً لهم يتحدثون فيه فضل أهل البيت ، فقال يزيد بن نبيط وهو من عبد القيس لأولاده وهم عشرة : أيكم يخرج معي ، فانتدب منهم اثنان عبدالله وعبيدالله وقال له اصحابه في بيت تلك المرأة : نخاف عليك اصحاب ابن زياد ، قال : والله لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان عليّ طلب من طلبني (٢) وصحبه مولاه عامر وسيف بن مالك والأدهم بن امية (٣) فوافوا الحسين بمكة وضموا رحالهم الى رحله حتى وردوا كربلا وقتلوا معه .

كتب الكوفيين

وفي مكة وافته كتب أهل الكوفه من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة يسألونه القدوم عليهم لأنهم بغير إمام ولم يجتمعوا مع النعمان ابن

(١) مثير الأحزان ص ١٣ واللهوف ص ٢١ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ١٩٨ .

(٣) ذخيرة الدارين ص ٢٢٤ .

بشير فى جمعة ولا جماعة ، وتكاثرت عليه الكتب حتى ورد عليه فى يوم واحد ستمائة كتاب واجتمع عنده من نوب متفرقة إثنا عشر ألف كتاب وفى كل ذلك يشددون الطلب وهو لا يجيبهم ، وآخر كتاب ورد عليه من شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعزرة بن قيس وعمرو ابن الحجاج ومحمد بن عمير بن عطارد وفيه : إن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل يابن رسول الله ، فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار ، فاقدم اذا شئت فانما تقدم على جند لك مجندة (١) :

بعثت بزور الكتب سر واقدم الى ... نحو العراق بكرها ودهاتها
هذي الخلافة لا ولي لها ولا ... كفؤ وانك من خيار كفاتها
فأتى يزج اليعملات بعشر ... كالاسد والأشطان من غاباتها
وحصان ذيل كالأهلة أوجهاً ... بسنائها وبهائها وصفاتها
ما زال يخترق الفلا حتى أتى ... أرض الطفوف وحل في عرصاتها
واذا به وقف الجواد فقال يا ... قوم اخبروني عن صدوق رواتها
ما الأرض قالوا ذي معالم كربلا ... ما بال طرفك حاد عن طرقاتها
قالوا انزلوا فالحكم فى أجداثنا ... ان لا تشق سوى على جنباتها
حط الرحال وقام يصلح عضبه ... الماضي لقطع البيض فى قماتها
بينا يجيل الطرف إذ دارت به ... زمر يلوح الغدر من راياتها
ما خلت ان بدورتم بالعرا ... تمسى (بنو الزرقاء) من هالاتها (٢)

---

(١) إبن نما ص ١١ .

(٢) من قصيدة فى الحسين للشيخ محمد بن اسماعيل البغدادى الحلي —

جواب الحسين

ولما اجتمع عند الحسين ما ملأ خرجين كتب اليهم كتابا واحداً دفعه الى هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي وفيه : لقد فهمت ما ذكرتم فى كتبكم من المحبة لقدومي عليكم وأنا باعث اليكم أخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي « مسلم بن عقيل » ليعلم لي كنه أمركم ويكتب إلي بما يتبين له من اجتماعكم فان كان أمركم على ما أتتني به كتبكم وأخبرتني رسلكم أسرعت القدوم عليكم إن شاء الله تعالى (١) .

سفر مسلم

ثم بعث مسلم بن عقيل « ع » مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة ابن عبد الله السلولى وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي وأمره بتقوى الله والنظر فيما اجتمع عليه أهل الكوفة فان رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل اليه بكتاب (٢) .

فخرج مسلم من مكة للنصف من شهر رمضان (٣) على طريق المدينة

ـــ الشهير بإبن الخلفة المتوفى سنة ١٢٤٧ « شعراء الحلة » ج ٥ ص ١٧٤ .

(١) الطبرى ج ٦ ص ١٩٨ - والأخبار الطوال ص ٢٣٨ .

(٢) إرشاد المفيد .

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٨٦

فدخلها وصلى في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وودع أهله (١) ثم استأجر رجلين من قيس ليدلاه على الطريق فضلا ذات ليلة وأصبحا تائهين وقد اشتد بهما العطش والحر فقالا لمسلم «ع» وقد بان لهما سنن الطريق : عليك بهذا السمت فألزمه لعلك تنجو فتركهما ومضى على الوصف ومات الدليلان عطشا (٢) ولم يسعه حملهما لأنهما على وشك الهلاك وغاية ما أوضح للدليلين العلائم المفضية الى الطريق لا الطريق نفسه ولم تكن المسافة بينهم وبين الماء معلومة وليس لهما طاقة على الركوب بأنفسهما ولا مردفين مع آخر وبقاء مسلم عليه السلام معهما الى منتهى الأمر يفضي الى هلاكه ومن معه فكان الواجب الأهم التحفظ على النفوس المحترمة بالمسير لادراك الماء فلذلك تركهما في المكان .

ونجا مسلم ومن معه من خدمه بحشاشة الأنفس حتى أفضوا الى الطريق ووردوا الماء فأقام فيه .

وكتب الى الحسين عليه السلام مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء يخبره بموت الدليلين وما لاقاه من الجهد وأنه مقيم بمنزله وهو المضيق من بطن الخبت حتى يعرف ما عنده من الرأي ، فسار الرسول ووافى الحسين بمكة وأعطاه الكتاب فكتب الحسين عليه السلام يأمره بالمسير الى الكوفة ولا يتأخر .

ولما قرأ مسلم الكتاب سار من وقته ومر بماء لطي فنزل عليه ثم

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٨

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٣٢

ارتحل فاذا رجل يرمي ظبياً حين أشرف له فصرعه فتفأل بقتل عدوه (١).

دخوله الكوفة

ولخمس خلون من شوال دخل الكوفة (٢) فنزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي (٣) وكان شريفاً في قومه كريماً عالي الهمة مقداماً مجرباً قوي النفس شديداً على أعداء أهل البيت عليهم السلام له عقل وافر ورأي مصيب خصوصاً بقواعد الحرب والغلبة على العدو كأنه مارس التجارب فحنكته، أو لابس الخطوب فهذبته، انقطع الى آل الرسول الأقدس فاستفاد منهم أدباً جماً وأخلاقاً فاضلة وناصح لهم في السر والعلانية.

البيعة

ووافت الشيعة مسلماً في دار المختار بالترحيب وأظهروا له من الطاعة والانقياد ما زاد في سروره وابتهاجه فعندها قرأ عليهم كتاب الحسين فقام عابس بن شبيب الشاكري وقال: إني لا اخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم ولم أغرك بهم والله إني احدثك عما أنا موطن عليه نفسي والله

---

(١) ارشاد المفيد.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٨٦

(٣) الطبرى ج ٧ ص ٥٨

لاجيبنكم إذا دعوتم ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى القى الله لا اريد بذلك إلا ما عند الله .

وقال حبيب بن مظاهر : قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما أنت عليه .

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي مثل قولهما (١) .

وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى احصي ديوانه ثمانية عشر الفاً (٢) وقيل بلغ خمساً وعشرين الفاً (٣) وفي حديث الشعبي بلغ من بايعه أربعين الفاً (٤) فكتب مسلم الى الحسين مع عابس بن شبيب الشاكري يخبره باجتماع أهل الكوفة على طاعته وانتظارهم لقدومه وفيه يقول : الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر الفاً فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي (٥) .

وكان ذلك قبل مقتل مسلم بسبع وعشرين ليلة (٦) وانضم اليه كتاب أهل الكوفة وفيه : عجل القدوم يا ابن رسول الله فان لك بالكوفة مائة الف سيف فلا تتأخر «٧» .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٩
(٢) تذكرة الخواص ، ص ١٣٨
(٣) ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢١٠
(٤) ابن نما ص ١١
(٥) الطبري ج ٦ ص ٢١١
(٦) الطبري ج ٦ ص ٢٢٤
(٧) البحار ج ١٠ - ١٨٥

فساء هذا جماعة ممن لهم هوى في بني امية منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي وعمارة بن عقبة بن أبي معيط فكتبوا الى يزيد يخبرونه بقدوم مسلم بن عقيل وإقبال أهل الكوفة عليه وإن النعمان بن بشير لا طاقة له على المقاومة .

فكتب يزيد الى عبيد الله بن زياد واليه على البصرة يستحثه على الشخوص الى الكوفة ليطلب ابن عقيل ليوثقه أو يقتله أو ينفيه .

فتعجل ابن زياد المسير الى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلي والمنذر ابن الجارود وشريك الحارثي وعبد الله بن الحارث بن نوفل في خمسمائة رجل انتخبهم من أهل البصرة فجد في السير وكان لا يلوي على أحد يسقط من أصحابه حتى أن شريك بن الأعور سقط أثناء الطريق وسقط عبد الله ابن الحارث رجاء أن يتأخر ابن زياد من أجلهم فلم يلتفت ابن زياد اليهم مخافة أن يسبقه الحسين الى الكوفة ولما ورد « القادسية » سقط مولاه مهران » فقال له ابن زياد إن أمسكت على هذا الحال فتنظر القصر فلك مائة الف قال لا والله لا أستطيع فتركه عبيد الله ولبس ثياباً يمانية وعمامة سوداء وانحدر وحده وكلما مر بالمحارس ظنوا أنه الحسين « ع » فقالوا مرحباً بابن رسول الله وهو ساكت فدخل الكوفة مما يلي النجف (١) .

واستقبله الناس بهتاف واحد : مرحباً بابن رسول الله فساءه هذا الحال وانتهى الى « قصر الامارة » فلم يفتح النعمان باب القصر وأشرف عليه من أعلا القصر يقول : ما أنا بمؤد اليك أمانتي يا ابن رسول الله فقال له ابن زياد افتح فقد طال ليلك فسمعها رجل وعرفه فقال للناس انه ابن زياد

(١) ابن نما

ورب الكعبة (١) .

فتفرقوا الى منازلهم وعند الصباح جمع ابن زياد الناس في الجامع الأعظم وخطبهم وحذرهم ومناهم العطية وقال : أيما عريف وجد عنده أحداً من بغية أمير المؤمنين ولم يرفعه الينا صلب على باب داره (٢) .

موقف مسلم

ولما بلغ مسلم بن عقيل خطبة ابن زياد ووعيده وظهر له حال الناس خاف أن يؤخذ غيلة فخرج من دار المختار بعد العتمة الى دار هاني بن عروة المذحجي وكان من أشراف الكوفة (٣) وقرائها (٤) وشيخ مراد وزعيمها يركب في أربعة آلاف دارع وثمانيــة آلاف راجل فاذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين الف (٥) وكان من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٦) حضر حروبه الثــلاثة (٧) وأدرك النبي « ص »

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٠١

(٢) الارشاد .

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٣٥

(٤) الأغانى ج ١٤ ص ٩٥

(٥) مروج الذهب ج ٦ ص ٨٩

(٦) الاصابة ج ٣ ص ٦١٦ قسم ٣

(٧) ذخيرة الدارين ص ٢٧٨

وتشرف بصحبته وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة (١) .

ونزل مع مسلم بن عقيل شريك (٢) بن عبدالله (٣) الأعور الحارثي الهمـــداني البصري وكان من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة جليل القدر في أصحابنا (٤) شهد صفين وقاتل مع عمار بن ياسر (٥) ولشرفه وجاهه ولاه معاوية كرمان (٦) وكانت له مواصلة وصحبة مع هاني بن عروة فمرض مرضاً شديداً عاده فيه ابن زياد وقبل مجيئه قال شريك لمسلم عليه السلام : إن غايتـك وغاية شيعتك هلاكه فأقم في الخزانة حتى اذا

---

(١) الاصابة ج ٣ ص ٦١٦ قسم ٣

(٢) المصدر .

(٣) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٠١ ويظهر من كشف المحجة لابن طاوس ص ١٧٤ طبع النجف أن أباه الحارث بن عبد الله فانه قال : لما انصرف أمير المؤمنين « ع » من النهروان سئل عن أبى بكر وعمر وعثمان فغضب وقال : سأكتب لكم كتاباً فى ذلك ثم أمر بادخال عشرة عليه من ثقاة أصحابه فيهم الحارث بن عبد الله بن الأعور الهمدانى (ه) .

وفى أعيان الشيعة ج ٣٦ ص ٨٨ ساق نسبه فقال : شريك بن الحارث ابن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن الحارث بن سبع بن مصعب بن معاوية الهمدانى الحارثى البصرى المعروف بشريك الأعور .

(٤) ابن نما ص ١٤

(٥) الطبرى ج ٦ ص ٢٠٣

(٦) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٥٣ وكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٦ والأغانى ج ١٧ ص ٧٠

اطمأن عندي اخرج اليه واقتله وأنا أكفيك أمره بالكوفة مع العافية (١) .

وبينا هم على هذا إذ قيل الأمير على الباب فدخل مسلم الخزانة ودخل عبيد الله على شريك ولما استبطأ شريك خروج مسلم جعل يأخذ عمامته من على رأسه ويضعها على الأرض ثم يضعها على رأسه فعل ذلك مراراً ونادى بصوت عال يسمع مسلماً :

ما تنظرون بسلمى لا تحيوها حيوا سليمى وحيوا من يحييها
هل شربة عذبة اسقى على ظمأ ولو تلفت وكانت منيتي فيها
وإن تخشيت من سلمى مراقبة فلست تأمن يوماً من دواهيها

ولم يزل يكرره وعينه رامقة الى الخزانة ثم صاح بصوت رفيع يسمع مسلماً : اسقونيها ولو كان فيها حتفي (٢) .

فالتفت عبيدالله الى هاني وقال : ابن عمك يخلط في علته فقال هاني : إن شريكاً يهجر منذ وقع في علته وإنه ليتكلم بما لا يعلم (٣) .

فقال شريك لمسلم ما منعك منه قال خلتان : الاولى حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن (٤) .

والثانية : امرأة هاني فانها تعلقت بي وأقسمت علي بالله أن لا أفعل

---

(١) ابن نما ص ١٤
(٢) رياض المصائب ص ٦٠
(٣) ابن نما ص ١٤
(٤) ابن الأثير ج ٤ ص ١١ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤٠ وقد —

هذا في دارها وبكت في وجهي فقال هاني : يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرت منه وقعت فيه (١) .

— تكرر ذكر الحديث فى الجوامع ، ففى مسند أحمد ج ١ ص ١٦٦ ومنتخب كنز العمال بهامشه ج ١ ص ٥٧ ، والجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ١٢٣ وكنوز الحقايق بهامشه ج ١ ص ٩٥ ، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٥٢ ، ومقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٠٢ فصل ١٠ ، ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٣١٨ ، والبحار ج ١١ فى معاجز الصادق « ع » ، ووقايع الأيام عن الشهاب فى الحكم والآداب .

(١) إبن نما ص ١٤ ، وهذه الكلمة من عالم أهل البيت وخليفة سيد الشهداء فى الامور الدينية والمدنية تفيد الملأ الدينى المقتص آثارهم فقهاً بشريعة الرسول الأقدس المانعة من الغدر ، وان النفوس الطاهرة تأبى للضيف أن يدخل بمن استضافهم مايكرهون وهذه تعاليم مقدسة للامة لوكانوا يفقهون .

وهناك سر دقيق ومغزى آخر نظر اليه « شهيد القصر » لمسناه جوهرة فردة من قول عمه أمير المؤمنين فى جواب من قال له : ألا تقتل ابن ملجم ؟ فقال « ع » : إذن فمن يقتلنى ؟ . ومن قول الحسين لأم سلمة : اذا لم أمض الى كربلا فمن يقتلنى ومن ذا يكون ساكن حفرتى وبما ذا يختبرون ؟ ، فان مفاد ذلك عدم قدرة أحـــد على تغيير المقادير الآلهية المحتمة وقد أجرى الله القضاء بشهادة أمير المؤمنين والحسين على يد ابن ملجم ويزيد فهل يقدر أحد ان ينقض ما أبرم من المحتوم .

واذا كان من الجائز أن يطلع أمير المؤمنين الخواص من اصحابه كميثم وحبيب ورشيد وكميل على كيفية قتلهم وعلى يد من يكون فمن القريب جداً —

ولبث شريك بعد ذلك ثلاثة أيام ومات فصلى عليه ابن زياد ودفن « بالثوية » ولما وضح لابن زياد ان شريكاً كان يحرض على قتله قال : والله لا أصلي على جنازة عراقي أبداً ولو لا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكا .

قلق الشيعة

وأخـــذت الشيعة تختلف الى مسلم بن عقيل فى دار هاني على تستر واستخفاء من ابن زياد وتواصوا بالكتمان تخفى على ابن زياد موضع مسلم فدعا « معقلا » مولاه وأعطاه ثلاثة آلاف وأمره أن يلقى الشيعة ويعرفهم انه من اهل الشام مولى لذي الكلاع وقد أنعم الله عليه بحب اهل بيت رسوله وبلغه قدوم رجل منهم الى هذا المصر داعية للحسين وعنده مال يريد أن يلقاه ويوصله اليه ، فدخل « معقل » الجامع الأعظم ورأى مسلم بن عوسجة الأسدي يصلي ، فلما فرغ دنا منه وقص عليه حاله فدعا له مسلم بالخير والتوفيق وأدخله على ابن عقيل فدفع اليه المال وبايعه (١) وسلمه الى

ـــ أن يوقف سيد الشهداء « ع » مسلم بن عقيل على ما يجرى عليه حرفاً حرفاً لأن ابن عقيل فى السنام الأعلى من اليقين والبصيرة النافذة ولكن الظرف لم يساعده على إظهار هذه الأسرار ، فان سر آل محمد مستصعب فأخذ يجمل فى البيان وعليك بمراجعة كتاب «الشهيد مسلم» ص ١٣٤ فقد تبسطنا فى إيضاح ذلك تحت عنوان « مسلم لا يغدر » .

(١) الأخبار الطوال ص ٢٣٧ .

أبي ثمامة الصائدي وكان بصيراً شجاعا ومن وجوه الشيعة عيّنه مسلم لقبض ما يرد عليه من الأموال ليشتري به سلاحاً .

فكان ذلك الرجل يختلف الى مسلم كل يوم فلا يحجب عنه ويتعرف الأخبار ويرفعها الى ابن زياد عند المساء (١) .

موقف هانى

ولما وضح الأمر لابن زياد وعرف أن مسلماً مختبئ في دار هاني ابن عروة دعا أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وسألهم عن انقطاع هاني عنه قالوا : الشكوى تمنعه ، فلم يقتنع ابن زياد بعد أن أخبرته العيون بجلوسه على باب داره كل عشية ، فركب هؤلاء الجماعة اليه وسألوه المسير الى السلطان فان الجفاء لا يحتمله وألحوا عليه فركب بغلته ولما طلع عليه قال ابن زياد : « أتتك بحائن رجلاه » (٢) والتفت الى شريح القاضي وقال (٣) :

---

(١) الإرشاد للمفيد .

(٢) فى مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ١٩ قاله الحرث بن جبلة الغسانى لما ظفر بالحرث بن عفيف العبدى حين هجاه .

(٣) فى الإصابة ج ٣ ص ٢٧٤ بترجمة قيس بن المكشوح أن البيت لعمرو بن معديكرب من أبيات قالها فى ابن اخته وكانا متباعدين وفى الأغانى ج ١٤ ص ٣٢ : ان امير المؤمنين « ع » تمثل به لما دخل عليه ابن ملجم المرادى يبايعه .

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ثم التفت الى هاني وقال : أتيت بابن عقيل الى دارك وجمعت له السلاح فأنكر عليه هاني وإذ كثر الجدال دعا ابن زياد معقلا ، ففهم هاني أن الخبر أتاه من جهته فقال لابن زياد : أن لأبيك عندي بلاء حسناً وأنا أحب مكافاته فهل لك في خير تمضي أنت واهل بيتك الى الشام سالمين بأموالكم فانه جاء من هو أحق بالأمر منك ومن صاحبك (١) .

فقال ابن زياد : والله لا تفارقني حتى تأتيني به قال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه ، فأغلظ له ابن زياد وهدده بالقتل فقال هاني إذاً تكثر البارقة حولك وهو يظن ان « مراداً » تمنعه فأخذ ابن زياد بظفيرتيه وقنع وجهه بالسيف حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته وحبسه عنده .

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قتل وكانت اخته روعة تحت هاني وهي ام يحيى بن هاني فأقبل في جمع من مذحج وأحاط بالقصر فلما علم به ابن زياد أمر شريح القاضي أن يدخل على هاني ويعلمهم بحياته ، قال شريح لما رآني هاني صاح بصوت رفيع : ياللمسلمين إن دخل علي عشرة أنقذوني فلو لم يكن معي حميد بن أبي بكر الأحمري وهو شرطي لأبلغت أصحابه مقالته ولكن قلت انه حي فحمدالله عمرو بن الحجاج وانصرف بقومه(٢) .

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٦ . وعند ابن نما وابن طاووس اسمها رويحة بنت عمرو بن الحجاج .

نهضة مسلم

ولما بلغ مسلم خبر هاني خاف أن يؤخـذ غيلة فتعجل الخروج قبل الأجل الذي بينه وبين الناس وأمر عبدالله بن حازم أن ينادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله فاجتمع اليه أربعة آلاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر : « يا منصور أمت » (١) .

ثم عقـد لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الـكندي على ربع كـندة وربيعة وقال سر أمامي على الخيل وعقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد وقال : انزل في الرجال وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة (٢) .

وأقبلوا نحو القصر فتحرز ابن زياد فيه وغلق الأبواب ولم يستطع المقاومة لأنه لم يكن معه إلا ثلاثون رجلا من الشرطة وعشرون رجلا من الأشراف ومواليه ، لـكن نفاق الـكوفة وما جبلوا عليه من الغدر لم يدع لهم « علماً » يخفق فلم يبق من الأربعة آلاف إلا ثلثمائة (٣) .

ولما صاح من في القصر يا اهل الـكوفة اتقوا الله ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام فقد ذقتموهم وجربتموهم تفرق هؤلاء الثلثمائة حتى أن

---

(١) شرح السير الـكبير للسرخسي ج ١ ص ٥٥ .

(٢) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٢ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

الرجل يأتي ابنـــه وأخاه وابن عمه فيقول له انصرف والمرأة تأتي زوجها فتتعلق به حتى يرجع .

فصلى مسلم عليه السلام العشاء بالمسجد ومعـــه ثلاثون رجلا ثم انصرف نحو كندة (١) ومعه ثلاثة ولم يمض إلا قليلا واذا لم يشاهد من يدله على الطريق (٢) فنزل عن فرسه ومشى متلدداً في أزقـة الـكوفة لا يدري الى أين يتوجه (٣) .

ولما تفرق الناس عن مسلم وسكن لغطهم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال أمر من معه في القصر أن يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كمنوا فيها فكانوا يدلون القناديل ويشعلون النار في القصب ويدلونها بالحبال الى أن تصل الى صحن الجامع فلم يروا أحداً فاعلموا ابن زياد وأمر مناديه أن ينادي في الناس ليجتمعوا في المسجد ولما امتلأ المسجد بهم رقى المنبر وقال : ان ابن عقيل قد أتى ما قد علمتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه فى داره ومن جاء به فله ديته فاتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على انفسكم سبيلا .

ثم أمر صاحب شرطتـه الحصين بن تميم أن يفتش الدور والسكك وحذره بالفتك به ان أفلت مسلم وخرج من الـكوفة (٤) .

---

(١) الأخبار الطوال ص ٢٤٠ .

(٢) شرح مقامات الحريرى للشريشى ج ١ ص ١٩٢ آخر المقامة العاشرة .

(٣) اللهوف ص ٢٩ .

(٤) تاريخ الطبرى ص ٢٠٩ و ٢١٠ .

فوضع الحصين الحرس على أفواه السكك وتتبع الأشراف الناهضين مع مسلم فقبض على عبد الأعلى بن يزيد الكلبي وعمارة بن صلخب الأزدي فحبسهما ثم قتلهما وحبس جماعة من الوجوه إستيحاشاً منهم وفيهم المختار الثقفي وعبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب (١) وقـــد خرجا لنصرة مسلم .

وكان المختار عند خروج مسلم فى قرية له تدعى « لقفا » فجاء بمواليه يحمل راية خضراء ويحمل عبدالله بن الحارث راية حمراء وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث وقال : أردت أن أمنع عمرو (٢) ووضح لهما قتل مسلم وهاني واشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما ابن عقيل ، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه وبقيا فى السجن الى أن قتل الحسين « ع » (٣) .

وأمر ابن زياد محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي والقعقاع بن شور الذهلي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن وعمرو بن حريث أن يرفعوا راية الأمان ويخذلوا الناس (٤) فأجاب جماعة ممن خيم عليهم الفرق وآخرين جرهم الطمع الموهوم واختفى الذين طهرت ضمائرهم وكانوا يترقبون فتح الأبواب للحملة على صولة الباطل .

---

(١) تاريخ الطبرى ص ٢١٥ — ١١٤ .
(٢) أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٥ ص ٢١٥ .
(٣) المقاتل لأبى الفرج .
(٤) ابن الأثير ج ٤ ص ١٢ .

وانتهى بابن عقيل السير الى دور بني جبلة من كندة ووقف على باب امرأة يقال لها طوعة ام ولد كانت للأشعث بن قيس اعتقها وتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالاً كان مع الناس وامه واقفة على الباب تنتظره فاستسقاها مسلم فسقته واستضافها فأضافته بعد أن عرفها أنه ليس له في المصر اهل ولا عشيرة وانه من اهل بيت لهم الشفاعة يوم الحساب وهو مسلم ابن عقيل فأدخلته بيتاً غير الذي يأوي اليه ابنها وعرضت عليه الطعام فأبى وأنكر ابنها كثرة الدخول والخروج لذلك البيت فاستخبرها فلم تخبره إلا بعد أن حلف لها كتمان الأمر .

وعند الصباح أعلم ابن زياد بمكان مسلم فأرسل ابن الأشعث في سبعين من قيس ليقبض عليه ، ولما سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف انه قد أتى (١) فعجل دعاءه الذي كان مشغولا به بعد صلاة الصبح ثم لبس لامته وقال لطوعة : قد أديتِ ما عليك من البر وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين فى المنام وهو يقول لي : أنت معي غداً (٢) .

وخرج اليهم مصلتاً سيفه وقد اقتحموا عليه الدار فأخرجهم منها ثم عادوا اليه فشد عليهم وأخرجهم وهو يقول :

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع　　فأنت بكأس الموت لا شك جارع
فصبراً لأمر الله جل جلاله　　فحكم قضاء الله في الخلق ذايع

---

(١) المقاتل لأبى الفرج .

(٢) نفس المهموم ص ٥٦ .

فقتل منهم أحد وأربعين رجلا (١) وكان من قوته يأخذ الرجل بيده ويرمي به فوق البيت (٢) .

وأنفذ ابن الأشعث الى ابن زياد يستمده الرجال فبعث اليه اللائمة فأرسل اليه : أتظن انك أرسلتني الى بقال من بقالي الكوفة أو جرمقاني من جرامقة الحيرة (٣) وإنما أرسلتني الى سيف من أسياف محمد بن عبدالله فمده بالعسكر (٤) .

واشتد القتال فاختلف مسلم وبكير بن حمران الأحمري بضربتين ضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السيف الى السفلى ونصلت لها ثنيتان وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة وأخرى على حبل العاتق حتى كادت أن تطلع الى جوفه فمات (٥) .

ثم أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطنان القصب (٦) ويلقونها عليه ، فشد عليهم يقاتلهم في السكة

---

(١) مناقب إبن شهراشوب ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) نفس المهموم ص ٥٧ .

(٣) فى الصحاح الجرامقة قوم من العجم صاروا الى الموصل ، وزاد فى القاموس أوائل الإسلام والواحد جرمقانى ، وفى تاج العروس انه كالإسم الخاص .

(٤) المنتخب ص ٢٩٩ الليلة العاشرة .

(٥) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢١٠ فصل ١٠ .

(٦) فى الصحاح والقاموس الطن بالضم حزمة القصب والقصبة الواحدة من الحزمة طنة .

وهو يرتجز (١) :

أقسمت لا اقتل إلا حــرا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا (٢)

كل امرىء يوماً ملاق شرا ويخلط البــارد سخناً مرا

رد شعــاع النفس فاستقرا أخاف أن أكذب أو أغرا

واثخنته الجراحات وأعياه نزف الدم فاستند الى جنب تلك الدار فتحاملوا عليه يرمونه بالسهام والحجارة فقال : مالكم ترموني بالحجارة كما ترمى الـكـفـار وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار ألا ترعون حق رسول الله في عترته ؟ .

فقال له ابن الأشعث : لا تقتل نفسك وأنت في ذمتي قال مسلم : أؤسر وبي طاقة لا والله لا يكون ذلك أبداً ، وحمل على ابن الأشعث فهرب منه ثم حملوا عليه من كل جانب وقد اشتد به العطش ، فطعنه رجل

---

(١) فى اللهوف ص ٣٠ الأبيات لحمران بن مالك النخعى قالها يوم القرم وفى مثير الأحزان يوم القرن بالنون بعد الراء المهملة وشاهده ما فى معجم البلدان ج ٧ ص ٦٤ والمعجم مما استعجم للبكرى ج ٣ ص ١٠٦٨ وتاج العروس ج ٩ ص ٣١٠ قرن اسم جبل كانت فيه وقعة على بنى عامر وفى نهاية الارب للقلقشندى ص ٣٢١ بنو قرن بطن من مراد ومنهم اويس القرنى .

(٢) فى المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون ص ٣٤٣ ان حمران بن مالك بن عبد ملك الخثعمى كان يقاتل ويقول :

أقسم لا أقتل إلا حــرا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا

أخاف أن أخدع أو أغرا

وفى رسالة المغتالين لإبن حبيب النسابة انه قتل مغتالا .

من خلفه فسقط الى الأرض وأُسر (١) .

وقيل انهم عملوا له حفيرة وستروها بالتراب ثم انكشفوا بين يديه حتى اذا وقع فيها أسروه (٢) .

وجيء به الى ابن زياد فرأى على باب القصر قلة مبردة فقال : اسقوني من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم قال مسلم عليه السلام : من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحق إذ أنكرته ونصح لامامه إذ غششته ، فقال له ابن عقيل : لأمك الثكل ما أقساك وأفظك ، أنت يابن باهلة أولى بالحميم ثم جلس وتساند الى حائط القصر (٣) .

فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط غلاماً له يدعى قيساً (٤) فأتاه بالماء وكلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً وفى الثالثة ذهب ليشرب فامتلأ القدح دماً وسقطت فيه ثناياه فتركه وقال : لو كان من الرزق المقسوم لشربته .

وخرج غلام ابن زياد فأدخله عليه فلم يسلم فقال له الحرسي : ألا

---

(١) مناقب إبن شهراشوب ج ٢ ص ٢١٢ ومقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٠٩ و ٢١٠ .

(٢) المنتخب للطريحى ص ٢٩٩ المطبعة الحيدرية فى النجف عند ذكر الليلة العاشرة .

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد .

(٤) الطبرى ج ٦ ص ٢١٢ ، وعند المفيد أن عمرو بن حريث بعث غلامه سليما فأتاه بالماء .

تسلم على الأمير ؟ قال له : اسكت انه ليس لي بأمير (١) ويقال انه قال : السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى فضحك ابن زياد وقال : سلمت أو لم تسلم انك مقتول (٢) فقال مسلم : إن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني وبعد فانك لا تدع سوء القتلة ولا قبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك .

فقال ابن زياد : لقد خرجت على امامك وشققت عصا المسلمين والقحت الفتنة قال مسلم : كذبت إنما شق العصا معاوية وابنه يزيد والفتنة ألقحها أبوك وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد أشر بريته (٣) .

ثم طلب مسلم أن يوصي الى بعض قومه فأذن له ونظر الى الجلساء فرأى عمر بن سعد فقال له : ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة ويجب عليك نجح حاجتي وهي سر ، فأبى أن يمكنه من ذكرها ، فقال ابن زياد : لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك فقام معه بحيث يراهما ابن زياد فأوصاه مسلم أن يقضي من ثمن سيفه ودرعه ديناً استدانه منذ دخل الكوفة يبلغ ستمائة درهم (٤) وأن يستوهب جثته من ابن زياد ويدفنها ، وأن يكتب الى الحسين بخبره ، فقام عمر بن سعد الى ابن زياد وأفشى كلما أسره اليه فقال ابن زياد لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن (٥) .

---

(١) اللهوف ص ٣٠ .

(٢) المنتخب ص ٣٠٠ .

(٣) ابن نما ص ١٧ .

(٤) فى الأخبار الطوال ص ٢٤١ يبلغ ألف درهم .

(٥) الإرشاد وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٢ وهذه الجملة التى هى كالمثل —

ثم التفت ابن زياد الى مسلم وقال : أيهاً يابن عقيل أتيت الناس وهم جمع ففرقتهم ، قال : كلا لست أتيت لذلك ولكن اهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا الى حكم الكتاب .

قال ابن زياد : ما أنت وذاك أولم نكن نعمل فيهم بالعدل ؟ فقال مسلم : إن الله ليعلم إنك غير صادق وانك لتقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن فشتمه ابن زياد وشتم علياً وعقيلا والحسين (١) فقال مسلم : أنت وأبوك أحق بالشتم فاقض ما أنت قاض يا عدو الله (٢) .

— وردت فى لسان اهل البيت عليهم السلام ، ففى الوسائل للحر العاملي ج ٢ ص ٦٤٣ باب ٩ عدم جواز ائتمان الخائن عن الكليني مسنداً عن معمر بن خلاد قال سمعت أبا الحسن «ع» يقول كان ابو جعفر «ع» يقول : لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن .

ثم انه لم يخف على شهيد القصر مسلم «ع» نفسية عمر بن سعد ولم يجهل دنس أصله ولكنه أراد أن يعرف الكوفيين مبلغه من المروأة والحفاظ كيلا يغتر به أحد ، وهناك سر آخر وهو إرشاد الملأ الكوفى الى أن اهل البيت عليهم السلام وولاتهم لم يقصدوا إلا الإصلاح ونشر الدعوة الآلهية وهذا الوالي من قبلهم لم يمد يده الى بيت المال وكان له ان يتصرف فيه كيف شاء غير انه قضى أيامه البالغة أربعاً وستين يوماً بالإستدانة وهكذا ينبغى أن تسير الولاة فلا يتخذون مال الفقراء مغنما .

(١) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٤ .

(٢) اللهوف ص ٣١ .

فأمر ابن زياد رجلا شامياً (١) أن يصعد به الى أعلا القصر ويضرب عنقه ويرمي رأسه وجسده الى الأرض فأصعده الى أعلا القصر وهو يسبح الله ويهلله ويكبره ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا وكذبونا ، وتوجه نحو المدينة وسلم على الحسين (٢) .

وأشرف به الشامي على موضع الحذائين وضرب عنقه ورمى برأسه وجسده الى الارض (٣) ونزل مذعوراً فقال له ابن زياد ما شأنك ؟ قال : رأيت ساعة قتله رجلا أسود سيء الوجه حذائي عاضاً على اصبعه ففزعت منه فقال ابن زياد : لعلك دهشت (٤) .

ثم اخرج هاني الى مكان من السوق يباع فيه الغنم وهو مكتوف فجعل يصيح وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم وامذحجاه وأين مني مذحج فلما رأى أن أحداً لا ينصره جذب يده ونزعها من الكتاف وقال : أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يدافع رجل عن نفسه ووثبوا عليه وأوثقوه كتافاً وقيل له مد عنقك فقال: ما أنا بها سخي وما أنا بمعينكم على نفسي فضربه بالسيف مولى لعبيد الله بن زياد تركي يقال له رشيد فلم يصنع فيه شيئاً فقال هاني : الى الله المعاد اللهم الى رحمتك ورضوانك ثم ضربه اخرى فقتله . وهذا العبد قتله عبد الرحمن بن الحصين المرادي رآه مع

---

(١) مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٢١٣ .

(٢) أسرار الشهادة ص ٢٥٩

(٣) مثير الأحزان ص ١٨

(٤) مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٣١٢ واللهوف .

عبيد الله « بالخازر » (١) .

وأمر ابن زياد بسحب مسلم وهاني بالحبـــال من أرجلهما في الأسواق (٢) وصلبهما بالكناسـة منكوسين (٣) وأنفـذ الرأسين الى يزيد فنصبهما فى درب من دمشق (٤) .

وكتب الى يزيد : أما بعد فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقـه وكـفاه مؤنة عدوه أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ الى دار هاني بن عروة المرادي وإني جعلت عليهما العيون ودسست اليهما الرجال وكـدتهما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما فضربت أعنـــاقهما وبعثت اليك برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوادعي الهمدانى والزبير بن الأروح التميمي وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة فليسألهما أمير المؤمنين عما احب فان عندهما علماً وصدقاً وفهما وورعا والسلام .

وكتب يزيد الى ابن زياد : أما بعد فانك لم تعد أن كنت كما احب عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش فقـد أغنيت وكفيت

---

(١) تأريخ الطبرى ج ص ٢١٤

(٢) المنتخب ص ٣٠١

(٣) مناقب ابن شهراشوب ج ص ٢١٢ وهذه الفعلة لا يأتى بها إلا من خرج عن ربقة الاسلام ولم يحمل أقل شيء من العطف والرقة وبمثلها صنع الحجاج بعبد الله بن الزبير كما فى أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٥ ص ٢٦٨ وابن حبيب فى المحبر ص ٤٨١ وفى مختصر تأريخ الدول لابن العبرى ص ١١٦ أن الملك نارون صلب فطرس وبولس منكوسين بعد أن قتلهما .

(٤) تأريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٩٠ والبداية لابن كثير ج ٨ ص ١٥٧

وصدقت ظني بك ورأيي فيــك وقد دعوت رسوليك فسألتها وناجيتها فوجدتها في رأيها وفضلها كما ذكرت فاستوص بها خيراً ، وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة (١) وهذا الحسين قد ابتلى به زمانك من بين الأزمان وبلادك من بين البــلدان وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد (٢)

سقتك دماً يا ابن عم الحسين ... مدامــع شيعتك السافحــة
ولا برحت هاطلات العيون ... تحييــك غادية رائحــة
لأنك لم ترو من شربة ... ثناياك فيها غدت طائحــة
رموك من القصر إذ أوثقوك ... فهل سلمت فيك من جارحة
وسحباً تجر بأسواقهــم ... ألست أميرهم البارحــة
أتقضي ولم تبكك الباكيات ... أما لك في المصر من نائحــة
لئن تقضى نحباً فكم من زرود ... عليك العشية من صائحــة (٣)

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٢٥

(٢) مقتل العوالم ص ٦٦ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٢

(٣) للسيد باقر الهندى رحمه الله .

لا يخفى أن الأقوال فى يوم شهادة مسلم ثلاثة : الاول الثالث من ذى الحجة ذكره فى الأخبار الطوال ، ويظهر من ابن طاروس فى اللهوف موافقته فانه قال توجه الحسين من مكة لثلاث مضين من ذى الحجة ثم قال بعد ذلك وكان خروجه من مكة فى اليوم الذى قتل فيه مسلم « الثانى » يوم الثامن من ذى الحجة ذكره الوطواط فى غرر الخصائص ص ٢١٠ وهو —

السفر الى العراق

لما بلغ الحسين أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر وأمره على الحاج وولاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد (١) عزم على الخروج من مكة قبل اتمام الحج واقتصر على العمرة كراهية أن تستباح به حرمة البيت (٢).

وقبل أن يخرج قام خطيباً فقال: الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع

— الظاهر من تاريخ ابى الفدا ج ١ ص ١٩٠ وتذكرة الخواص ص ١٣٩ قالا قتل مسلم لثمان مضين من ذى الحجة وتذكير العدد يراد منه الليلة « الثالث » يوم عرفة نص عليه المفيد فى الارشاد والكفعمى فى المصباح وهو الظاهر من ابن نما فى مثير الأحزان وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٥ ومروج الذهب ج ٢ ص ٩٠ قالوا وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثامن من ذى الحجة وقد قتل ثانى يوم خروجه ويحكى المسعود فى مروج الذهب قولا بخروجه يوم التاسع من ذي الحجة واذا كان قتله ثانى يوم خروجه تكون شهادته يوم الاضحى.

(١) المنتخب ص ٣٠٤ الليلة العاشرة.

(٢) ابن نما ص ٨٩ وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ١٧٧

أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده ألا ومن كان فينا باذلا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى (١) .

وكان خروجه عليه السلام من مكة لثمان مضين من ذي الحجة ومعه أهل بيته ومواليه وشيعته من أهل الحجاز والبصرة والكوفة الذين انضموا اليه أيام إقامته بمكة وأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجملا يحمل عليه زاده (٢) .

وسأله جماعة من أهل بيته وغيرهم التريث عن هذا السفر حتى يستبين له حال الناس خوفاً من غدر الكوفيين وانقلاب الأمر عليه ولكن « أبي الضيم » لم يسعه المصارحة بما عنده من العلم بمصير أمره لكل من قابله لأن الحقائق كما هي لا تفاض لأي متطلب بعد تفاوت المراتب واختلاف الأوعية سعة وضيقاً فكان عليه السلام يجيب كل واحد بما يسعه ظرفه وتتحمله معرفته .

فيقول لابن الزبير إن أبي حدثني أن بمكة كبشاً به تستحل حرمتها فما احب أن أكون ذلك الكبش ولئن اقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من اقتل فيها وايم الله لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى

---

(١) اللهوف صفحة ٣٣ وابن نما صفحة ٢٠ .

(٢) نفس المهموم صفحة ٩١

يقضوا في حاجتهم والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت .

ولما خرج من عنده ابن الزبير قال الحسين لمن حضر عنده أن هذا ليس شيء من الدنيا أحب اليه من أن أخرج من الحجاز وقد علم أن الناس لا يعدلونه بي فود أني خرجت حتى يخلو له (١) .

وأتاه محمد بن الحنفيـــه في الليلة التي سار الحسين في صبيحتها الى العراق وقال : قد عرفت غدر أهل الكوفة بأبيك وأخيك وإني أخاف أن يكون حالك حال من مضى فأقم هنا فانك أعز من في الحرم وأمنعه فقال الحسين : أخاف أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت فأشار عليه ابن الحنفية بالذهاب الى اليمن أو بعض نواحي البر فأوعده أبو عبد الله النظر في هذا الرأي وفي سحر تلك الليلة ارتحل الحسين عليه السلام فأتاه ابن الحنفية وأخذ بزمام ناقته وقد ركبها وقال : ألم تعدني النظر فيما سألتك قال : بلى ولكن بعد ما فارقتك أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : يا حسين اخرج فان الله تعالى شاء أن يراك قتيلا فاسترجع « محمد » وإذ لم يعرف الوجه في حمل العيال معه وهو على مثل هذا الحال قال له الحسين عليه السلام: قد شاء الله تعالى أن يراهن سبايا (٢) .

وكتب اليه عبد الله بن جعفر الطيار مع ابنيه عون ومحمد : أما بعد فاني أسألك الله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فاني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت

(١) كامل بن الأثير ج ٤ صفحة ١٦ .

(٢) البحار ج ١٠ صفحة ١٨٤ .

اليوم طفأ نور الأرض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فاني فى أثر كتابي والسلام .

ثم أخذ عبد الله كتاباً من عامل يزيد على مكة عمرو بن سعيد بن العاص فيه أمان للحسين وجاء به الى الحسين ومعه يحي بن سعيد بن العاص وجهد أن يصرف الحسين عن الوجه الذي أراده فلم يقبل أبو عبدالله عليه السلام وعرفه أنه رأى رسول الله فى المنام وأمره بأمر لا بد من انفاذه فسأله عن الرؤيا فقال : ما حدثت بها أحداً وما أنا محدث بها حتى التقى ربى عز وجل (١) .

وقال له ابن عباس : يا ابن العم إنى أتصبر وما أصبر وأتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم في هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز ، وأهل العراق إن كانوا يريدونك كما زعموا فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم أقدم عليهم فان أبيت إلا أن تخرج فسر الى اليمن فان بها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك فانى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب فى عافية .

فقال الحسين عليه السلام : يا ابن العم إنى والله لأعلم أنك ناصح مشفق وقد أزمعت على المسير .

فقال ابن عباس : إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك فانى لخائف أن تقتل وهم ينظرون اليك ، فقال الحسين : والله لا يدعونى حتى

---

(١) تأريخ الطبرى ج ٦ صفحة ٢١٩ وكامل ابن الأثير ج ٤ صفحة ١٧ والبداية لابن كثير ج صفحة ١٦٣

يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من « فرام المرأة » (١) .

هذه غاية ما وصل اليه إدراك من رغب في تريث الحسين عليه السلام عن السفر الى العراق وأبو عبد الله لم تخف عليه نفسيات الكوفيين وما شيبت به من الغدر والنفاق ولكن ماذا يصنع بعد إظهارهم الولاء والانقياد له والطاعة لأمره وهل يعذر إمام الامة في ترك ما يطلبونه من الارشاد والانقاذ من مخالب الضلال وتوجيههم الى الأصلح المرضي لرب العالمين مع أنه لم يظهر منهم الشقاق والخلاف واعتذاره عليه السلام عن المصير اليهم بما جبلوا عليه من الخيانة كما فعلوا مع أبيه وأخيه يسبب اثارة اللوم من كل من يبصر ظواهر الأشياء والامام المقيض لهداية البشر أجل من أن يعمل عملا يكون للامة الحجة عليه والبلاد التي أشار بها ابن عباس وغيره لا منعة فيها وما جرى بسر بن أرطاة مع أهل اليمن تؤكد وهنهم في المقاومة والضعف عن رد الباغي .

وبهذا يصرح الشيخ الشوشتري أعلا الله مقامه فانه قال : كان

---

(١) كامل ابن الأثير ج ٤ صفحة ١٦ وفى القاموس وتاج العروس الفرام ككتاب دواء تضيق به المرأة المسلك أو حب الزبيب تحتشى به لذلك وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج لما شكا منه أنس بن مالك يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب وكانت فى احراح نساء ثقيف سعة يتضيقن بعجم الزبيب « والفرامة » ككتابة هى الخرقة تحتشى بها المرأة عند الحيض كالفرام وفيها يقول الشاعر :

وجدتك فيها كأم الغلام ... متى ما تجد فارماً تفترم

للحسين تكليفان واقعي وظاهري ، أما الواقعي الذي دعاه للاقدام على الموت وتعريض عياله للأسر وأطفاله للذبح مع علمه بذلك ، فالوجه فيه أن عتاة بني أمية قد اعتقدوا انهم على الحق وان علياً واولاده وشيعتهم على الباطل حتى جعلوا سبّه من أجزاء صلاة الجمعة وبلغ الحال ببعضهم انه نسي اللعن فى خطبة الجمعة فذكره وهو في السفر فقضاه وبنوا مسجداً سموه « مسجد الذكر » فلو بايع الحسين يزيد وسلم الأمر اليه لم يبق من الحق أثر فان كثيراً من الناس يعتقد بأن المخالفة لبني أمية دليل استصواب رأيهم وحسن سيرتهم ، وأما بعد محاربة الحسين لهم وتعريض نفسه المقدسة وعياله وأطفاله للفوادح التي جرت عليهم فقد تبين لأهل زمانه والأجيال المتعاقبة أحقيته بالأمر وضلال من بغي عليه .

وأما التكليف الظاهري فلأنه عليـــه السلام سعى فى حفظ نفسه وعياله بكل وجه ، فلم يتيسر له وقد ضيقوا عليه الأقطار حتى كتب يزيد الى عامله على المدينة أن يقتله فيها فخرج منها خائفاً يترقب فلاذ بحرم الله الذي هو أمن الخائف وكهف المستجير ، فجدّوا في إلقاء القبض عليه أو قتله غيلة ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة ، فالتزم بأن يجعل إحرامه عمرة مفردة وترك التمتع بالحج ، فتوجه الى الكوفة لأنهم كاتبوه وبايعوه وأكدوا المصير اليهم لانقاذهم من شرور الأمويين فألزمه التكليف بحسب ظاهر الحال الى موافقتهم إتماماً للحجة عليهم لئلا يعتذروا يوم الحساب بأنهم لجأوا اليه واستغاثوا به من ظلم الجائري فاتهمهم بالشقاق ولم يغثهم مع انه لو لم يرجع اليهم الى أين يتوجه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وهو معنى قوله

لابن الحنفية : لو دخلت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني .

وقال لأبي هرة الأسدي : إن بني امية أخذوا مالي فصبرت وشتموا عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت (١) .

ولم يبق مع الحسين بمكة أحد إلا حزن لمسيره ، ولما أكثروا القول عليه أنشد أبيات أخي الأوس لما حذره ابن عمه من الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

سأمضي فما بالموت عار على الفتى ... اذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما

ثم قرأ وكان أمر الله قدراً مقدوراً (٢) .

وسامته أن ينقاد للسلم ضارعا ... لديها ويأبى العز أن يضرع الحر
فقال ردى يا نفس من سورة الردى ... فهند وورود الضيم يستعذب المر
وحفت به من آله خير فتية ... لها ينتمي المجد المؤثل والفخر
اذا هي سارت في دجى الليل أزهرت ... وباهت سواري النجم أوجهها الزهر
بكل كمي فوق اجرد سابح ... يتيه به في مشيه الدل والكبر
اذا خف في الهيجاء وقر متنه ... بنجدة بأس فاطأن له ظهر
ويلطم خد الأرض لكن وجهها ... بنضح دم الأعداء لا اللطم يحمر
هم القوم من عليا لوي وغالب ... بهم تكشف الجلي ويستدفع الضر

(١) الخصائص الحسينية ص ٣٢ ط تبريز .

(٢) تذكرة الخواص ص ١٣٧ وأنشدها لما حذره الحر من مخالفة بني امية .

يحيون هندي السيوف بأوجهٍ تهلل من لئـلاء طلعتها البشر
يلفون آحاد الأُلوف بمثلها اذا حل من معقود راياتها نشر
بيوم به وجه المنون مقطّب وحد المواضي باسم الثغر يفتر
اذا اسودّ يوم النقع أشرقن بالبها لهم أوجه والشوس ألوانها صفر
وما وقفوا في الحرب إلا ليعبروا الى الموت والخطي من دونه جسر
يكرون والأبطال نكصاً تقاعست من الخوف والآساد شيمتها الـكر
الى أن ثووا تحت العجاج بمعرك هو الحشر لا بل دون موقفه الحشر
وماتوا كراماً تشهـد الحرب انهم أباة اذا ألوى بهم حادث نكر
عليهم من الهندي بيض عصائب تروق ومن وشي الدما حلل حمر
وعاد أبيّ الضيم بين عـــداته وناصره البتار والأرن المهر
فغـــبر فى يوم الـكفاح بأوجه الـكتائب والآفاق شاحبة غبر
اذا نظمت حب القـــلوب قناته فللسيف فى أعناق أعدائه نثر
فلا الوتر وترٌ حين تقترع الضبا ولا الشفع شفعٌ حين تشتبك السمر
ولو شاء أن يفني الأعادي لزلزل الوجود بهم لـكنما قضي الأمر
وآثر أن يسعى الى الموت صابراً ونفس أبي الضيم شيمتها الصبر
فأمضى على الرمضاء شلواً تناهبت حشاه العوالي والمهنـــدة البتر
قضى بين أطراف الأسنة ظامياً بحر حشى من دون غلتها الجمر
فلهفى عليـــه فوق صالية الثرى على جسمه تجري المسوّمة الضمر
أبا حسن شكوى اليك وانها لواعج أشجان يجيش بها الصدر
أتدري بما لاقت من الـكرب والبلا وما واجهت بالطف أبناؤك الغر
أُعزيك فيهم انهـم وردوا الردى بأفئـــدة ما بل غلتها قطر

وثاوين في حر الهجـيرة بالعرا … عليهم سوافى الريح بالترب تنجر
متى أيهـــا الموتور تبعث غارة … تعيد الهدى والبر من دمهم بحر
أتغضي وأنت المدرك الثار عن دم … برغم الهدى أضحى وليس له وتر
وتلك بجنب الطف فتيان هاشم … ثوت تحت أطراف القنا دمها هدر
فلا صبر حتى ترفعوها ذوابلاً … من الخط لا يلوي بخرصانها كسر
وتقتدحوها بالصوارم جـذوة … من الحرب يصلى جمرها الجحفل المجر
وتبتعثوها في المغار صواهـلاً … من الخيل مقروناً بأعرافها النصر
فكم نكأت منكم أمية قرحة … الى الحشر لا يأتي على جرحها السير
فمن صبية قــد أرضعتها أمية … ضروع المنايا والدماء لهــا در
فها هي صرعى والسهام عواطف … حنواً عليها والرمال لهــا حجر
ومن حرة بعد المقاصير أصبحت … بعقفرة كالجمر يوقــدها الحر
وزاكية لم تلف في النوح مسعداً … سوى انها بالسوط يزجرها زجر
ومذعورة أضحت وخفاق قلبها … تكاد شظاياه يطـــير بها الذعر
ومذهولة من دهشة الخيل ابرزت … عشية لا كهف لديها ولا خدر
تجاذبها أيدي العـــدو خمارها … فتستر بالأيدي اذا أعوز الستر
سرت تتراماها العـــداة سوافراً … يروح بها مصر ويغدو بها مصر
ربائب خدر أين منهن خطة … الموامي ولا يدرين ما السهل والوعر
تطوف بها الأعداء في كل مهمه … فيجذبها قفر ويقذفها قفر (١)

---

(١) للحجة السيد محمد حسين الكيشوان طبعت فى مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهرى .

التنعيم

وسار الحسين من مكة ومر « بالتنعيم » (١) فلقي عيراً عليها ورس وحلل ارسلها الى « يزيد بن معاوية » واليه على اليمن بحير بن يسار الحميري فأخذها الحسين (ع) وقال لأصحاب الابل : من أحب منكم أن ينصرف معنا الى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته ومن أحب المفارقة أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض ففارقه بعضهم ومضى من أحب صحبته (٢) .

وكان الحسين (ع) يرى أن هذا ماله الذي جعله الله تعالى له يتصرف فيه كيف شاء ، لأنه إمام على الامة منصوب من « المهيمن » سبحانه وقد اغتصب يزيد وأبوه حقه وحق المسلمين فكان من الواجب عليه أن يحتوي على فيء المسلمين لينعش المحاويج منهم وقد أفاض على الأعراب الذين صحبوه

---

(١) فى معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٦ التنعيم بالفتح ثم السكون وكسر العين المهملة وياء ساكنة وميم موضع بمكة فى الحل على فرسخين من مكة وسمى به لأن عن يمينه جبل اسمه نعيم وآخر عن شماله اسمه ناعم والوادى نعيمان وبه مساجد .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٨ ومقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٢٠ والبداية ج ٨ ص ١٦٦ ، والإرشاد للشيخ المفيد ، ومثير الأحزان لإبن نما ص ٢١ .

في الطريق ورفعوا اليه ما مسهم من مضض الفقر ، غير أن محتوم القضاء لم يمكن سيد شباب اهل الجنة من استرداد ما اغتصبه الجائرون من أموال أمة النبي الأعظم (ص) وإن ارتفعت بتضحيته المقدسة عن البصائر حجب التمويه وعرفوا ضلال المستعدين على الخلافة الآلهية.

الصفاح

وفى الصفاح لقى الحسين عليـــه السلام الفرزدق بن غالب الشاعر فسأله عن خبر الناس خلفـه فقال الفرزدق : قلوبهم معك والسيوف مع بني امية والقضاء ينزل من السماء فقال أبو عبدالله (ع) : صدقت لله الأمر والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا فى شأن ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته ثم سأله الفرزدق عن نذور ومناسك وافترقا (١).

ذات عرق

وسار ابوعبدالله (ع) لا يلوي على أحد فلقي في « ذات عرق »(٢)

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٨ ، وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٦ والإرشاد للمفيد.

(٢) فى البحر الرائق لابن نجيم الحنفى ج ٢ ص ٣١٧ بين ذات عرق ومكة مرحلتان وفى الفروع لابن مفلح ج ٢ ص ٢١٦ بينهما ليلتان وسمى ــ

بشر بن غالب وسأله عن اهل الكوفة قال : السيوف مع بني أمية والقلوب معك قال : صدقت (١) .

وحدث الرياشي عمن اجتمع مع الحسين « ع » في أثناء الطريق الى الكوفة يقول الراوي بعد أن حججت انطلقت أتعسف الطريق وحدي ، فبينا أسير إذ رفعت طرفي الى اخبية وفساطيط فانطلقت نحوها فقلت : لمن هذه الاخبية ؟ قالوا : للحسين بن علي وابن فاطمة عليهم السلام وانطلقت نحوه فاذا هو متكي على باب الفسطاط يقرأ كتابا بين يديه فقلت : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي أنت وامي ما أنزلك في هذه الأرض القفراء التي ليس فيها ريف ولا منعة ؟ قال عليه السلام : إن هؤلاء أخافوني وهذه كتب اهل الكوفة وهم قاتلي ، فاذا فعلوا ذلك ولم يدعو لله محرما إلا انتهكوه بعث الله اليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذل من قوم الامة (٢) .

ـ بجبل صغير فيه كما فى تاج العروس ج ٧ ص ٨ وذات عرق عند اهل السنة ميقات اهل الشرق ومنه العراق وخراسان وروايات الامامية تحكى توقيت رسول الله للعراقيين « العقيق » واستحسنه الشافعى فى الام ج ٢ ص ١١٨ لاعتقاده ان ذات عرق غير منصوص عليه وإنما وقته عمر كما فى البخارى عن ابن عمر ، وفى المغنى لابن قدامة ج ٣ ص ٢٥٧ عن ابن عبد البر الاحرام من العقيق أولى وإن كان ذات عرق ميقات اهل الشرق أجمع ، وفى معجم البلدان ج ٦ ص ١٩٩ يقع العقيق ببطن وادى ذى الحليفة وهو أقرب منها الى مكة واحتاط فقهاء الامامية بترك الاحرام من « ذات عرق » وهو آخر العقيق .

(١) مثير الأحزان لابن نما ص ٢١ .

(٢) وفى البداية ج ٨ ص ١٦٩ « حتى يكونوا أذل من قرم الأمة » —

الحاجر

ولما بلغ الحاجر (١) من بطن الرمة كتب الى اهل الكوفة جواب كتاب مسلم بن عقيل وبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي (٢) وفيه : أما بعد فقد ورد عليّ كتاب مسلم بن عقيل يخبرني باجتماعكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة ، فاذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا فى أمركم فاني قادم في أيامي هذه .

ولما وصل الى القادسية أخذه الحصين بن نمير التميمي وكان صاحب

— وفسر القرم بالمقنعة ولم أجد هذا التفسير فى اللغة والصحيح كما تقدم « فرام الأمة » بالفاء الموحدة وهو عجم الزبيب تضيق به المرأة مسلكها .

(١) فى معجم البلدان : الحاجر مايمسك الماء من شفة الوادى وفيه ج ٤ ص ٢٩٠ بطن الرمة منزل لأهل البصرة اذا أرادوا المدينة ، وفيه تجتمع اهل الكوفة والبصرة . وفى تاج العروس ج ٣ ص ١٣٦ الحاجر مكان بطريق مكة .

(٢) فى روضة الواعظين لعلي بن محمد الفتال النيسابورى ص ١٥٢ يقال بعثه مع عبدالله بن يقطر ويجوز انه أرسل اليهم كتابين أحدهما مع عبدالله بن يقطر والآخر مع قيس بن مسهر وفى الاصابة ج ٣ ص ٤٩٢ بعد أن ذكر نسب قيس قال : وكان مع الحسين لما قتل بالطف وهو اشتباه ، فان ابن زياد قتله بالكوفة .

شرطة ابن زياد أمره أن ينظم الخيل ما بين القادسية الى خفان (١) ومنها الى القطقطانة فأراد أن يفتشه فأخرج قيس الكتاب وخرقه .

ولما مثل بين يدي ابن زياد قال : لماذا خرقت الكتاب ؟ قال : لئلا تطلع عليه ، فأصر ابن زياد على الاخبار بما فيه فأبى قيس ، فقال : إن لم تخبرني فاصعد المنبر وسب الحسين وأباه وأخاه وإلا قطعتك إرباً إربا .

فصعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله وأكثر من الترحم على أمير المؤمنين والحسن والحسين ، ولعن عبيدالله بن زياد وأباه وبني أمية .

ثم قال : أيها الناس أنا رسول الحسين اليكم ، وقد خلفته في موضع كذا فأجيبوه . فأمر ابن زياد أن يرمى من أعلا القصر فتكسرت عظامه ومات (٢) .

ويقال أمر ابن زياد أن يرمى مكتوفا فرمي من أعلا القصر (٣) وكان به رمق ، فقام اليه عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فعيب اليه قال : أردت أن أريحه (٤) .

---

(١) في معجم البلدان ج ٣ ص ٤٥١ : خفان موضع قرب الكوفة وهو عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي ، وفيه ج ٧ ص ١٢٥ القطقطانة بالضم ثم السكون قرب الكوفة تبعد عن الرهيمة نيفا وعشرين ميلا .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٢٤ والبداية ج ٨ ص ١٦٨ والارشاد للمفيد وروضة الواعظين ص ١٥٢ وأعلام الورى ص ١٣٦ .

(٣) الارشاد للمفيد .

(٤) روضة الواعظين والارشاد وفي ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٥١ —

بطن العقبة

وسار من الحاجر وكان لا يمر بماء من مياه العرب إلا اتبعوه (١) فانتهى الى ماء من مياه العرب عليه عبدالله بن مطيع العدوي ، ولما عرف ان الحسين قاصد للعراق قال له : أذكرك الله يابن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك أنشدك الله فى حرمة قريش أنشدك الله فى حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني امية ليقتلوك ولئن قتلوك لا يهابوا أحداً بعدك ، فأبى الحسين إلا أن يمضي (٢) .

الخزيمية

وأقام عليه السلام فى الخزيمية (٣) يوماً وليلة فلما أصبح أقبلت اليه

— ولي عبد الملك بن عمير اللخمى قضاء الكوفة بعد الشعبي وطال عمره وساء حفظه وقال احمد ضعيف يغلط وابن الجوزى حكى الجرح ولم يذكر التوثيق ولم يذكر ابن حبان وابن عدى والعقيلى توثيقه وفى تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ٣٠٩ قال ابن معين هو مخلط وقد روى له البخارى ومسلم توفى سنة ١٣٦ عن مائة وثلاث سنين .

(١) البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٦٨ .

(٢) إرشاد المفيد .

(٣) بضم أوله وفتح ثانيه نسبة الى خزيمة بن خازم تقع بعد زرود —

اخته زينب عليها السلام وقالت : إني سمعت هاتفاً يقول :

ألا يا عين فاحتفلي بجهـدي   فمن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنـايا   بمقـدار الى انجاز وعـدي

فقال يا اختاه كل الذي قضى فهو كائن (١) .

زرود

ولما نزل الحسين في زرود (٢) نزل بالقرب منه زهير بن القـين البجلي وكان غير مشايع له ويكره النزول معه لـكن الماء جمعهم فى المكان وبينا زهير وجماعته على طعام صنع لهم إذ أقبل رسول الحسين يدعو زهيراً الى سيده أبي عبد الله عليه السلام فتوقف زهير عن الاجابة غـير أن امرأته « دلهم بنت عمرو » حثته على المصير اليه وسماع كلامه (٣) .

ـــ للذاهب من الكوفة الى مكة وما نذكره من ترتيب المنازل أخذناه من » معجم البلدان » .

(١) ابن نما صفحة ٢٣

(٢) فى المعجم مما استعجم ج ٢ ص ٦٩٦ بفتح أوله وبالدال المهملة فى آخره وفى معجم البلدان ج ٤ ص ٣٢٧ إنها رمال بين الثعلبية والخزيمـية بطريق الحاج من الكوفة وهى دون الخزيمية بميل وفيها بركة وحوض وفيها وقعة يقال لها يوم زرود .

(٣) اللهوف ص ٤٠

فمشى زهير الى الحسين وما أسرع أن عاد الى أصحابه فرحاً قد أسفر وجهه وأمر بفسطاطه وثقله فحول الى جهة سيد شباب أهل الجنة وقال لامرأته : إلحقي بأهلك فاني لا احب أن يصيبك بسببي إلا خيراً ثم قال لمن معه : من أحب منكم نصرة ابن الرسول صلى الله عليه وآله وإلا فهو آخر العهد .

ثم حدثهم بما أوعز به سلمان الفارسي من هذه الوقعة فقال : غزونا بلنجر (١) ففتحنا وأصبنا الغنائم وفرحنا بذلك ولما رأى سلمان الفارسي (٢) ما نحن فيه من السرور قال : اذا أدركتم شباب آل محمد « ص » فكونوا

---

(١) فى معجم البلدان والمعجم مما استعجم بالباء واللام المفتوحتين والنون الساكنة والجيم المفتوحة والراء المهملة مدينة الخزر عند باب الابواب فتحت سنة ٣٢ على يدسلمان بن ربيعة الباهلي ولم أجد فيهما ولا فى غيرهما مدينة اخرى تسمى « بلنجر » إلا أن ابن حجر فى الاصابة ج ٣ ص ٢٧٤ قسم ٣ ترجمةقيس بن فروة بنزرارة بن الأرقم قال شهد فتوح العراق واستشهد فى بلنجر من أرض العراق ثم ذكر ضبطها كما تقدم قال : وكان أمير الوقعة سلمان بن ربيعة .

(٢) نص عليه الشيخ المفيد فى الارشاد والفتال فى روضة الواعظين ص ١٥٣ وابن نما فى مثير الأحزان ص ٢٣ والخوارزمى فى المقتل ج ١ ص ٢٢٥ وابن الأثير فى الكامل ج ٤ ص ١٧ والبكرى فى المعجم مما استعجم ج ١ ص ٣٧٦ ويؤيده ما فى تأريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٨ وابن الأثير فى الكامل ج ٣ ص ٥٠ من وجود سلمان الفارسى فى هذه الغزوة .

أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من الغنائم فأما أنا فأستودعكم الله (١).

فقالت زوجته خار الله لك وأسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين عليه السلام (٢).

وفي زرود اخبر بقتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة فاسترجع كثيراً وترحم عليهما مراراً (٣) وبكى، وبكى معه الهاشميون وكثر صراخ النساء حتى ارتج الموضع لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع كل مسيل (٤).

فقال له عبد الله بن سليم والمنذر بن المشمعل الأسديان: ننشدك الله يا ابن رسول الله إلا انصرفت من مكانك هذا فانه ليس لك بالكوفة ناصر.

فقام آل عقيل وقالوا: لا نبرح حتى ندرك ثارنا أو نذوق ما ذاق أخونا فنظر اليهم الحسين وقال: لا خير فى العيش بعد هؤلاء (٥).

فيا ابن عقيل فدتك النفوس — لعظم رزيتك الفادحة
لتبك لها بعذاب القلوب — فما قدر أدمعنا المالحة
وكم طفلة لك قد أعولت — وجمرتها فى الحشا قادحة

---

(١) تاريخ الطبرى جزء ٦ صفحة ٥٢٢ ومقتل الخوارزمى جزء ١ صفحة ٥٢٢

(٢) مثير الأحزان لابن نما صفحة ٢٣ واللهوف صفحة ٤٠

(٣) تاريخ الطبرى جزء ٦ صفحة ٩٩٥ وفى البداية لابن كثير جزء ٨ صفحة ١٦٨ استرجع مراراً.

(٤) اللهوف صفحة ٤١ ولم أقف على مصدر وثيق ينص على أن الحسين أخذ بنت مسلم المسماة حميدة ومسح على رأسها فأحست بالشر الخ.

(٥) كامل ابن الأثير جزء ٤ صفحة ١٧

يعزها السبط في حجره لتغدو فى قربه فارحة
تقول مضى عم مني أبي فمن ليتيمته النائحة (١)
ثكول تبيت بليل السليم تعج وعن دارها نازحة
وكم من كمي بأحشائه تركت زناد الأسى قادحة
دريت ابن عمك يوم الطوف نعاك بأسرته الناصحة
يحف به منهم فتية صباح وأحسابهم واضحة
بكاك بماضي الشبا والوغى وجوه المنايا بها كالحة
أقام بضرب الطلى مأتماً عليك وبيض الضبا نائحة
ونادى عشيرتك الأقربين خذ الثار يا اسرة الفاتحة
وخاض بهم فى غمار الحتوف ولكنما بالضبا طائحة
وقال لها يا نزار النزال فخربك في جدها مارحة ٢

الثعلبية

وفي الثعلبية أتاه رجل وسأله عن قوله تعالى « يوم ندعو كل اناس بامامهم » فقال عليه السلام : إمام دعا الى هدى فأجابوا اليه وإمام دعا الى ضلالة فأجابوا اليها ، هؤلاء في الجنة وهؤلاء فى النار وهو قوله تعالى :

(١) من أبيات للشيخ قاسم الملا الحلي ذكرت فى كتاب الشهيد مسلم صفحة ٢١٠

(٢) للشيخ محمد رضا الخزاعى .

« فريق الجنة وفريق في السعير » (١) .

وفي هذا المكان اجتمع به رجل من أهل الكوفة فقال له الحسين : أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دارنا ونزوله بالوحي على جدي يا أخا أهل الكوفة من عندنا مستقى العلم أفعلموا وجهلنا هذا مما لا يكون (٢) ،

الشقوق

وفي الشقوق رأى الحسين رجلا (٣) مقبلا من الكوفة فسأله عن أهل العراق فأخبره أنهم مجتمعون عليه فقال عليه السلام : أن الأمر لله يفعل ما يشاء وربنا تبارك هو كل يوم في شأن ثم أنشد (٤) :

فان تكن الدنيا تعد نفيسة فدار ثواب الله أعلا وأنبل

---

(١) أمالي الصدوق صفحة ٩٣ ـ الثعلبية بفتح اوله سمى باسم رجل اسمه ثعلبة من بنى أسد نزل الموضع واستنبط عيناً وهى بعد الشقوق للذاهب من الكوفة الى مكة « معجم البلدان » .

(٢) بصائر الدرجات للصفار صفحة ٣

(٣) سماه الخوارزمى فى المقتل جزء ١ صفحة ٢٢٣ الفرزدق وهو اشتباه .

(٤) ابن شهراشوب جزء ٢ صفحة ٢١٣ الشقوق بالضم منزل بعد زبالة للذاهب من الكوفة الى مكة وهو لبنى أسد فيه قبر العبادى « معجم البلدان » .

وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل
وإن تكن الأرزاق قسما مقدراً فقلة حرص المرء فى الكسب أجمل
وإن تكن الأبدان للموت انشأت فقتل امرىء بالسيف في الله أفضل
عليكم سلام الله يا آل أحمد فاني أراني عنكم سوف أرحل (١)

زبالة

وفي زبالة أُخبر بقتل قيس بن مسهر الصيداوي فأعلم بذلك الناس وأذن لهم بالانصراف فتفرقوا عنه يميناً وشمالا وبقي في أصحابه الذي جاؤا معه من مكة وإنما تبعه خلق كثير من الأعراب لظنهم أنه يأتى بلداً أطاعه أهله فكره عليه السلام أن يسيروا معه إلا على علم بما يقدمون عليه وقد علم أنه اذا أذن لهم بالانصراف لم يصحبه إلا من يريد مواساته على الموت (٢) .

---

(١) لم يذكر الخوارزمى فى المقتل جزء ١ صفحة ٢٢٣ البيت الخامس وجعلها من انشائه عليه السلام .

(٢) الطبرى جزء ٦ صفحة ٢٢٦ وهى بضم الزاء المعجمة وتقع قبل الشقوق للذاهب من الكوفه الى مكة فيها حصن وجامع لبنى أسد سمى الموضع باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العمالقة ، ويوم زبالة من أيام العرب ونسب الى المكان جماعة من المحدثين « معجم البلدان » .

بطن العقبة

وسار من زبالة حتى نزل بطن العقبة وفيها قال لأصحابه : ما أراني إلا مقتولا فاني رأيت في المنام كلاباً تنهشني وأشدها علي كلب أبقع (١) .

وأشار عليه عمرو بن لوذان من بني عكرمة بالرجوع الى المدينة لما عليه أهل الكوفة من الغدر والخيانة فقال أبو عبد الله عليه السلام ليس يخفى على الرأي وأن الله لا يغلب على أمره (٢) .

وقال لجعفر بن سليمان الضبعي : أنهم لن يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم الأمة .

شراف

وسار من بطن العقبة حتى نزل شراف (٣) وعند السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا وفي نصف النهار سمع رجلا من أصحابه يكبر

(١) كامل الزيارات صفحة ٧٥

(٢) ارشاد المفيد .

(٣) فى معجم البلدان بفتح اوله وآخره فاء وثانيه مخفف سمى باسم —

فقال الحسين : لم كبرت ؟ قال : رأيت النخل فأنكر من معه أن يكون بهذا الموضع نخل وإنما هو أسنة الرماح وآذان الخيل فقال الحسين : وأنا أراه ذلك ثم سألهم عن ملجىء يلجؤن اليه فقالوا هـذا « ذو حسم » (١) عن يسارك فهو كما تريد فسبق اليه الحسين وضرب أبنيته .

وطلع عليهم الحر الرياحي مع الف فارس بعثـه ابن زياد ليحبس الحسين عن الرجوع الى المدينة أينما يجده أو يقدم به الكوفة .

فلما رأى سيد الشهداء ما بالقوم من العطش أمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل فسقوهم وخيولهم عن آخرهم .

وكان علي بن الطعـان المحاربي مـع الحر فجاء آخرهم وقد أضر به العطش فقال له الحسين : أنخ الراوية وهي الجمل بلغة الحجاز فلم يفهم مراده فقال له : أنخ الجمل ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيل من السقاء فقال له « ريحانة الرسول » أخنث السقاء فلم يدر ما يصنع لشدة العطش فقـام عليه السلام بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه .

وهذا لطف وحنان من أبي الضيم على هؤلاء الجمع في تلك البيـداء المقفرة التي تعز فيها الجرعة الواحدة وهو عالم بحراجة الموقف ونفاد الماء

ـــ رجل يقال له شراف استخرج عيناً ثم حدثت آبار كبار كثيرة ماؤها عذب ومن شراف الى واقصة ميلان ، وفى تأريخ الطبرى جزء ٤ صفحة ٨٧ لما كان سعد بن أبي وقاص « بشراف » قـدم عليه الأشعث بن قيس بألف وسبعمائة من أهل اليمن فترك الجموع بشراف ونهض الى العراق .

(١) حسم بضم الحاء المهملة وفتح السين بعـدها ميم جبل كان النعمان ابن المنذر يصطاد به وفيه للنابغة أبيات .

وإن غداً دونه تسيل النفوس ولكن العنصر النبوي والكرم العلوي لم يتركا صاحبها إلا أن يحوز الفضل :

أحشاشة الزهراء بل يا مهجة　　الكرار يا روح النبي الهادي
عجباً لهذا الخلق هلا أقبلوا　　كل إليك بروحه لك فادي
لكنهم ما وازنوك نفاسة　　أنى يقاس الذر بالأطواد
عجباً لحلم الله جل جلاله　　هتكوا حجابك وهو بالمرصاد
عجباً لآل الله صاروا مغنماً　　لبني يزيد هدية وزياد (١)

ثم أن الحسين استقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال :

إنها معذرة الى الله عز وجل واليكم وإني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت بها على رسلكم أن اقدم علينا فانه ليس لنا إمام ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى فان كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم وإن كنتم لمقدمي كارهين إنصرفت عنكم الى المكان الذي جئت منه اليكم .

فسكتوا جميعاً .

وأذن الحجاج بن مسروق الجعفي لصلاة الظهر فقال الحسين للحر : أتصلي بأصحابك قال : لا بل نصلي جميعاً بصلاتك فصلى بهم الحسين .

وبعد أن فرغ من الصلاة أقبل عليهم فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) من قصيدة طويلة للعلامة الشيخ أحمد النحوى ذكرت فى شعراء الحلة جزء ١ صفحة ٧٠ وللسيد الحجة ثقة الاسلام السيد محمد الكشميرى :

سقيت عداك الماء منك تحنناً　　بأرض فلاة حيث لا يوجد الماء
فكيف اذا تلقى محبيك فى غد　　عطاشى من الأجداث فى دهشة جاؤا

وصلى على النبي محمد وقال :

أيها الناس إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ونحن أهل بيت محمد « ص » أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين بالجور والعدوان وإن أبيتم إلا الكراهية لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن على غير ما أتتني به كتبكم انصرفت عنكم .

فقال الحر : ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها فأمر الحسين عقبة بن سمعان فأخرج خرجين مملوين كتباً .

قال الحر : إني لست من هؤلاء وإني امرت أن لا افارقك إذا لقيتك حتى اقدمك الكوفة على ابن زياد .

فقال الحسين : الموت أدنى اليك من ذلك وأمر أصحابه بالركوب وركبت النساء فحال بينهم وبين الانصراف الى المدينة فقال الحسين للحر : ثكلتك امك ما تريد منا ؟ .

قال الحر : أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذا الحال ما تركت ذكر امه بالثكل كائناً من كان والله ما لي الى ذكر امك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه .

ولكن خذ طريقاً نصفاً بيننا لا يدخلك الكوفة ولا يردك الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد فلعل الله أن يرزقني العافية ولا يبتليني بشيء من أمرك .

ثم قال للحسين : إني اذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال الحسين : أ فبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ، وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمه

وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله (١) :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فان عشت لم أندم وإن مت لم الم ... كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

فلما سمع الحر هذا منه تنحى عنه فكان الحسين يسير بأصحابه في ناحية والحر ومن معه في ناحية (٢) .

البيضة

وفي البيضة (٣) خطب أصحاب الحر فقال : بعد الحمد والثناء عليه ، أيها الناس إن رسول الله قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلا لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد

---

(١) تقدم استشهاده « ع » وتكرر منه الاستشهاد بها .

(٢) إرشاد المفيد ، وزاد ابن شهراشوب فى المناقب جزء ٢ صفحة ١٩٣ بعد البيت الثانى :

اقدم نفسى لا اريد بقاءها ... لتلقى خميساً فى الهياج عرمرما

(٣) البيضة ما بين واقصة الى عذيب الهجانات وهى أرض واسعة لبنى يربوع بن حنظلة .

وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله ، وأنا أحق ممن غير ، وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فان تممتم علي بيعتكم تصيبوا رشدكم ، فأنا الحسين ابن علي وابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم ولكم في اسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، فالمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) .

الرهيمة

وفي الرهيمة (٢) لقيه رجل من أهل الكوفة يقال له أبو هرم فقال : يا ابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم جدك . فقال : يا أبا هرم إن بني امية شتموا عرضي فصبرت وأخذوا مالي فصبرت وطلبوا دمي فهربت ، وأيم الله ليقتلوني فيلبسهم الله ذلا شاملا وسيفاً قاطعاً ويسلط عليهم من يذلهم (٣) حتى يكونوا أذل من قوم سبا إذ ملكتهم امرأة فحكمت

(١) الطبرى جزء ٦ صفحة ٢٢٩

(٢) فى معجم البلدان الرهيمة بالتصغير عين تبعد عن خفية ثلاثة أميال وتبعد خفية عن الرحبة مغرباً بضعة عشر ميلا .

(٣) أمالي الصدوق صفحة ٩٣

في أموالهم ودمائهم (١) .

العذيب

وفي عذيب الهجانات (٢) وافاه أربعة نفر خارجين من الكوفة على رواحلهم ويجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له « الكامل » وهم : عمرو ابن خالد الصيداوي وسعد مولاه ومجمع بن عبد الله المذحجي ونافع بن هلال ودليلهم الطرماح بن عدي الطائي يقول :

يا ناقتي لا تذعري من زجري ... وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر ... حتى تحلى بكريم النجر
الماجد الحر رحيب الصدر ... أتى به الله لخير أمر
ثمت أبقاه بقاء الدهر (٣)

فلما انتهوا الى الحسين عليه السلام أنشدوه الأبيات فقال عليه السلام أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا .

---

(١) ذكر الخوارزمي في المقتل جزء ١ صفحة ٢٢٦ وابن نما في مثير الأحزان الحديث بلا نص على الرهيمة .

(٢) العذيب واد لبني تميم وهو حد السواد وفيه مسلحة للفرس بينه وبين القادسية ستة أميال وقيل له عذيب الهجانات لأن خيل النعمان ملك الحيرة ترعى فيه .

(٣) في مقتل الخوارزمي جزء ١ صفحة ٢٣٣ قال الحسين « ع » —

وسألهم الحسين عن رأي الناس فأخبروه بأن الأشراف عظمت رشوتهم وقلوب ساير الناس معك والسيوف عليك ثم أخبروه عن قتل قيس ابن مسهر الصيداوي فقال عليه السلام: منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك.

وقال له الطرماح: رأيت الناس قبل خروجي من الكوفة مجتمعين في ظهر الكوفة فسألت عنهم قيل أنهم يعرضون ثم يسرحون الى الحسين فانشدك الله أن لا تقدم عليهم فاني لا أرى معك أحداً ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكفى.

ولكن سر معنا لتنزل جبلنا الذي يدعى «أجا» فقد امتنعنا به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيء رجالا وركباناً وأنا زعيم لك بعشرين الف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم الى أن يستبين لك ما أنت صانع.

فجزاه الحسين وقومه خيراً وقال: إن بيننا وبين القوم عهداً وميثاقا

— لأصحابه: هل فيكم من يعرف الطريق على غير الجادة؟ فقال الطرماح ابن عدى الطائى أنا يا ابن رسول الله فقال له سر أمامنا فسار أمام الظعن يرتجز بالأبيات، وعند ابن نما صفحة ٢٤ أن الحر سار أمام الحسين يرتجز بها، وفى كامل الزيارات لابن قولويه صفحة ٩٥ عن الرضا «ع» بينا الحسين يسير فى جوف الليل سمع رجلا يرتجز بها، وفى نفس المهموم صفحة ١٠٣ عن بعض المقاتل أن الطرماح لما وقع نظره على الحسين أنشأها.

ولسنا نقدر على الانصراف حتى تتصرف بنا وبهم الامور فى عاقبة .

فاستأذنه الطرماح وحده بأن يوصل الميرة الى أهله ويعجل المجيء لنصرته فأذن له وصحبه الباقون .

فأوصل الطرماح الميرة الى أهله ورجع مسرعاً فلما بلغ عذيب الهجانات بلغه خبر قتل الحسين عليه السلام فرجع الى أهله (١) .

قصر بنى مقاتل

وسار من عذيب الهجانات حتى نزل قصر بني مقاتل (٢) فرأى فسطاطاً مضروباً ورمحاً مركوزاً وفرساً واقفاً فسأل عنه فقيل هو لعبيد الله ابن الحر الجعفي (٣) فبعث اليه الحجاج بن مسروق الجعفي فسأله ابن الحر عما وراءه قال : هدية اليك وكرامة إن قبلتها هذا الحسين يدعوك الى

---

(١) تأريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٣٠

(٢) ينسب القصر الى مقاتل بن حسان بن ثعلبة وساق نسبه الحموى فى المعجم الى امرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم ، يقع بين عين التمر والقطقطانة والقريات خربه عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ثم جدده .

(٣) فى تأريخ الطبرى ج ٧ ص ١٦٨ كان عثمانى العقيدة ولأجله خرج الى معاوية وحارب علياً يوم صفين ، وفى ص ١٦٩ ذكر أحاديث فى تمرده على الشريعة بنهبه الأموال وقطعه الطرق وذكر ابن الأثير ج ٤ ص ١١٢ أنه لما أبطأ على زوجته فى إقامته بالشام زوجها أخوها من عكرمة بن —

نصرته فان قاتلت بين يديه اجرت وإن قتلت استشهدت فقال ابن الحر : والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان شيعته فعلمت أنه مقتول ولا أقـــدر على نصره ولست احب أن يراني و أراه (١) .

فأعاد الحجاج كلامه على الحسين فقام صلوات الله عليه ومشى اليه في جماعة من اهل بيته وصحبه فدخل عليه الفسطاط فوسع له عن صدر المجلس يقول ابن الحر : ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين ولا أملأ للعين منه ولا رققت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله و نظرت

— الخيص ولما بلغه الخبر جاء وخاصم عكرمة الى علي بن أبي طالب فقال له : ظاهرت علينا عدونا قال ابن الحر : أيمنعني عدلك من ذلك فقال عليه السلام : لا ثم أخذ أمير المؤمنين المرأة وكانت حبلى فوضعها عند ثقة حتى وضعت فألحق الولد بعكرمة ودفع المرأة الى عبيد الله فعاد الى الشام الى أن قتل علي عليه السلام ، وفي أيام عبد الملك سنة ٦٨ قتل عبيد الله بالقرب من الأنبار وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٩٧ قاتله عبيد الله بن العباس السلمي من قبل القباع ولما أثخن بالجراح ركب سفينة ليعبر الفرات وأراد أصحاب عبيد الله أن يقبضوا السفينة فأتلف نفسه في الماء خوفاً منهم وجراحاته تشخب دماً ويذكر ابن حبيب في « المحبر » ص ٤٩٢ أن مصعب بن الزبير نصب رأس عبيدالله بن الحر الجعفي بالكوفة وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٥٨٣ أن أولاد عبيد الله بن الحر وهم . صدقة وبرة والاشعر شهدوا واقعة الجماجم مع ابن الاشعث .

(١) الأخبار الطوال ص ٢٤٩

الى لحيته فرأيتها كأنها جناح غراب فقلت له : أسواد أم خضاب ؟ قال : يا ابن الحر عجل عليّ الشيب فعرفت انه خضاب (١) .

ولما استقر المجلس بأبي عبدالله حمد الله وأثنى عليه ثم قال : يابن الحر ان اهل مصركم كتبوا إلي أنهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم عليهم وليس الأمر على ما زعموا (٢) وان عليك ذنوباً كثيرة ، فهل لك من توبة تمحي بها ذنوبك ؟

قال : وما هي يا ابن رسول الله ؟ فقــال : تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه (٣) .

فقال ابن الحر : والله إني لأعلم أن من شايعك كان السعيد في الآخرة ولــكن ما عسى أن أغني عنك ولم أخلف لك بالــكوفة ناصراً . فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة فان نفسي لا تسمح بالموت ولــكن فرسي هذه « الملحقة » والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهي لك .

قال الحسين : أما اذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك (٤) ولا فيك وما كنت متخذ المضلين عضداً (٥) وإني أنصحك كما نصحتني ان

---

(١) خزانة الأدب للبغــدادى ج ١ ص ٢٩٨ ط بولاق وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٩١ .

(٢) نفس المهموم ص ١٠٤ .

(٣) أسرار الشهادة ص ٢٣٣ .

(٤) الأخبار الطوال ص ٢٤٩ .

(٥) أمالي الصدوق ص ٩٤ مجلس ٣٠ .

استطعت أن لا تسمع صراختنا ولا تشهد وقعتنا فافعل فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم (١) .

وندم ابن الحر على ما فاته من نصرة الحسين (ع) فأنشأ :

أيا لك حسرة ما دمت حياً ... تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولاً ... أتتركنا وتعزم بالفراق
حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهف قلب حر ... لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
ولو آسيته يوماً بنفسي ... لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن محمد تفديه نفسي ... فودع ثم أسرع بانطلاق
لقد فاز الأولى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون ذووا النفاق (٢)

وفي هذا الموضع اجتمع به عمرو بن قيس المشرقي وابن عمه فقال لهما الحسين : جئتما لنصرتي قالا له : إنا كثيروا العيال وفي أيدينا بضائع للناس ولم ندر ماذا يكون ونكره أن نضيع الأمانة .

فقال لهما عليه السلام : انطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً

---

(١) خزانة الأدب ج ١ ص ٢٩٨ .
وفى مسير الحسين بنفسه المقدسة الى ابن الحر تعرف الغاية الملحوظة لأبى الضيم فانه عليه السلام بصدد اعلام الناس بما يجب عليهم من النهوض لسد باب المنكر وإلقاء الحجة عليهم كيلا يقول أحد انه لم يدعنى الى نصرته .

(٢) مقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٢٨ وذكر الدينورى فى الأخبار الطوال ص ٢٥٨ أربعة منها وفى روايته للثالث :

فما أنسى غداة يقول حزنا ... أتتركنا وتزمع لانطلاق

فانه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا أو يغثنا كان حقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخريه فى النار (١) .

قرى الطف

ولما كان آخر الليل أمر فتيانه بالاستقاء والرحيل من قصر بني مقاتل ، وبينا يسيرون إذ سمع الحسين يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون والحمد الله رب العالمين وكرره فسأله علي الأكبر عن استرجاعه فقال : اني خفقة برأسي فعنّ لي فارس وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسري اليهم فعلمت انها أنفسنا نعيت الينا فقال علي الأكبر : لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق ؟ قال : بلى والذي اليه مرجع العباد فقال : يا أبت إذن لا نبالي أن نموت محقين فقال (ع) : جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده (٢) .

---

(١) عقاب الأعمال للصدوق ص ٣٥ ورجال الكشى ص ٧٤ .

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٢٣١ .

وفى مقتل العوالم ص ٤٨ : ان الحسين نام القيلولة بالعذيب فرأى فى منامه قائلا يقول : تسرعون السير والمنايا تسرع بكم الى الجنة . وفى مقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٢٦ نزل الحسين الثعلبية ونام وقت الظهيرة فانتبه باكياً فسأله ابنه علي الأكبر عن بكائه فقال : يا بنى إنها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا وانى خفقت برأسى الخ .

ولم يزل الحسين يتياسر الى أن انتهى الى نينوى (١) واذا راكب على نجيب وعليه السلاح فانتظروه واذا هو رسول ابن زياد الى الحر معه كتاب يقول فيه : جعجع (٢) بالحسين حين تقرأ كتابي ولاتنزله إلا بالعراء على غير ماء وغير حصن .

فقرأ الحر الكتاب على الحسين فقال له : دعنا ننزل نينوى أو الغاضريات أو شفية فقال الحر : لا أستطيع فان الرجل عين علي (٣) .

قال زهير بن القين : يا ابن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا ما لا قبل لنا به فقال الحسين : ما كنت أبدأهم بقتال ، ثم قال زهير : ههنا قرية بالقرب منا على شط الفرات وهي في عاقول حصينة والفرات يحدق بها إلا من وجه واحد قال الحسين : ما اسمها ؟ فقال : تسمى « العقر » (٤) فقال عليه السلام : نعوذ بالله من العقر .

---

(١) فى مجلة المقتبس ج ١٠ من المجلد ٧ سنة ١٣٣٠ هـ كانت من قرى الطف الزاهرة بالعلوم وصادف عمرانها زمن الإمام الصادق « ع » وفى أوائل القرن الثالث لم يبق لها خبر .

(٢) فى مقاييس اللغة لإبن فارس ج ١ ص ٤١٦ : كتب ابن زياد الى ابن سعد أن جعجع بالحسين « ع » أراد به الجئه الى مكان خشن وقال بعضهم الجعجعة فى هذا الموضع الإزعاج .

(٣) إرشاد المفيد .

(٤) الغاضرية قرية منسوبة الى غاضرة من بنى أسد ، وقيل تقع فى شمالي قبر « عون » . وفى مناهل الضرب للسيد جعفر الأعرجى الكاظمى —

والتفت الحسين الى الحر وقال : سر بنا قليلا فساروا جميعاً حتى اذا وصلوا أرض كربلاء وقف الحر واصحابه أمام الحسين (ع) ومنعوه عن المسير وقالوا : ان هذا المكان قريب من الفرات ، ويقال بينا هم يسيرون إذ وقف جواد الحسين ولم يتحرك كما أوقف الله ناقة النبي (ص) عند الحديبية (١) فعندها سأل الحسين عن الأرض قال له زهير : سر راشداً ولا تسأل عن شيء حتى يأذن الله بالفرج ان هذه الأرض تسمى الطف فقال عليه السلام : فهل لها اسم غيره ؟ قال : تعرف كربلاء ، فدمعت عيناه (٢)

ــ مخطوط فى مكتبة الحجة الشيخ آغا بزرك الطهرانى هو عون بن عبدالله بن جعفر بن مرعى بن علي بن الحسن البنفسج بن إدريس بن داود بن احمد المسود بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله بن المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين «ع» سكن الحائر المقدس وله ضيعة على فرسخ من كربلا أدركه الموت بها فدفن فيها وعليه قبة ويقصد بالزيارة والنذور واشتبه على الناس انه عون بن علي بن ابى طالب أوعون بن عبدالله بن جعفر الطيار فان الأخير دفن فى حومة الشهداء بالحائر .

وهناك آثار قلعة تعرف بقلعة بنى أسد ، وأما «شثميه» فهى بئر لبنى أسد «والعقر» كانت به منازل بخت نصر ويوم العقر قتل به يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ هـ وهذه قرى متقاربة . وقال البكرى فى المعجم مما استعجم ج ٣ ص ٩٥٠ كانوا يقولون ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروأة يوم العقر يعنون قتل الحسين بكربلا وقتل يزيد بن المهلب بالعقر .

(١) منتخب الطريحى ص ٣٠٨ المطبعة الحيدرية سنة ١٣٦٩ .

(٢) تحفة الأزهار لإبن شدقم ـ مخطوط ـ .

وقال : اللهم أعوذ بك من الكرب والبلاء (١) ههنا محط ركابنا وسفك دمائنا ومحل قبورنا بهذا حدثني جدي رسول الله (٢) .

فيها يراق دمي فيها ترى حرمي   حسرى عليهن ثوب الحزن سربال (٣)

كربلاء

وكان نزوله في كربلاء في الثاني من المحرم سنة احدى وستين (٤) فجمع ولده واخوته وأهل بيته ونظر اليهم وبكى وقال : اللهم انا عترة نبيك محمد قد اخرجنا وطردنا وازعجنا عن حرم جدنا وتعدت بنو امية علينا ، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين .

وأقبل على اصحابه فقال :

الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون (٥) .

---

(١) البحار ج ١٠ ص ١٨٨ .   (٢) اللهوف .

(٣) الخصائص الحسينية ص ٧٠ ط تبريز .

(٤) نص عليه الطبرى فى التاريخ ج ٦ ص ٢٣٣ وابن الأثير فى الكامل ج ٤ ص ٢١ والمفيد فى الإرشاد .

(٥) البحار ج ١٠ ص ١٩٨ ، والمقتل للخوارزمى ج ١ ص ٢٣٧ لاتذهب على القارى النكتة فى سؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض وكل قضايا سيد الشهداء غامضة الأسرار والإمام عندنا معاشر الإمامية عالم بما يجرى فى الكون من حوادث وملاحم عارف بما أودع الله تعالى فى الكائنات من المزايا أقداراً له من مبدع السماوات والأرضين تعالى شأنه ، وقد —

ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال :

أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وان الدنيا قد تغيرت

ــــ ذكرنا فى المقدمة ص ٢١ ما يشهد له وكان السر فى سؤاله عليه السلام عن اسم الأرض التى منعوا من اجتيازها أو ان الله تعالى أوقف الجواد كما أوقف ناقة النبي « ص » عند « الحديبية » أن يعترف أصحابه بتلك الأرض التى هى محل التضحية الموعودين بها بأخبار النبي أو الوصى صلى الله عليهما لتطمئن القلوب وتمتاز الرجال وتثبت العزائم وتصدق المفادات فتزداد بصيرتهم فى الأمر والتأهب للغاية المتوخاة لهم حتى لا يبقى لأحد مجال للتشكيك فى موضع كربلا التى هى محل تربته ولا جزاف فى هذا النحو من الأسئلة بعد أن صدر مثله من النبي « ص » فقد سأل عن اسم الرجلين اللذين قاما لحلب الناقة وعن اسم الجبلين اللذين فى طريقه الى « بدر » ألم يكن النبي صلى الله عليه وآله عالماً بذلك ؟ بلى كان عالماً ولكن المصالح الخفية علينا دعته الى السؤال وقد أشرنا اليها فى كتاب « الشهيد مسلم » ص ٩٠ فى عنوان « مسلم لا يتطير » ، وهذا باب من الأسئلة يعرف عند علماء البلاغة بتجاهل العارف واذا كان فاطر الأشياء الذى لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً يقول لموسى (ع) : « وما تلك بيمينك يا موسى » ويقول لعيسى (ع) : « أأنت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين » لضرب من المصلحة ، فالإمام المنصوب من قبله أميناً على شرعه لا تخفى عليه المصالح .

كما ان سيد الشهداء « ع » لم يكن فى تعوذه من الكرب والبلاء عند ما سمع بإسم كربلاء متطيراً فان المتطير لم يعلم ما يرد عليه وإنما يستكشف ذلك من الأشياء المعروفة عند العرب انها سبب للشر والحسين « ع » على يقين مما ينزل به فى ارض الطف من قضاء الله ، فهو عالم بالكرب الذى يحل به وبأهل بيته وصحبه كما انبأ عنه غير مرة .

وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها الاصبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله فاني لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما (١) .

فقام زهير وقال : سمعنا يا ابن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها .

وقال برير : يابن رسو الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة (٢) .

وقال نافع بن هلال : أنت تعلم ان جدك رسول الله لم يقدر أن يشرب الناس محبته ولا أن يرجعوا الى أمره ما أحب وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأمر من الحنظل حتى قبضه الله اليه وإن أباك علياً كان فى مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاه أجله فمضى الى رحمة الله ورضوانه وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضر إلا نفسه والله مغنٍ عنه فسر

---

(١) هذا فى اللهوف ، وعند الطبرى ج ٦ ص ٢٢٩ انه خطب به بذى حسم . وفى العقد الفريد ج ٢ ص ٣١٢ وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣٩ وابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٣ مثل اللهوف وفى مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٢ وذخائر العقبى ص ١٤٩ [وحلية الأولياء لأبى نعيم ج ٢ ص ٣٩ والعقد الفريد ج ٢ ص ٣١٢ يظهر منه انه خطب ذلك يوم عاشوراء .

(٢) اللهوف ص ٤٤ .

بنا راشداً معافى مشرقاً إن شئت أو مغربا ، فوالله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نياتنا وبصائرنا ، نوالي من والاك ونعادي من عاداك (١) .

بأبي من شروا لقاء حسين بفراق النفوس والأرواح
وقفوا يدرؤن سمر العوالي عنه والنبل وقفة الأشباح
فوقوه بيض الضبا بالنحور البيض والنبل بالوجوه الصباح
فئة ان تعاور النقع ليلاً أطلعوا في سماه شهب الرماح
واذا غنت السيوف وطافت أكؤس الموت وانتشى كل صاح
باعدوا بين قربهم والمواضي وجسوم الأعداء والأرواح
أدركوا بالحسين أكبر عيد فغدوا فى منى الطفوف أضاحي
لست أنسى من بعدهم طود عز وأعاديه مثل سيل البطاح
وهو يحمي دين النبي بعضب بسناه لظلمة الشرك ماحي
فتطير القلوب منه ارتياعاً كلما شد راكباً ذا الجناح
ثم لما نال الظما منه والشمس ونزف الدما وثقل السلاح
وقف الطرف يستريح قليلا فرماه القضا بسهم متاح
فهوى العرش للثرى وادلهمت برماد المصاب منها النواحي
حر قلبي لزينب إذ رأته ترب الجسم مثخناً بالجراح
أخرس الخطب نطقها فدعته بدموع بما تجن فصاح
يا منار الضلال والليل داج وظلال الرميض واليوم ضاحي
كنت لي يوم كنت كهفاً منيعاً سجسج الظل خافق الأرواح

---

(١) مقتل العوالم ص ٧٦ .

أترى القوم إذ عليك مررنا منعونا من البكا والنياح
إن يكن هيناً عليك هواني واغترابي مع العدى وانتزاحي
ومسيري أسيرة للأعادي وركوبي على النياق الطلاح
فبرغمي إني أراك مقيما بين سمر القنا وبيض الصفاح
لك جسم على الرمال ورأس رفعوه على رؤوس الرماح
بأبي الواردون حوض المنايا يوم ذيدوا عن الفرات المباح
بأبي اللابسون حمر ثياب طرزتهن سافيات الرياح (١)

ثم انه عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من اهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم وتصدق بها عليهم واشترط عليهم أن يرشدوا الى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام ، وكان حرم الحسين (ع) الذي اشتراه اربعة أميال في أربعة أميال ، فهو حلال لولده ولمواليه وحرام على غيرهم ممن خالفهم وفيه البركة ، وفي الحديث عن الصادق عليه السلام : إنهم لم يفوا بالشرط (٢).

---

(١) للعلامة الطاهر السيد رضا ابن آية الله السيد محمد الهندي قدس سره .

(٢) كشكول الشيخ البهائي ج ٢ ص ٩١ ط مصر نقلا عن كتاب الزيارات لمحمد بن احمد بن داود القمي ، وحكاه عنه السيد ابن طاووس في مصباح الزائر .

ابن زياد مع الحسين

وبعث الحر الى ابن زياد يخبره بنزول الحسين في كربلاء فكتب ابن زياد الى الحسين : أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك كربلاء وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخمير أو ألحقك باللطيف الخبير أو تنزل على حكمي وحكم يزيد والسلام .

ولما قرأ الحسين الكتاب رماه من يده وقال : لا أفلح قوم اشتروا مرضات المخلوق بسخط الخالق ، وطالبه الرسول بالجواب قال : ماله عندي جواب لأنه حقت عليه كلمة العذاب .

وسامته يركب احدى اثنتين ... وقد صرت الحرب أسنانها
فأما يرى مذعناً أو تموت ... نفس أبى العز أذعانها
فقال لها اعتصمي بالابا ... فنفس الأبيّ وما زانها
اذا لم تجد غير لبس الهوان ... فبالموت تنزع جثمانها
ترى القتل صبراً شعار الكرام ... وفخراً يزين لها شانها
فشمّر للحرب عن معرك ... به عرك الموت فرسانها
وأضرمها لعنان السماء ... حمراء تلفح نيرانها
ركين وللأرض تحت الكماة ... رجيف يزلزل شهلانها (١)

وأخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبو عبدالله (ع) فاشتد غضبه (٢)

---

(١) للسيد حيدر الحلي رحمه الله .
(٢) البحار ج ١٠ ص ١٨٩ ، ومقتل العوالم ص ٧٦ .

وأمر عمر بن سعد بالخروج الى كربلاء وكان معسكراً بحمام أعين فى أربعة آلاف ليسير بهم الى « دستبي » لأن الديلم قد غلبوا عليها (١) وكتب له ابن زياد عهداً بولاية الري وثغر دستبي والديلم (٢) فاستعفاه ابن سعد ، ولما استرد منه العهد استمهله ليلته وجمع عمر بن سعد نصحاءه فنهوه عن المسير لحرب الحسين وقال له ابن اخته حمزة بن المغيرة بن شعبة : أنشدك الله أن لا تسير لحرب الحسين فتقطع رحمك وتأثم بربك فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كله لو كان لك لكان خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين .

فقال ابن سعد : أفعل إن شاء الله ، وبات ليلته مفكراً فى أمره وسمع يقول :

أأترك ملك الري والري رغبتي ... أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عيني

وعند الصباح أتى ابن زياد وقال : إنك وليتني هذا العمل وسمع به الناس فانفذني له وابعث الى الحسين من لست أغنى في الحرب منه ، وسمى له اناساً من أشراف الكوفة .

فقال ابن زياد : لست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث ، فان سرت

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٣٢ .

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٥١ ، وفى معجم البلدان ج ٤ ص ٥٨ دستبي بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة المقصورة - كورة كبيرة بين همدان والرى فقسم يقال له دستبي الرازى وقسم دستبي همدان وبسعى ابى مالك حنظلة بن خالد التميمى أضيفت الى قزوين .

بجندنا وإلا فابعث الينا عهدنا ، فلما رآه ملحاً قال : إني سائر (١) فأقبل فى أربعة آلاف وانضم اليه الحر فيمن معه ودعا عمر بن سعد عزرة بن قيس الأحمسي وأمره أن يلقى الحسين ويسأله عما جاء به ، فاستحيا عزرة لأنه ممن كاتبه فسأل من معه من الرؤساء أن يلقوه فأبوا لأنهم كاتبوه .

فقام كثير بن عبدالله الشعبي وكان جريئاً فاتكا وقال : أنا له وان شئت أن أفتك به لفعلت قال : لا ولكن سله ما الذي جاء به ، فأقبل كثير وعرفه أبو ثمامة الصائدي فقام فى وجهه وقال : ضع سيفك وأدخل على الحسين ، فأبى واستبا ثم انصرف .

فدعا عمر بن سعد قرة بن قيس الحنظلي ليسأل الحسين ، ولما أبلغه رسالة ابن سعد قال أبو عبدالله : ان أهل مصركم كتبوا إلي أن أقدم علينا فأما اذا كرهتموني انصرفت عنكم .

فرجع بذلك الى ابن سعد وكتب الى ابن زياد بما يقوله الحسين فأتاه جوابه : أما بعد فاعرض على الحسين وأصحابه البيعة ليزيد ، فان فعل رأينا رأينا (٢) .

---

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٢ — أقول جاء فى المثل من عافاك اغناك يتحدث ابن الجوزى فى صفوة الصفوة ج ٣ ص ١٦١ ان رجلا بالبصرة من قواد ابن زياد سقط من السطح فتكسرت رجلاه فعاده ابو قلابه وقال ارجو ان يكون هذا خير لك فتحقق قوله حين حمله ابن زياد على الخروج الى حرب الحسين « ع » فقال للرسول : انظر ما انا فيه وبعد سبعة أيام اتاه الخبر بقتل الحسين « ع » فحمد الله على العافية .

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ .

خطبة ابن زياد

وجمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة فقال : أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون ، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة محسناً الى الرعية يعطي العطاء في حقه وقد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره ، وهذا ابنه يزيد يكرم العباد ويغنيهم بالأموال ، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم الى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا .

ثم نزل ووفر العطاء وخرج الى « النخيلة » (١) وعسكر فيها وبعث على الحصين بن نمير التميمي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن وشبث ابن ربعي وأمرهم بمعاونة ابن سعد فاعتل شبث بالمرض (٢) فأرسل اليه أن رسولي يخبرني بتمارضك وأخاف أن تكون من الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن فان كنت في طاعتنا فأقبل مسرعاً ، فأتاه بعد العشاء لئلا ينظر الى وجهه فلم يجد عليه أثر العلة ووافقه على ما يريد (٣) .

(١) هي العباسية في كلام ابن نما وتعرف اليوم بالعباسيات وموقعها قريب من « ذي الكفل » وفي اليقين لرضى الدين ابن طاووس ص ١٤٧ باب ١٤٦ ان النخيلة تبعد عن الكوفة فرسخين .

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٥٣ .

(٣) البحار عن مقتل محمد بن ابى طالب .

وجعل عبيدالله بن زياد زحر بن قيس الجعفي مسلحة في خمسمائة فارس وأمره أن يقيم بجسر الصراة يمنع من يخرج من اهل الكوفة يريد الحسين (ع) فمر به عامر بن أبي سلامة بن عبدالله بن عرار الدالاني فقال له زحر: قد عرفت حيث تريد فارجع، فحمل عليه وعلى اصحابه فهزمهم ومضى وليس أحد منهم يطمع فى الدنو منه فوصل كربلاء ولحق بالحسين عليه السلام حتى قتل معه وكان قد شهد المشاهد مع امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

الحسين عند الكوفيين

ولم تزل الكراهية ظاهرة على الناس في قتال الحسين لأنه ابن الرسول الأقدس وسيد شباب أهل الجنة ولم تغب عن أذهانهم مصارحات النبي (ص) وأبيه الوصي فيه وفى أخيه المجتبي وقد عرفوا فضله يوم أجدبت الكوفة وقحط الناس ففزعوا الى «أبي الحسن» فأخرج السبط الشهيد للاستسقاء وببركات نفسه القدسيه ونوره المتكون من الحقيقة المحمدية استجاب الله تعالى له وأرسل المطر حتى أعشبت الأرض بعد جدبها وهو الذي ملك

---

(١) الأكليل للهمدانى ج ١٠ ص ٨٧ و ١٠١ ودالان بطن من همدان منهم بنو عرار بضم العين وهو عرار بن رؤاس بن دالان بن حيش ابن ماشج بن وادعة وفى جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٣٢١ ذكر نسب وادعة.

المشرعة يوم صفين فسقى المسلمين بعد أن أجهدهم العطش (١) ولنبيء سقيه الحر والف فارس معه في تلك الأرض القاحلة حتى أرواهم وخيولهم دوي في أرجاء الكوفة .

فهل يستطيع أحد والحالة هذه على مقابلته ومحاربته لولا غلبة الهوى والتناهي في الطغيان وضعف النفوس ولذلك كان الجمع الكثير يتسلل إذا وصل كربلاء ولم يبق إلا القليل فلما عرف ابن زياد ذلك بعث سويد بن عبد الرحمن المنقري في خيل وأمره أن يطوف في سكك الكوفة وأحياء العرب ويعلن بالخروج الى حرب الحسين ومن تخلف جاء به اليه فوجد رجلا من أهل الشام قدم الكوفة في طلب ميراث له فقبض عليه وجاء به الى ابن زياد فأمر بضرب عنقه فلما رأى الناس الشر منه خرجوا جميعاً (٢) .

الجيوش

فخرج الشمر في أربعة آلاف ويزيد بن الركاب في الفين والحصين ابن نمير التميمي في أربعة آلاف وشبث بن ربعي في الف وكعب بن طلحة في ثلاثة آلاف وحجار بن أبجر في الف ومضاير بن رهينة المازني في ثلاثة آلاف ونصر بن حرشة في الفين (٣) فتكامل عند ابن سعد لست خلون

(١) مقتل العوالم ص ١٥ وص ٤٥

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٥٣

(٣) ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢١٥

من المحرم عشرون الفاً (١) ولم يزل ابن زياد يرسل العساكر الى ابن سعد حتى تكامل عنده ثلاثون الفاً .

روى أبو عبد الله الصادق عليه السلام أن الحسين دخل على أخيه الحسن في مرضه الذي استشهد فيه فلما رأى ما به بكى فقال له الحسن : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال : أبكي لما صنع بك فقال الحسن عليه السلام : إن الذي اوتي إلي سم اقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله وقد ازدلف اليك ثلاثون الفاً يدعون أنهم من امة جدنا محمد وينتحلون دين الاسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك فعندها تحل ببني امية اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار (٢) .

وكتب ابن زياد الى ابن سعد : إني لم أجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال فانظر لا تمس ولا تصبح إلا وخبرك عندي غدوة وعشية وكان يستحثه على الحرب لست خلون من المحرم (٣) .

---

(١) ابن نما واللهوف .

(٢) أمالي الصدوق ص ٧١ مجلس ٣٠ وفى مطالب السؤال أنهم عشرون الفاً وفى هامش تذكرة الخواص أنهم مائة الف وفى تحفة الأزهار لابن شدقم ثمانون الفاً وفى أسرار الشهادة ص ٢٣٧ ستة آلاف فارس والف الف راجل ولم يذكر أبو الفدا فى تأريخه ج ٢ ص ١٩٠ غير خروج ابن سعد فى أربعة آلاف والحر فى الفين وفى عمدة القاريء للعينى ج ٨ ص ٦٥٦ كان جيش ابن زياد الف فارس رئيسهم الحر وعلى مقدمتهم الحصين بن نمير .

(٣) تظلم الزهراء ص ١٠١ ومقتل محمد بن أبي طالب .

حشدت كتائبها على ابن محمد ... بالطف حيث تذكرت آباءها

الله أكبر يا رواسي هذه الأ ... رض البسيطة زايلي أرجاءها

يلقى ابن منتجع الصلاح كتائباً ... عقد ابن منتجع السفاح لواءها

ما كان أوقحها صبيحة قابلت ... بالبيض جبهته تريق دماءها

ما بل أوجهها الحيا ولو أنه ... قطع الصفا بل الحيا ملساءها

من أين تخجل أوجه اموية ... سكبت بلذات الفجور حياءها

قهرت بني الزهراء فى سلطانها ... واستأصلت بصفاحها امراءها

ملكت عليها الأمر حتى حرمت ... فى الأرض مطرح جنبها وثواءها

ضاقت بها الدنيا فحيث توجهت ... رأت الحتوف أمامها ووراءها

فاستوطنت ظهر الحمام وحولت ... للعز عن ظهر الهوان وطاءها

طلعت ثنيات الحتوف بعصبة ... كان السيوف قضاءها ومضاءها

لقلوبها امتحن الاله بموقف ... محضته فيه صبرها وبلاءها

كانت سواعد آل بيت محمد ... وسيوف نجدتها على من ساءها

كره الحمام لقاءها في ضنكه ... لكن أحب الله فيه لقاءها

فثوت بأفئدة صواد لم تجد ... رياً يبل سوى الردى أحشاءها

وأراك تنشيء يا غمام على الورى ... ظلا وتروي من حياك ظماءها

وقلوب أبناء النبي تفطرت ... عطشاً بقفر ارمضت أشلاءها

وأمض ما جرعت من الغصص التي ... قدحت بجانحة الهدى إيراءها

هتك الطغاة على بنات محمد ... حجب النبوة خدرها وخباءها

فتنازعت أحشاءها حرق الجوى ... وتجاذبت أيدي العدو رداءها

عجباً لحلم الله وهي بعينه ... برزت تطيل عويلها وبكاءها

ويرى من الزفرات تجمع قلبها   بيد وتدفع فى يد أعـــداءها
ما كان أوجعها لمهجة (أحمد)   وأمض في كبد (البتولة) داءها (١)

المشرعة

وأنزل ابن سعد الخيل على الفرات فحموا الماء وحالوا بينـه وبين سيد الشهداء ولم يجد أصحاب الحسين طريقاً الى الماء حتى أضر بهم العطش فأخذ الحسين فأساً وخطا وراء خيمة النساء تسع عشرة خطوة نحو القبلة وحفر فنبعت له عين ماء عذب فشربوا ثم غارت العين ولم ير لها أثر فأرسل ابن زياد الى ابن سعد : بلغني أن الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه فانظر اذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم غاية التضييق ، فبعث في الوقت عمرو بن الحجاج فى خمسمائة فارس ونزلوا على الشريعة وذلك قبل مقتل الحسين بثلاثة أيام (٢) .

اليوم السابع

في اليوم السابع اشتد الحصار على سيد الشهداء ومن معه وسد عنهم باب الورود ونفـد ما عندهم من الماء فعاد كل واحد يعـــالج لهب العطش وبطبع الحال كان العيال بين أنة وحنة وتضور ونشيج ومتطلب للماء الى

(١) من قصيدة للسيد جعفر الحلي رضوان الله عليه .

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٢٣٤ وإرشاد المفيد ومقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٤٤ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢٢

وما خطبه إلا الوفاء وقل ما ... يرى هكذا خلا وفياً مع الخل
يميناً بيمنـاك القطيعة والتي ... تسمى شمالا وهي جامعة الشمل
بصبرك دون ابن النبي بكربلا ... على الهول أمر لا يحيط به عقلي
ووافاك لا يدري أفقدك راعه ... أم العرش غالته المقادير بالثل
أخي كنت لي درعاً ونصلا كلاهما ... فقدت فلادرعي لدي ولا نصلي (١)

غرور ابن سعد

وأرسل الحسين عمرو بن قرظة الأنصاري الى ابن سعد يطلب الاجتماع معه ليلا بين المعسكرين فخرج كل منهما في عشرين فارساً وأمر الحسين من معه أن يتأخر إلا العباس وابنه علياً الأكبر وفعل ابن سعد كذلك وبقي معه ابنه حفص وغلامه .

فقال الحسين : يا ابن سعد أ تقاتلني أما تتقي الله الذي اليه معادك فأنا ابن من قد علمت ألا تكون معي وتدع هؤلاء فانه أقرب الى الله تعالى .

قال عمر : أخاف أن تهدم داري قال الحسين : أنا أبنيها لك فقال : أخاف أن تؤخذ ضيعتي قال عليه السلام : أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز (٢) ويروى أنه قال : لعمر اعطيك البغيبغة وكانت عظيمه فيها نخل وزرع كثير دفع معاوية فيها الف الف دينار فلم يبعها منه (٣)

---

(١) للشيخ محسن أبو الحب الحائرى رحمه الله .

(٢) مقتل العوالم ص ٧٨ (٣) تظلم الزهراء ص ١٠٣

فقال ابن سعد : إن لي بالكوفة عيالا وأخاف عليهم من ابن زياد القتل .

ولما أيس منه الحسين قام وهو يقول : ما لك ذبحك الله على فراشك عاجلا ولا غفر لك يوم حشرك فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً ، قال ابن سعد مستهزءاً : في الشعير كفاية (١) .

افتراء ابن سعد

وافتعل ابن سعد على أبي الضيم ما لم يقله وكتب به الى ابن زياد زعماً منه أن فيه صلاح الامة وجمال النظام فقال في كتابه : أما بعد فان الله أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الامة ، وهذا حسين أعطاني أن يرجع الى المكان الذي منه أتى ، أو أن يسير الى ثغر من الثغور فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفي هذا رضاً لكم وللامة صلاح (٢) .

وهيهات أن يكون ذلك الأبي ومن علم الناس الصبر على المكاره وملاقاة الحتوف طوع ابن مرجانة منقاداً لابن آكلة الأكباد أليس هو القائل لأخيه الأطرف : والله لا اعطي الدنية من نفسي ويقول لابن الحنفية : لو لم يكن ملجأ لما بايعت يزيد وقال لزراة بن صالح : إني

(١) تظلم الزهراء ص ١٠٣ ومقتل الخوارزمي ج ١ ص ٢٤٥

(٢) الاتحاف بحب الأشراف ص ١٥ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص٣٥٣

أعلم علماً يقينـــاً أن هناك مصرعي ومصارع أصحابي ولا ينجو منهم إلا ولدي علي وقال لجعفر بن سليمان الضبعي : أنهم لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي .

وآخر قوله يوم الطف : ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهـــات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبيـة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام .

وإن حديث عقبـة بن سمعان يفسر الحال التي كان عليها أبو عبد الله عليه السلام قال : صحبت الحسين من المدينـة الى مكـة ومنها الى العراق ولم افارقه حتى قتل وقد سمعت جميع كلامه فما سمعت منه ما يتذاكر فيه الناس من أن يضع يده في يد يزيد ولا أن يسيره الى ثغر من الثغور لا في المدينة ولا في مكة ولا فى الطريق ولا فى العراق ولا فى عسكره الى حين قتله ، نعم سمعته يقول : دعوني أذهب الى هذه الارض العريضة (١) .

طغيان الشمر

ولما قرأ ابن زياد كتاب ابن سعد قال : هذا كتاب ناصح مشفق على قومه وأراد أن يجيبه فقام الشمر (٢) وقال : أتقبل هذا منه بعـد أن

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٣٥

(٢) فى البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٨٨ كان الحسين يحدث أصحابه ـــ

نزل بأرضك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة وتكون أولى بالضعف والوهن ، فاستصوب رأيه وكتب الى ابن سعد : أما بعد إني لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة ولا لتكون له عندي شفيعاً انظر فان نزل حسين وأصحابه على حكمي فابعث بهم إلي سلما وإن أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون ، فان قتل حسين فأوطأ الخيل صدره وظهره .

ولست أرى انه يضر بعد الموت ولكن على قول قلته لو قتلته لفعلت هذا به فان أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بذلك (١) .

فلما جاء الشمر بالكتاب قال له ابن سعد : ويلك لا قرب الله دارك وقبح الله ما جئت به وإني لأظن انك الذي نهيته وأفسدت علينا أمراً رجونا أن يصلح والله لا يستسلم حسين فانّ نفس أبيه بين جنبيه .

فقال الشمر : أخبرني ما أنت صانع أتمضي لأمر أميرك ؟ وإلا

— فى كربلاء بما قاله جده (ص) : كأنى انظر الى كلب أبقع يلغ فى دماء أهل بيتى ولما رأى الشمر أبرص قال هو الذى يتولى قتلي . وفى ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٤٩ كان شمر بن ذى الجوشن أحد قتلة الحسين عليه السلام فليس للرواية بأهل ولما قيل له كيف أعنت على ابن فاطمة قال : إن امراءنا أمرونا فلو خلفناهم كنا أشد من الحمر الشقاء قال الذهبي : وهذا غدر قبيح فانما الطاعة فى المعروف .

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣ .

نخل بيني وبين العسكر ، قال له عمر : أنا أتولى ذلك ولا كرامة لك ولكن كن أنت على الرجالة (١) .

الأمان

وصاح الشمر بأعلى صوته : أين بنو اختنا ؟ أين العباس واخوته ؟ فأعرضوا عنه ، فقال الحسين : أجيبوه ولو كان فاسقاً قالوا : ما شأنك وما تريد ؟ قال : يا بني اختي أنتم آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين والزموا طاعة أمير المومنين يزيد فقال العباس : لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له (٢) وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء (٣) .

أيظن هذا الجلف الجافي أن يستهوي رجل الغيرة والحمية الى الخسف والهوان فيستبدل أبو الفضل النور بالظلمة ويدع علم النبوة وينضوي الى راية ابن ميسون ؟ . . . كلا .

ولما رجع العباس قام اليه زهير بن القين وقال : احدثك بحديث وعيته قال : بلى فقال : لما أراد أبوك أن يتزوج طلب من أخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من العرب ليتزوجها

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٣٦ .

(٢) تذكرة الخواص ص ١٤٢ واعلام الورى ص ٢٨ .

(٣) ابن نما ص ٢٨ .

فتلد غلاماً شجاعاً ينصر الحسين بكربلا وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصّر عن نصرة أخيك وحماية أخواتك .

فقال العباس : أتشجعني يازهير فى مثل هذا اليوم والله لأرينك شيئاً ما رأيته (١) فجدل أبطالاً ونكس رايات في حالة لم يكن من همه القتال ولا مجالدة الأبطال بل همه إيصال الماء الى عيال أخيه :

يمثل الكرار في كراته بل في المعاني الغر من صفاته
ليس يد الله سوى أبيه وقدرة الله تجلت فيه
فهو يد الله وهذا ساعده تغنيك عن إثباته مشاهده
صولته عند النزال صولته لولا الغلو قلت جلت قدره (٢)

بنو أسد

واستأذن حبيب بن مظاهر من الحسين أن يأتي بني أسد وكانوا نزولا بالقرب منهم فأذن له ، ولما أتاهم وانتسب لهم عرفوه فطلب منهم نصرة ابن بنت رسول الله فان معه شرف الدنيا والآخرة ، فأجابه تسعون رجلا وخرج من الحي رجل اخبر ابن سعد بما صاروا اليه فضم إلى الأزرق أربعمائة رجل وعارضوا النفر في الطريق واقتتلوا فقتل جماعة من بني أسد وفر من سلم منهم الى الحي فارتحلوا جميعاً في جوف الليل خوفاً من ابن سعد

(١) أسرار الشهادة ص ٣٨٧ .
(٢) للحجة آية الله الشيخ محمد حسين الإصفهانى قدس سره .

أن يبيتهم ورجع حبيب الى الحسين وأخبره فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم (١).

اليوم التاسع

ونهض ابن سعد عشية الخميس لتسع خلون من المحرم ونادى في عسكره بالزحف نحو الحسين ، وكان عليه السلام جالساً أمام بيته محتبياً بسيفه وخفق برأسه فرأى رسول الله يقول : انك صائر الينا عن قريب. وسمعت زينب أصوات الرجال وقالت لأخيها : قد اقترب العدو منا.

فقال لأخيه العباس : اركب « بنفسي أنت » (٢) حتى تلقاهم

---

(١) البحار عن مقتل محمد بن ابى طالب الحائرى ، ومقتل الخوارزمى ج ١ ص ٢٤٣ .

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٢٣٧ وروضة الواعظين ص ١٥٧ والإرشاد للمفيد والبداية لإبن كثير ج ٨ ص ١٧٦ .

غير خاف ما فى هذه الكلمة الذهبية من مغزى دقيق ترى الفكر يسف عن مداه وأنى له أن يحلق الى ذروة الحقيقة من ذات طاهره تفتدى بنفس الإمام علة الكائنات والفيض الأقدس للممكنات .

نعم عرفها البصير الناقد بعد أن جربها بمحك النزاهة فوجدها مشبوبة بجنسها ثم أطلق عليها تلك الكلمة الغالية « ولا يعرف الفضل إلا أهله » .

ولا يذهب بك الوهم أيها القارىء الى القول بعدم الأهمية فى هذه —

واسألهم عما جاءهم وما الذي يريدون فركب العباس في عشرين فارساً فيهم زهيروحبيب وسألهم عن ذلك قالوا : جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو ننازلكم الحرب .

فانصرف العباس « ع » يخبر الحسين بذلك ووقف أصحابه يعظون القوم ، فقال لهم حبيب بن مظاهر : أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه وقد قتلوا ذرية نبيه وعترته وأهل بيته وعبّاد أهل هذا المصر المتهجدين بالأسحار الذاكرين الله كثيراً فقال له عزرة بن قيس : إنك لتزكي نفسك ما استطعت .

فقال زهير : يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عزرة

— الكلمة بعد القول فى زيارة الشهداء من زيارة وارث « بأبى أنتم وأمى طبتم وطابت الأرض التى فيها دفنتم » لأن الإمام « ع » فى هذه الزيارة لم يكن هو المخاطب لهم وإنما هو عليه السلام فى مقام تعليم صفوان الجمال عند زيارتهم أن يخاطبهم بذلك فان الرواية تنص كما فى مصباح المتهجد للشيخ الطوسى أن صفوان استأذن الصادق فى زيارة الحسين وأن يعرفه ما يقوله ويعمل عليه فقال له : يا صفوان صم قبل خروجك ثلاثة أيام الى أن قال : ثم اذا أتيت الحائر فقل : الله أكبر ، ثم ساق الزيارة الى أن قال : ثم أخرج من الباب الذى يلى رجلى علي بن الحسين وتوجه الى الشهداء وقل : السلام عليكم يا أولياء الله الى آخرها .

فالإمام الصادق « ع » فى مقام تعليم صفوان أن يقول فى السلام على الشهداء ذلك وليس فى الرواية مايدل على أنه عليه السلام كيف يقول لو أراد السلام على الشهداء .

فاني لك من الناصحين أنشدك الله يا عزرة أن لا تكون ممن يعين الضلالة على قتل النفوس الزكية .

ثم قال : يا زهير ما كنت عندنا من شيعة اهل هذا البيت إنما كنت على غير رأيهم قال زهير : أفلست تستدل بموقفي هذا إني منهم أما والله ما كتبت اليه كتاباً قط ولا أرسلت اليه رسولا ولا وعدته نصرتي ولكن الطريق جمع بيني وبينه فلما رأيته ذكرت به رسول الله ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه عدوه فرأيت أن أنصره وأن أكون من حزبه وأجعل نفسي دون نفسه حفظا لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله .

وأعلم العباس أخاه أبا عبدالله بما عليه القوم فقال « ع » : ارجع اليهم واستمهلهم هذه العشية الى غد لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم إني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار .

فرجع العباس واستمهلهم العشية فتوقف ابن سعد وسأل من الناس فقال عمرو بن الحجاج : سبحان الله لو كانوا من الديلم وسألوك هذا لكان ينبغي لك أن تجيبهم اليه وقال قيس بن الأشعث : أجبهم الى ما سألوك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة فقال ابن سعد : والله لو أعلم انه يفعل ما أخرتهم العشية ثم بعث الى الحسين : انا أجلناكم الى غد فان استسلمتم سرحنا بكم الى الأمير ابن زياد وإن ابيتم فلسنا تاركيكم (١) .

ضلت امية ما تريد غداة مقترع النصول
رامت تسوق المصعب الهدار مستاق الذليل
وزوح طوع يمينها قود الجنيب أبو الشبول

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٣٧ .

رامت لعمرو ابن النبي الطهـر ممتنع الحصول
وتيممت قصد المحـال فما رعت غـير المحول
ورنت على السغب السرا ب بأعين فى المجد حول
وغوى بها جهل بها والبغي من خلق الجهول (١)

الضمائر الحرة

وجمع الحسين أصحابه قرب المساء قبل مقتله بليلة (٢) فقال : أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إنى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين ، أما بعد فانى لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا اهل بيت أبر ولا أوصل من اهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً (٣) .

وقد أخبرني جدي رسول الله (ص) بأني سأساق الى العراق فانزل أرضاً يقال لها عمور . أو كربلا وفيها أستشهد وقد قرب الموعد (٤) .

---

(١) للكعبي رحمه الله .

(٢) اثبات الرجعة للفضل بن شاذان هكذا عرفه وهو بالغيبة انسب فانه لم يوجد فيه من أخبار الرجعة إلا حديث واحد .

(٣) طبرى ج ٦ ص ٢٣٨ و ٢٣٩ وكامل ابن الاثير ج ٤ ص ٢٤ .

(٤) اثباب الرجعة .

ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً وإني قد أذنت لـكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي فجزاكم الله جميعاً خيراً وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فان القوم إنما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري .

فقال له اخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبدالله بن جعفر : لم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً ، بدأهم بهذا القول العباس بن علي وتابعه الهاشميون .

والتفت الحسين الى بني عقيل وقال : حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا قد أذنت لـكم .

فقالوا : إذاً ما يقول الناس وما نقول لهم إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ماصنعوا لا والله لانفعل ولـكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا نقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك (١) .

نفوس أبت إلا تراث أبيهم فهم بين موتور لذاك وواتر
لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى كما انست أقدامهم بالمنابر (٢)

وقال مسلم بن عوسجة : أنحن نخلي عنك وبماذا نعتذر الى الله فى أداء حقك ، أما والله لا افارقك حتى أطعن فى صدورهم برمحي وأضرب

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٣٨ والـكامل ج ٤ ص ٢٤ والارشاد للمفيد واعلام الورى ص ١٤١ .

(٢) مثير الأحزان لإبن نما ص ٢٧ .

بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك وقال سعيد بن عبدالله الحنفي : والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك أما والله لو علمت إني اقتل ثم أحيا ثم احرق حياً ثم اذرى يفعل بي سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .

وقال زهير بن القين : والله وددت إني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل كذا ألف مرة وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من اهل بيتك .

وتكلم باقي الأصحاب بما يشبه بعضه بعضاً فجزاهم الحسين خيراً (١) .

وفي هذا الحال قيل لمحمد بن بشير الحضرمي قد اسر ابنك بثغر الري فقال : ما أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده حيا فقال له الحسين : أنت فى حل من بيعتي فاعمل في فكاك ولدك قال : لا والله لا أفعل ذلك أكلتني السباع حياً إن فارقتك فقال عليه السلام : إذاً اعط ابنك هذه الأثواب الخمسة ليعمل في فكاك أخيه وكان قيمتها ألف دينار (٢) .

وتنادبت للذب عنه عصبة ... ورثوا المعالي أشيباً وشبابا
من ينتدبهم للكريهة ينتدب ... منهم ضراغمة الاسود غضابا
خفوا لداعي الحرب حين دعاهم ... ورسوا بعرصة كربلاء هضابا
أسد قد اتخذوا الصوارم حلية ... وتسربلوا حلق الدروع ثيابا

---

(١) إرشاد المفيد وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٣٩ .

(٢) اللهوف ص ٥٣ .

تخذت عيونهم القساطل كحلها وأكفهم فيض النجيع خضابا
يتمايلون كأنما غنى لهم وقع الظبا وسقاهم أكوابا
برقت سيوفهم فأمطرت الطلى بدمائها والنقع ثار سحابا
وكأنهم مستقبلون كواعباً مستقبلين أسنة وكعابا
وجدوا الردى من دون آل محمد عذباً وبعدهم الحياة عذابا (١)

ولما عرف الحسين منهم صدق النية والاخلاص في المفاداة دونه أوقفهم على غامض القضاء فقال: إني غداً اقتل وكلكم تقتلون معي ولا يبقى منكم أحد (٢) حتى القاسم وعبد الله الرضيع إلا ولدي علي زين العابدين لأن الله لم يقطع نسلي منه وهو أبو أئمة ثمانية (٣).

فقالوا بأجمعهم الحمد الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك أو لا نرضى أن نكون معك فى درجتك يا ابن رسول الله فدعا لهم بالخير (٤) وكشف عن أبصارهم فرأوا ما حباهم الله من نعيم الجنان وعرفهم منازلهم فيها (٥) وليس ذلك فى القدرة الالهية بعزيز ولا في تصرفات الامام بغريب فان سحرة فرعون لما آمنوا بموسى «ع» وأراد فرعون قتلهم أراهم النبي موسى منازلهم في الجنة (٦).

---

(١) للعلامة السيد رضا الهندى رحمه الله.

(٢) نفس المهموم ص ١٢٢

(٣) أسرار الشهادة.

(٤) نفس المهموم ص ١٢٢

(٥) الخرايج للراوندى.

(٦) أخبار الزمان للمسعودى ص ٢٤٧

وفي حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام قال لأصحابه : إبشروا بالجنة فوالله إنا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا ثم يخرجنا الله وإياكم حتى يظهر قائمنا فينتقم من الظالمين وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب فقيل له من قائمكم يا ابن رسول الله قال : السابع من ولد ابني محمد بن علي الباقر وهو : الحجة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني وهو الذي يغيب مدة طويلة ثم يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً (١) .

ليلة عاشوراء

كانت ليلة عاشوراء أشد ليلة مرت على أهل بيت الرسالة حفت بالمكاره والمحن وأعقبت الشر وآذنت بالخطر وقد قطعت عنهم الحالة القاسية من بني امية وأتباعهم كل الوسائل الحيوية وهناك ولولة النساء وصراخ الأطفال من العطش المبرح والهم المدلهم .

إذاً فما حال رجال المجد من الأصحاب وسروات الشرف من بني هاشم بين هذه الكوارث فهل أبقت لهم مهجة ينهضون بها أو أنفساً تعالج الحياة والحرب في غد .

نعم كانت ضراغمة آل عبد المطلب والصفوة من الأصحاب عندئذ في أبهج حالة وأثبت جأش فرحين بما يلاقونه من نعيم وحبور وكلما اشتد المأزق

(١) إثبات الرجعة .

الحرج أعقب فيهم إنشراحاً بين ابتسامة ومداعبة الى فرح و نشاط .

ومذ أخذت في نينوى معهم النوى ... ولاح بها للغدر بعض العلائم

غدا ضاحكاً هذا وذا متبسماً ... سروراً وما ثغر المنون بباسم

هازل برير عبد الرحمن الأنصاري فقال له عبد الرحمن ما هذه ساعة باطل فقال برير لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلا ولا شابا ولكني مستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة (١) .

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك فقال له يزيد بن الحصين : ما هذه ساعة ضحك قال حبيب : وأي موضع أحق بالسرور من هذا ما هو إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم فنعانق الحور (٢)

تجري الطلاقة في بهاء وجوههم ... إن قطبت فرقاً وجوه كماتها

وتطلعت بدجى القتام أهلة ... لكن ظهور الخيل من هالاتها

فتدافعت مشي النزيف الى الردى ... حتى كأن الموت من نشواتها

وتعانقت هي والسيوف وبعدذا ... ملكت عناق الحور في جناتها (٣)

فكأنهم نشطوا من عقال بين مباشرة للعبادة وتأهب للقتال لهم دوي كدوي النحل بين قائم وقاعد وراكع وساجد قال الضحاك بن عبد الله المشرقي : مرت علينا خيل ابن سعد فسمع رجل منهم الحسين عليه السلام يقرأ : « ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٤١

(٢) رجال الكشى .

(٣) للعلامة السيد محمد حسين الكيشوان رحمه الله .

ليزادوا إثماً ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » .

فقال الرجل : نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا منكم .

قال له برير : يا فاسق أنت يجعلك الله فى الطيبين هلم الينا وتب من ذنوبك العظام فوالله لنحن الطيبون وأنتم الخبيثون .

فقال الرجل مستهزءاً : وأنا على ذلك من الشاهدين .

ويقال إنه في هذه الليلة إنضاف الى أصحاب الحسين من عسكر بن سعد إثنان وثلاثون رجلا (١) حين رأوهم مبتهلين متهجدين عليهم سيماء الطاعة والخضوع لله تعالى .

قال علي بن الحسين : سمعت أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه :

يا دهر اف لك من خليلي كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر الى الجليل وكل حي سالك سبيل

فأعادها مرتين أو ثلاث ففهمتها وعرفت ما أراد وخنقتني العبرة ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل وأما عمتي زينب لما سمعت ذلك وثبت تجر ذيلها حتى انتهت اليه وقالت واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضي وثمال الباقي فعزاها الحسين وصبرها وفيما قال : يا اختاه تعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شيء هالك إلا وجهه

(١) اللهوف .

ولي ولكل مسلم برسول الله اسوة حسنة .

فقالت عليها السلام : أفتغصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبي وأشد على نفسي (١) .

وبكى النسوة معها ولطمن الخدود وصاحت ام كلثوم وا محمداه وا علياه وا اماه وا حسيناه وا ضيعتنا بعدك .

فقال الحسين : يا اختاه يا ام كلثوم يا فاطمة يا رباب انظرن اذا قتلت فلا تشققن علي جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً (٢) .

ثم إنه عليه السلام أمر أصحابه أن يقاربوا البيوت بعضها من بعض ليستقبلوا القوم من وجه واحد وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل فيكون القتال من وجه واحد (٣) .

وخرج عليه السلام في جوف الليل الى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات فتبعه نافع بن هلال الجملي فسأله الحسين عما أخرجه قال : يا ابن رسول الله أفزعني خروجك الى جهة معسكر هذا الطاغي فقال الحسين : إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول : هي هي والله وعد لا خلف فيه .

ثم قال له ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك

---

(١) اللهوف .

(٢) الارشاد .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٤٠

فوقع نافع على قدميه يقبلها ويقول : ثكلتني امي إن سيفي بألف وفرسي مثله فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يكلا عن فري وجري .

ثم دخل الحسين خيمـة زينب ووقف نافع بأزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب تقول له : هل استعلمت من أصحابك نياتهم فاني أخشى أن يسلموك عند الوثبة .

فقـال لها : والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل الى محالب امه .

قال نافع : فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن اخته زينب .

قال حبيب : والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة قلت : إني خلفته عند اخته وأظن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهن فقام حبيب ونادى يا أصحاب الحميـة وليوث الكريهة فتطالعوا من مضاربهم كالاسود الضارية فقال لبني هاشم إرجعوا الى مقركم لا سهرت عيونكم .

ثم التفت الى أصحابه وحكى لهم ماشاهده وسمعه نافع فقالوا بأجمعهم : والله الذي من علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة فطب نفساً وقر عيناً فجزاهم خيراً .

وقال هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح : يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم آلوا ألا يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم .

فخرجن النساء اليهم ببكاء وعويل وقلن أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين .

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم (١) .

وفي السحر من هذه الليلة خفق الحسين خفقة ثم استيقظ وأخبر أصحابه بأنه رأى فى منامه كلاباً شدت عليه تنهشه وأشدها عليه كلب أبقع وإن الذي يتولى قتله من هؤلاء رجل أبرص .

وإنه رأى رسول الله « ص » بعد ذلك ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول له : أنت شهيد هذه الامة وقد استبشر بك أهل السموات وأهل الصفيح الأعلى وليكن إفطارك عندي الليلة عجل ولا تؤخر فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء (٢) .

وانصاع حامية الشريعة ظامئاً
ما بل غلته بعذب فراتها
أضحى وقد جعلته آل امية
شبح السهام رمية لرماتها
حتى قضى عطشاً بمعترك الوغى
والسمر تصدر منه فى نهلاتها
وجرت خيول الشرك فوق ضلوعه
عدواً تجول عليه في حلباتها

---

(١) الدمعة الساكبة ص ٣٢٥ وتكرر فى كلامه « هلال بن نافع » وهو اشتباه فان المضبوط « نافع بن هلال » كما فى زيارة الناحية وتاريخ الطبرى وكامل ابن الأثير . (٢) نفس المهموم ص ١٢٥ عن الصدوق .

ومخدرات من عقائل أحمد
هجمت عليها الخيل في أبياتها
من ثاكل حرى الفؤاد مروعة
أضحت تجاذبها العدى حُبراتها
ويتيمة فزعت لجسم كفيلها
حسرى القناع تعج في أصواتها
أهوت على جسم الحسين وقلبها
المصدوع كاد يذوب من حسراتها
وقعت عليه تشم موضع نحره
وعيونها تنهل في عبراتها
ترتاع من ضرب السياط فتنثني
تدعو سرايا قومها وحماتها
أين الحفاظ وفي الطفوف دماؤكم
سفكت بسيف امية وقناتها
أين الحفاظ وهذه أشلاؤكم
بقيت ثلاثاً في هجير فلاتها
أين الحفاظ وهذه أبناؤكم
ذبحت عطاشى في ثرى عرصاتها
أين الحفاظ وهذه فتياتكم
حملت على الأقتاب بين عداتها

حملت برغم الدين وهي ثواكل

عبرى تردد بالشجى زفراتها

فمن المعزى بعد أحمد فاطماً

في قتل أبناها وسبي بناتها (١)»

---

(١) للعلامة السيد محمد حسين الكيشوان توجد ترجمته فى شعراء الغرى ج ٨ ص ٣

وقعة الحسين عليه السلام

يوم عاشوراء

بسم الله الرحمن الرحيم

« اني لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما . »

أبو عبد الله الحسين
عليه السلام

يوم عاشوراء

لو كان يدري يوم عاشوراء ما كان يجري فيه من بلاء
ما لاح فجره ولا استنارا ولا أضاءت شمسه نهارا
سود حزناً أوجه الأيام وأوجه الشهور والأعوام
الله ما أعظمه من يوم أزال صبري وأطار نومي
اليوم أهل آية التطهير بين صريع فيه أو عفير
اليوم قد مات الحفاظ والوفا اليوم كاد الدين يقضي أسفا
اليوم نامت أعين الأعداء وسهدت عيون ذي الولاء
ويلي وهل يجدى حزيناً ويل لأضلع تدوسهن الخيل
وأرؤس على الرماح ترفع وجثث على الصعيد توضع
وثاكل تبدو من الخدور تعج بالويل وبالثبور
ومرضع ترنو الى رضيع على التراب فاحص صريع
ونسوة تسبى على النياق حسرى تعاني ألم الفراق
أهم شيء لذوي الولاء أن يجلسوا للنوح والعزاء
فيه تقام سنن المصاب والترك للطعام والشراب (١)

لقد مر هذا اليوم على آل محمد « ص » وكله شجاء مترامي الأطراف

---

(١) المقبولة الحسينية ص ٦٢ لحجة الاسلام آية الله الشيخ هادى آل كاشف الغطاء قدس الله سره .

أثرت فجائعه في القلوب فأذابتها وفى المدامع فأدمتها فلا تسمع فيه إلا صرخة فاقد وزفرة ثاكل وحنة محزون ولا تبصر إلا كل أشعث قد أنهكه ألم المصاب ومغبر يذري على رأسه التراب الى لادم صدراً وصاك جبهته وقابض على فؤاده وصافق بيده الاخرى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى لكن لوعة المصاب أليمة وكوارثه عظيمة ولو يكشف لك عن الملأ الأعلى لسمعت لعالم الملكوت صرخة وحنة وللحور فى غرف الجنان نشيجاً ونحيباً ولأئمة الهدى بكاء وعويلا .

ولا بدع فالفقيد فيه عبق الرسالة وألق الخلافة واكليل تاج الامامة وهو سبط المصطفى وبضعة فاطمة الزهراء وفلذة كبد الوصي المرتضى وشقيق السبط المجتبى وحجة الله على الورى ، نعم هو الآية المخزونة والرحمة الموصولة والأمانة المحفوظة والباب المبتلى به الناس .

فمصابه يقل فيه البكاء ويعز عنه العزاء فلو تطايرت شظايا القلوب وزهقت النفوس جزعاً لذلك الحادث الجلل لكان دون واجبه أو ترى للحياة قيمة والمودى به هو ذلك العنصر الحيوي الزاكي وما قدر الدمع المراق والموتور ثار الله فى الأرض أو يهدأ الكون والذاهب مرساه ومنجاه فى مسراه وهل ترقأ العين وهي ترنو بالبصيرة الى ضحايا آل محمد مجزرين على وجه الصعيد مبضعة أجسادهم بين ضريبة للسيوف ودرية للرماح ورمية للنبال وقد قضوا وهم (رواء الكون) ظماء على ضفة الفرات الجاري تلغ فيه الكلاب وتشرب منه وحش الفلا غير أن آل محمد « ص » محلؤن عنه ، وللمذاكي « عقرن فلا يلوى لهن لجام » تجوال على تلك الصدور الزواكي ولصدر الحسين حديثه الشجي :

وأعظم خطب أن شمراً له على | جناجن صدر ابن النبي مقاعد
فشلت يداه حين يفري بسيفه | مقلد من تلقى اليه المقالد
وأي فتى أضحت خيول امية | تعادى على جثمانه وتطارد
فلهفي له والخيل منهن صادر | خضيب الحوافي من دماه ووارد (١)

فاللازم على الموالي المتأسي بالنبي الأعظم الباكي على ولده بمجرد تذكر مصابه (٢) أن يقيم المأتم على سيد الشهداء ويأمر من في داره بالبكاء عليه وليعز بعضهم بعضاً بالحسين فيقول كما في حديث الباقر عليه السلام :

عظم الله اجورنا واجوركم بمصابنا بالحسين وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليه المهدي من آل محمد عليهم السلام : (٣)

دخل عبد الله بن سنان على أبي عبد الله الصادق عليهم السلام في يوم عاشوراء فرآه كاسف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ فقال له : مم بكاؤك يا ابن رسول الله قال عليه السلام : أو فى غفلة أنت أما علمت أن الحسين اصيب فى هذا اليوم ثم أمره أن يكون كهيئة أرباب المصائب يحلل أزراره ويكشف عن ذراعيه ويكون حاسراً ولا يصوم يوماً كاملا وليكن الافطار بعد العصر بساعة على شربة من ماء ففي ذلك الوقت تجلت الهيجاء عن آل محمد ثم قال عليه السلام : « لو كان رسول الله حياً لكان هو المعزى به » (٤) .

---

(١) للشيخ جعفر الخطى كما فى الدر النضيد ص ٩٣

(٢) الخصائص للسيوطى ج٢ ص ١٢٥ وأعلام النبوة للماوردى ص٨٣

(٣) كامل الزيارات ص١٧٥ ومصباح المتهجد للشيخ الطوسى ص ٥٣٩

(٤) مزار ابن المشهدى من أعلام القرن السادس .

وأما الامام الكاظم فلم ير ضاحكاً أيام العشرة وكانت الكئابة غالبة عليه ويوم العاشر يوم حزنه ومصيبته .

ويقول الرضا عليه السلام : فعلى مثل الحسين فليبك الباكون إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء .

وفي زيارة الناحية يقول حجة آل محمد عجل الله فرجه :

« فلأندبنك صباحاً ومساء ولأبكين عليك بدل الدموع دماً . »

وبعد هذا فهلا يجب علينا أن نخرق ثوب الأسى ونتجلبب بجلباب الحزن والبكاء ونعرف كيف يجب أن نعظم شعائر الله باقامة المأتم للشهيد العطشان في العاشر من المحرم :

اليوم دين الهدى خرت دعائمه	وملة الحق جدت في تداعيها
اليوم ضل طريق العرف طالبه	وسد باب الرجا في وجه راجيها
اليوم عادت بنو الآمال متربه	اليوم بان العفا في وجه عافيها
اليوم شق عليه المجد حلته	اليوم جزت له العليا نواصيها
اليوم عقد المعالي ارفض جوهره	اليوم قد أصبحت عطلى معاليها
اليوم أظلم نادي العز من مضر	اليوم صرف الردى أرسى بواديها
اليوم قامت به الزهراء نادبة	اليوم آسية وافت تواسيها
اليوم عادت لدين الكفر دولته	اليوم نالت بنو هند أمانيها
ما عذر أرجاس هند يوم موقفه	والمصطفى خصمهم والله قاضيها
ما عذرها ودما أبنائه جعلت	خضاب أعيادها في راح ناديها (١)

(١) في شعراء الحلة ج ٥ ص ٤٥٠ أنها للشيخ هادي النحوي المتوفى سنة ١٢٣٥ هجرية .

الحسين يوم عاشوراء

قال ابن قولويه والمسعودي (١) : لما أصبح الحسين يوم عاشوراء وصلى بأصحابه صلاة الصبح قام خطيبا فيهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال .

ثم صفهم للحرب وكانوا اثنين وثمانين ما بين فارس وراجل فجعل زهير بن القين فى الميمنة وحبيب بن مظاهر في الميسرة وثبت هو عليه السلام وأهل بيته في القلب (٢) وأعطى رايته أخاه العباس (٣) لأنه وجد قمر الهاشميين أكفى ممن معه لحملها وأحفظهم لذمامه وأرأفهم به وأدعاهم الى مبدئه وأوصلهم لرحمه وأحماهم لجواره وأثبتهم للطعان وأربطهم جاشاً وأشدهم مراساً (٤) .

وأقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين الفاً وكان رؤساء الأرباع بالكوفة يومئذ : عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي على

(١) كامل الزيارات ص٧٣ وإثبات الوصية ص١٣٩ المطبعة الحيدرية .

(٢) مقتل الخوارزمى ج٢ ص ٤

(٣) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٤١

(٤) اختلف المؤرخون فى عدد أصحاب الحسين « الأول » إنهم إثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلا ذكره الشيخ المفيد فى الارشاد والطبرسى فى أعلام الورى ص ١٤٢ والفتال فى روضة الواعظين ص ١٥٨ وابن جرير —

ربع أهل المدينة ، وعبدالرحمن بن أبي سبرة الحنفي على ربع مذحج وأسد ، وقيس بن الأشعث على ربع ربيعـــة وكندة ، والحر بن يزيد الرياحي على ربع تميم وهمدان وكلهم اشتركوا في حرب الحسين إلا الحر الرياحي .

وجعل ابن سعد على الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن العـــامري وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وعلى الرجالة شبث بن ربعي والراية مع مولاه ذويد (١) .

— في التأريخ ج ٦ ص ٢٤١ وابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٢٤ والقرماني في أخبار الدول ص ١٠٨ والدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٥٤ « الثاني » إنهم إثنان وثمانون رجلا نسبه في الدمعة الساكبة ص ٣٢٧ الى الرواية وهو المختار . « الثالث » ستون رجلا ذكره الدميري في حياة الحيوان في خلافة يزيد ج ١ ص ٧٣ . « الرابع » ثلاثة وسبعون رجلا ذكره الشريشي في شرح مقامات الحريري ج ١ ص ١٩٣ . « الخامس » خمسة وأربعون فارساً ونحو مائة راجل ذكره ابن عساكر كما في تهذيب تأريخ الشام ج ٤ ص ٣٣٧ . « السادس » اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلا ذكره الخوارزمي في المقتل ج ٢ ص ٤ . « السابع » احد وستون رجلا ذكره المسعودي في إثبات الوصية ص ١٣٥ طبع المطبعة الحيدرية . « الثامن » خمسة وأربعون فارساً ومائة راجل ذكره ابن نما في مثير الأحزان ص ٢٨ وفي اللهوف ص ٥٦ أنه المروي عن الباقر عليه السلام . « التاسع » اثنان وسبعون رجلا ذكره الشـــبراوي في الاتحاف بحب الأشراف ص ١٧ . « العاشر » ما في مختصر تأريخ دول الاسلام للذهبي ج ١ ص ٣١ أنه عليه السلام : سار في سبعين فارساً من المدينة .

(١) تأريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤١

وأقبلوا يجولون حول البيوت فيرون النار تضطرم في الخندق فنادى شمر بأعلا صوته : يا حسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة فقال الحسين : من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن قيل نعم فقال عليه السلام : يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها مني صليا ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين وقال أكره أن أبدأهم بقتال (١) .

دعاء الحسين

ولما نظر الحسين (ع) الى جمعهم كأنه السيل رفع يديه بالدعاء وقال :

اللهم أنت ثقتي فى كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته اليك رغبة مني اليك عمن سواك فكشفته وفرجته فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة (٢) .

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد وتأريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٤٢

(٢) إبن الأثير فى الكامل ج ٤ ص ٢٥ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٣ ، وذكر الكفعمى فى المصباح ص ١٥٨ طبع الهند : ان النبى «ص» دعا به يوم بدر .

الخطبة الاولى

ثم دعا براحلته فركبها و نادى بصوت عال يسمعه جلهم :

أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ وحتى أعتذر اليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهن فأرسل اليهن أخاه العباس وابنه علي الأكبر وقال لهما : سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن .

ولما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه (١) .

ثم قال : الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفه بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن اليها وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤٢ .

اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحل بكم نقمته وجنبكم رحمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد (ص)، ثم انكم زحفتم الى ذريته وعترته تريدون قتلهم لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون إنا لله وإنا اليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين (١).

أيها الناس انسبوني من أنا ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أوليس جعفر الطيار عمي، أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب اهل الجنة، فان صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبرونكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي.

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك.

ثم قال الحسين (ع): فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون

---

(١) مقتل محمد بن ابى طالب.

إني ابن بنت نبيكم فوالله ما بيّن المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة ، فأخذوا لا يكلمونه .

فنادى : يا شبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا زيد بن الحارث ألم تكتبوا إلي أن أقدم قد أينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة ؟ .

فقالوا : لم نفعل .

قال : سبحان الله بلى والله لقد فعلتم . ثم قال : أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم الى مأمني من الأرض ، فقال له قيس ابن الأشعث : أولا تنزل على حكم بني عمك ؟ فانهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل اليك منهم مكروه .

فقال الحسين عليه السلام : أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد (١) عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون أعوذ

---

(١) بالفاء الموحدة فيهما رواه ابن نما فى مثير الأحزان ص ٢٦ وهو أصح مما يمضى على الألسن ويوجد فى بعض المقاتل بالقاف من الإقرار لأنه على هذا تكون الجملة الثانية غير مفيدة إلا ما أفادته التى قبلها بخلافه على قراءة « الفرار » فان الجملة الثانية تفيد انه لا يفر من الشدة والقتل كما يصنعه العبيد وهو معنى غير ما تؤدى اليه الجملة التى قبلها على انه يوجد فى كلام امير المؤمنين ما يشهد له ، ففى تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٨ ونهج البلاغة ج ١ ص ١٠٤ المطبعة الأميرية : ان امير المؤمنين قال فى مصقلة بن هبيرة لما فر الى معاوية : ماله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر .

بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب .

ثم أناخ راحلته وأمر عقبة سمعان فعقلها (١) .

وقام لسان الله يخطب واعظاً فصموا لما عن قدس أنواره عموا
وقال انسبوني من أنا اليوم وانظروا حلالاً لكم مني دمي أم محرم
فما وجدوا إلا السهام بنحره تراش جوابا والعوالي تقوم
ومذ أيقن السبط انمحى دين جده ولم يبق بين الناس في الأرض مسلم
فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً عن المسلمين الغامرات ليسلموا
وقال خذيني يا حتوف وهاك يا سيوف فأوصالي لك اليوم مغنم
وهيهات أن أغدوا على الضيم جاثماً ولو لا على جمر الأسنة مجثم
وكر وقد ضاق الفضا وجرى القضا وسال بوادي الكفر سيل عرمرم
ومذ خر بالتعظيم لله ساجداً له كبروا بين السيوف وعظموا
وجاء اليه الشمر يرفع رأسه فقام به عنه السنان المقوم
وزعزع عرش الله وانحط نوره فاشرق وجه الأرض والكون مظلم
ومذ مال قطب الكون مال وأوشك انقلاباً بميل الكائنات ويعدم
وحين ثوى في الأرض قر قرارها وعادت ومن أوج السما وهي أعظم
فلهفي له فرداً عليه تزاحمت جموع العدى تزداد جهلا فيحلم
ولهفي له ظام يجود وحوله الفرات جرى طام وعنه يحرم
ولهفي له ملقى وللخيل حافر يجول على تلك الضلوع ويدسم
ولهفي على أعضاك يا ابن محمد توزع في أسيافهم وتسهم
فجسمك ما بين السيوف موزع ورحلك ما بين الأعادي مقسم

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤٣ .

فلهفي على ريحانة الطهر جسمه   لكل رجيم بالحجارة يرجم (١)

كرامة وهداية

وأقبل القوم يزحفون نحوه وكان فيهم عبدالله بن حوزة التميمي (٢) فصاح : أفيكم حسين ؟ وفي الثالثة قال اصحاب الحسين : هذا الحسين فما تريد منه قال : يا حسين ابشر بالنار قال الحسين : كذبت بل أقدم على رب غفور كريم مطاع شفيع فمن أنت ؟ قال : أنا ابن حوزة ، فرفع الحسين يديه حتى بان بياض ابطيه وقال : اللهم حزه الى النار ، فغضب ابن حوزة وأقحم الفرس اليه وكان بينهما نهر فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها وانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر معلقاً بالركاب وأخذت الفرس تضرب به كل حجر وشجر حتى مات .

قال مسروق بن وائل الحضرمي : كنت في أول الخيل التي تقدمت لحرب الحسين لعلي أن أصيب رأس الحسين فأحظى به عند ابن زياد ، فلما رأيت ما صنع بابن حوزة عرفت ان لأهل هذا البيت حرمة ومنزلة عند الله وتركت الناس وقلت : لا أقاتلهم فأكون في النار (٣) .

---

(١) من قصيدة لآية الله الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ذكرت بتمامها فى كتاب « قمر بنى هاشم » للمؤلف ص ١٥٧ .

(٢) فى مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ١٩٣ ابن جويرة أو جويزة .

(٣) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢٧ .

خطبة زهير بن القين

وخرج اليهم زهير بن القين على فرس ذنوب وهو شاك في السلاح فقال : يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن اخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منا أهل فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا امة وانتم امة إن الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد (ص) لينظر ما نحن وأنتم عاملون إنا ندعوكم الى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيدالله ابن زياد فانكم لا تدركون منهما إلا سوء عمر سلطانهما ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي واصحابه وهاني بن عروة وأشباهه ، فسبوه وأثنوا على عبيدالله بن زياد ودعوا له وقالوا : لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه الى عبيد الله بن زياد سلما .

فقال زهير : عباد الله ان ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فان لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد فلعمري انه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين (ع) .

فرماه الشمر بسهم وقال : اسكت أسكت الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك .

فقال زهير : يابن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب إنما انت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم .

فقال الشمر : إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة .

فقال زهير : أفبالموت تخوفني ؟ فوالله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم ، ثم أقبل على القوم رافعاً صوته وقال :

عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هـذا الجلف الجافي وأشباهه فوالله لا تنال شفاعة محمد (ص) قوماً هرقوا دماء ذريته واهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم .

فناداه رجل من اصحابه ان أبا عبدالله يقول لك : اقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ فى الدعاء فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والابلاغ (١) .

خطبة برير

واستأذن الحسين برير بن خضير (٢) فى أن يكلم القوم فأذن له وكان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن ومن شيوخ القراء فى جامع الكوفة

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٤٣ .

(٢) قال ابن الأثير فى الكامل ج ٤ ص ٣٧ برير بالباء الموحدة وفتح الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره راء وخضير بالخاء والضاد المعجمتين .

وله في الهمدانيين شرف وقدر .

فوقف قريباً منهم ونادى : يا معشر الناس إن الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله وسراجاً منيراً ، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله أفجزاء محمد هذا ؟

فقالوا : يا برير قد أكثرت الكلام فاكفف عنا فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله .

قال : يا قوم ان ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم ؟

فقالوا : نريد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى فيهم رأيه .

قال : أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا الى المكان الذي جاؤا منه ؟ ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها ويلكم أدعوتم اهل بيت نبيكم وزعمتم انكم تقتلون انفسكم دونهم حتى اذا أتوكم أسلمتموهم الى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات بئسما خلفتم نبيكم فى ذريته ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم أنتم .

فقال له نفر منهم : يا هذا ما ندري ما تقول .

قال : الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة اللهم إني أبرأ اليك من فعال هؤلاء القوم اللهم الق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان .

فجعل القوم يرمونه بالسهام فتقهقر (١) .

---

(١) البحار ج ١٠ عن محمد بن ابى طالب .

خطبة الحسين الثانية

ثم ان الحسين (ع) ركب فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ووقف بأزاء القوم وقال : يا قوم ان بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله « ص » (١) .

ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبي (ص) ودرعه وعمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عما أقدمهم على قتله قالوا : طاعة للأمير عبيدالله بن زياد ، فقال عليه السلام :

تباً لكم أيتها الجماعة وترحا أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ولكن أسرعتم اليها كطيرة (٢) الدبا وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها فسحقاً لكم يا عبيد الأئمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الاثم ونفثة الشيطان ومطفى السنن ويحكم أهولاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه اصولكم وتأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمر

---

(١) تذكرة الخواص ص ١٤٣ .

(٢) بالكسر فالفتح « تاج العروس » .

شجى للناظر وأكلة للغاصب .

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا واني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر ثم أنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي (١) :

---

(١) نقلناها من اللهوف ص ٥٤ ورواها ابن عساكر فى تاريخ الشام ج ٤ ص ٣٣٣ والخوارزمى فى المقتل ج ٢ ص ٦ وفى نقلهما خلاف لما هنا وقال ابن حجر فى الإصابة ج ٣ ص ٢٠٥ : وفد فروة بن مسيك بالتصغير على النبي « ص » سنة تسع مع مذحج واستعمله النبي على مراد ومذحج وزبيد ، وفى الإستيعاب سكن الكوفة أيام عمر وذكر ابن هشام فى السيرة بهامش الروض الانف ج ٢ ص ٣٤٤ لما كانت الوقعة بين مراد وهمدان أنشأ أبياتاً تسعة ولم يكن فيها البيت الثالث والرابع وفى اللهوف ذكر سبعة مع البيتين ، وفى الأغانى ج ١٩ ص٤٩ نسب الفرزدق الى خاله العلاء بن قرظة قوله :

اذا ما الدهر جر على اناس   بكلكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين . . . الخ .

وذكر ابن عساكر فى تاريخ الشام ج ٤ ص ٣٣٤ والخوارزمى فى المقتل ج ٢ ص ٧ الاول والثانى ولم ينسباهما الى أحد .

ونسبهما المرتضى فى الأمالي ج ١ ص ١٨٦ الى ذى الاصبع العدوانى وفى عيون الأخبار لإبن قتيبة ج ٣ ص ١١٤ وشرح الحماسة للتبريزى ج ٣ ص ١٩١ للفرزدق .

فان نهزم فهزامون قدماً | وإن نهزم فغير مهزمينا
وما أن طبنا (١) جبن ولكن | منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا | سيلقى الشامتون كما لقينا
اذا ما الموت رفع عن اناس | بكلكله أناخ بآخرينا

أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إلي أبي عن جدي رسول الله « فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم » (٢).

ثم رفع يديه نحو السماء وقال : اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة فانهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا واليك المصير (٣).

والله لا يدع أحداً منهم إلا انتقم لي منه قتلة بقتلة وضربة بضربة وانه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي (٤).

— وفى الحماسة البصرية للسيوطى ص ٣٠ إنهما من قصيدة فروة بن مسيك ويرويان لعمر بن قعاس.

(١) الطب بالكسر : العلة والسب.

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٤ ، والمقتل للخوارزمى ج ٢ ص ٧ واللهوف ص ٥٤.

(٣) اللهوف ص ٥٦ ط صيدا والمقتل للخوارزمى ج ٢ ص ٧.

(٤) مقتل العوالم ص ٨٤.

ضلال ابن سعد

واستدعا عمر ابن سعد فدعي له وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه فقال : أي عمر أتزعم انك تقتلني ويوليك الدعي بلاد الري وجرجان والله لا تتهنأ بذلك عهد معهود فاصنع ما أنت صانع فانك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة وكأني برأسك على قصبة يتراماه الصبيان بالكوفة ويتخذونه غرضاً بينهم فصرف بوجهه عنه مغضباً (١) .

توبة الحر

ولما سمع الحر بن يزيد الرياحي كلامه واستغاثته أقبل على عمر بن سعد وقال له : أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : أي والله قتالا أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي قال : ما لكم فيما عرضه عليكم من الخصال ؟ فقال : لو كان الأمر إلي لقبلت ولكن أميرك أبى ذلك ، فتركه ووقف مع الناس وكان الى جنبه قرة بن قيس فقال لقرة : هل سقيت فرسك اليوم ؟ قال : لا قال : فهل تريد أن تسقيه ؟ فظن قرة من ذلك انه يريد الاعتزال ويكره أن يشاهده فتركه فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلا فقال له المهاجر

---

(١) تظلم الزهراء ص ١١٠ والعوالم ص ٨٤ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٨ .

ابن أوس : أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأخذته الرعدة ، فارتاب المهاجر من هذا الحال وقال له : لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فما هذا الذي أراه منك ؟ فقال الحر : إني أخير نفسي بين الجنة والنار والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو احرقت ، ثم ضرب جواده نحو الحسين (١) منكساً برأسه حياء من آل الرسول بما أتى اليهم وجعجع بهم فى هذا المكان على غير ماء ولا كلاء رافعاً صوته :

« اللهم اليك انيب فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك يا أبا عبدالله اني تائب فهل لي من توبة » .

فقال الحسين (ع) : نعم يتوب الله عليك (٢) فسره قوله وتيقن الحياة الأبدية والنعيم الدائم ووضح له قول الهاتف لما خرج من الكوفة فحدث الحسين (ع) بحديث قال فيه : لما خرجت من الكوفه نوديت أبشر يا حر بالجنة فقلت : ويل للحر يبشر بالجنة وهو يسير الى حرب ابن بنت رسول الله (٣) .

فقال له الحسين (ع) : لقد أصبت خيراً وأجراً (٤) .

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٤٤ .

(٢) اللهوف ص ٥٨ وأمالي الصدوق ص ٩٧ مجلس ٣٠ وروضة الواعظين ص ١٥٩ .

(٣) أمالي الصدوق ص ٩٣ مجلس ٣٠ .

(٤) مثير الأحزان لإبن نما ص ٣١ .

نصيحة أهل الكوفة

ثم استأذن الحسين في أن يكلم القوم فأذن له فنادى بأعلى صوته :

يا أهل الكوفة لامكم الهبل والعبر (١) إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه الى بلاد الله العريضة حتى يأمن وأهل بيتـــه وأصبح كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وحلأتموه ونساءه وصبيته وصحبه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وهاهم قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمداً في ذريته لاسقاكم الله يوم الظما ، فحملت عليه رجاله ترميه بالنبل فتقهقر حتى وقف أمام الحسين (٢) .

الحملة الاولى

وتقدم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين ورمى بسهم وقال : اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى ثم رمى الناس (٣) فلم يبق من اصحابه

---

(١) الهبل بالتحريك : الثكل ، والعبر بالفتح : الحزن وجريان الدمعة كاستعبر تاج العروس .

(٢) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٧ .

(٣) الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٧ .

الحسين أحد إلا أصابه من سهامهم (١) فقال عليه السلام لأصحابه : قوموا رحمكم الله الى الموت الذي لا بد منه فان هذه السهام رسل القوم اليكم فحمل أصحابه حملة واحدة (٢) واقتتلوا ساعة فما انجلت الغبرة إلا عن خمسين صريعاً (٣) .

سطت ورحى الهيجاء تطحن شوسها ووجه الضحى في نقعها منتقب
تهلل بشراً بالقراع وجوهها وكم وجه ضرغام هناك مقطب
وتلتذ ان جاءت لها السمر تلتوي وللبيض ان سلت لدى الضرب تطرب
أعزاء لا تلوي الرقاب لفادح ولا من الوف فى الكريهة ترهب
فما لسوى العلياء تاقت نفوسهم ولم تك في شيء سوى العز ترغب
فلو أن مجداً فى الثريا لحقت اليه وشأن الشهم للمجد يطلب
فأسيافهم يوم الوغى تمطر الدما وأيديهم من جودها الدهر مخصب
وما برحت تقري المواضي لحومها ومن دمها السمر العواسل تشرب
الى أن تهاوت كالكواكب في الثرى وما بعدهم ياليت لالاح كوكب (٤)

تهاووا فقل زهر النجوم تهافتت
وأهووا فقل شم الجبال تهدم (٥)

---

(١) مقتل العوالم ص ٨٤ .

(٢) اللهوف ص ٥٦ .

(٣) البحار عن محمد بن أبى طالب .

(٤) من قصيدة للشيخ حسون الحلى « شعراء الحلة » ج ٢ ص ١٠٤ .

(٥) من قصيدة للحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره طبعت فى كتاب « قمر بنى هاشم » .

وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله بن زياد فطلبا البراز فوثب حبيب وبرير فلم يأذن لهما الحسين فقام عبد الله بن عمير الكلبي من « بني عليم » وكنيته أبو وهب وكان طويلا شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين شريفاً في قومه شجاعاً مجرباً فأذن له وقال : أحسبه للأقران قتالا فقالا له من أنت ؟ فانتسب لهما فقالا : لا نعرفك ليخرج الينا زهير أو حبيب أو برير وكان يسار قريباً منه فقال له : يا ابن الزانية أوبك رغبة عن مبارزتي ثم شد عليه بسيفه يضربه وبينا هو مشتغل به إذ شد عليه سالم فصاح أصحابه قد رهقك العبد فلم يعبأ به فضربه سالم بالسيف فاتقاها عبدالله بيده اليسرى فأطار أصابعه ومال عليه عبد الله فقتله وأقبل الى الحسين يرتجز وقد قتلهما.

وأخذت زوجته ام وهب بنت عبدالله من النمر بن قاسط عموداً وأقبلت نحوه تقول له : فداك أبي وامي قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأراد أن يردها الى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول : لن أدعك دون أن أموت معك فناداها الحسين جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعي الى الخيمة فانه ليس على النساء قتال فرجعت (١) .

مبارزة الاثنين والاربعة

ولما نظر من بقي من أصحاب الحسين الى كثرة من قتل منهم أخذ الرجلان والثلاثة والأربعة يستأذنون الحسين في الذب عنه والدفع عن

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٥ وابن الأثير ج ٤ ص ٢٧

حرمه وكل يحمي الآخر من كيد عدوه فخرج الجابريان وهما : سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع وهما ابنا عم واخوان لام وهما يبكيان قال ما يبكيكما إني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين قالا جعلنا الله فداك ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك نراك قد احيط بك ولا نقدر أن ننفعك فجزاهما الحسين خيراً فقاتلا قريباً منه حتى قتلا (١) وجاء عبدالله وعبد الرحمن إبنا عروة الغفاريان فقالا : قد حازنا الناس اليك فجعلا يقاتلان بين يديه حتى قتلا .

وخرج عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلماني ومجمع بن عبد الله العائذي (٢) وشدوا جميعاً على أهل الكوفة فلما أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس وقطعوهم عن أصحابهم فندب اليهم الحسين أخاه العباس فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو فشدوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح وقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد (٣) .

استغاثة وهداية

ولما نظر الحسين كثرة من قتل من أصحابه قبض على شيبته المقدسة

---

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٩

(٢) فى الاصابة ج ٣ ص ٩٤ قسم ٣ مجمع بن عبد الله بن مجمع بن مالك ابن أياس بن عبد مناة بن سعد قتل مع الحسين بن علي عليه السلام بالطف ولأبيه ادراك .

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٥

وقال : اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم أما والله لا اجيبهم الى شيء مما يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي ثم صاح أما من مغيث يغيثنا أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله (١) فبكت النساء وكثر صراخهن .

وسمع الأنصاريان سعد بن الحارث وأخوه ابو الحتوف استنصار الحسين واستغاثته وبكاء عياله وكانا مع ابن سعد فمالا بسيفهما على أعداء الحسين وقاتلا حتى قتلا (٢) .

ثبات الميمنة

وأخذ أصحاب الحسين بعد أن قل عددهم وبان النقص فيهم يبرز الرجل بعد الرجل فأكثروا القتل في أهل الكوفة فصاح عمرو بن الحجاج بأصحابه : أ تدرون من تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين لا يبرز اليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم فقال عمر بن سعد : صدقت الرأي ما رأيت أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم ولو خرجتم اليهم وحداناً لأتوا عليكم (٣) .

---

(١) اللهوف ص ٥٧

(٢) الحدايق الوردية مخطوط .   (٣) الطبرى ج ٦ ص ٢٤٩

ثم حمل عمرو بن الحجاج على ميمنة الحسين فثبتوا له وجثوا على الركب وأشرعوا الرماح فلم تقدم الخيل فلما ذهبت الخيل لترجع رشقهم أصحاب الحسين بالنبل فصرعوا رجالا وجرحوا آخرين (١) .

وكان عمرو بن الحجاج يقول لأصحابه : قاتلوا من مرق عن الدين وفارق الجماعة فصاح الحسين : ويحك يا حجاج أعلي تحرض الناس أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ستعلمون اذا فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصلي النار (٢) .

مسلم بن عوسجة

ثم حمل عمرو بن الحجاج من نحو الفرات فاقتتلوا ساعة وفيها قاتل مسلم بن عوسجة فشد عليه مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الله بن خشكارة البجلي وثارت لشدة الجلاد غبرة شديدة وما انجلت الغبرة إلا ومسلم صريعاً وبه رمق فمشى اليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر فقال له الحسين : رحمك الله يا مسلم منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ودنا منه حبيب وقال : عز علي مصرعك يا مسلم إبشر بالجنة فقال بصوت ضعيف بشرك الله بخير قال حبيب : لو لم أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصي إلي بما أهمك فقال مسلم : اوصيك بهذا وأشار الى الحسين أن تموت دونه

(١) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢٧

(٢) البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٨٢

قال : أفعل ورب الكعبة وفاضت روحه بينهما وصاحت جارية له وا مسلماه يا سيداه يا ابن عوسجتاه فتنادى أصحاب ابن الحجاج قتلنا مسلماً .

فقال شبث بن ربعي لمن حوله : ثكلتكم امهاتكم أيقتل مثل مسلم وتفرحون لرب موقف له كريم في المسلمين رأيته يوم « أذربيجان » وقد قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين (١) .

الميسرة

وحمل الشمر في جماعة من أصحابه على ميسرة الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلا وشد عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يده اليمنى (٢) وقطع بكر بن حي ساقه .

فاخذ أسيراً وقتل صبراً (٣) فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول : هنيئاً لك الجنة إسأل الله رزقك الجنة أن يصحبني معك فقال الشمر لغلامه رستم اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت

(١) تأريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٤٩

(٢) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢١٧

(٣) حكى عن ابن الأثير وفى مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ١٣ أن شماله قطعت بعد أن قطعت يمينه .

(٤) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢١٧

مكانها وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين (١) .

وقطع رأسه ورمى به الى جهة الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه ثم أخذت عمود خيمة و برزت الى الأعداء فردها الحسين وقال ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد فرجعت وهي تقول : اللهم لا تقطع رجائي فقال الحسين لا يقطع رجاك (٢) .

وحمل الشمر حتى طعن فسطاط الحسين بالرمح وقال علي بالنار لأحرقه على أهله فتصايحت النساء وخرجن من الفسطاط وناداه الحسين يا ابن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي أحرقك الله بالنار وقال له شبث ابن ربعي : أمرعباً للنساء صرت ما رأيت مقالا أسوأ من مقالك ولا موقفاً أقبح من موقفك فاستحى وانصرف .

وحمل على جماعته زهير بن القين في عشرة من أصحابه حتى كشفوهم عن البيوت (٣) .

عزرة يستمد الرجال

ولما رأى عزرة بن قيس وهو على الخيل الوهن فى أصحابه والفشل كلما يحملون بعث الى عمر بن سعد يستمده الرجال فقال ابن سعد لشبث بن

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٥١ .

(٢) تظلم الزهراء ص ١١٣

(٣) تأريخ الطبرى ص ٢٥١ ج ٦

ربعي ألا تقدم اليهم قال يا سبحان الله تكلف شيخ المصر وعندك من يجزى عنه ولم يزل شبث بن ربعي كارهاً لقتال الحسين وقد سمع يقول: قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين ثم عدونا على ولده وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يا لك من ضلال والله لايعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد (١) فمده بالحصين بن نمير في خمسمائة من الرماة واشتد القتال وأكثر أصحاب الحسين فيهم الجراح حتى عقروا خيولهم وأرجلوهم (٢) ولم يقدروا أن يأتوهم من وجه واحد لتقارب أبنيتهم فأرسل ابن سعد الرجال ليقوضوها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخللون البيوت فيشدون على الرجل وهو ينهب فيقتلونه ويرمونه من قريب فيعقرونه ،

فقال ابن سعد أحرقوها بالنار فأضرموا فيها النار فصاحت النساء ودهشت الأطفال فقال الحسين: دعوهم يحرقونها فانهم اذا فعلوا ذلك لم يجوزوا اليكم فكان كما قال (٣).

أبو الشعثاء

وكان أبو الشعثاء الكندي وهو يزيد بن زياد مع ابن سعد فلما ردوا

(١) تأريخ الطبري صفحة ٢٥٠ جزء ٦

(٢) أعلام الورى صفحة ١٤٥ وابن الأثير جزء ٤ صفحة ٢٨

(٣) ابن الأثير جزء ٤ صفحة ٢٨

الشروط على الحسين صار معه وكان رامياً فجثا على ركبتيه بين يدي الحسين ورمى بمائة سهم والحسين يقول : اللهمّ سدد رميته واجعل ثوابه الجنة . فلما نفذت سهامه قام وهو يقول : لقد تبين لي أني قتلت منهم خمسة (١) ثم حمل على القوم فقتل تسعة نفر وقتل (٢) .

الزوال

والتفت أبو ثمامة الصائدي (٣) الى الشمس قد زالت فقال للحسين : نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك لا والله لا تقتل حتى اقتل دونك واحب أن ألقى الله وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها فرفع الحسين رأسه الى السماء وقال : ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذكرين نعم هذا أول وقتها سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي فقال الحصين : إنها لا تقبل .

---

(١) الطبرى جزء ٦ صفحة ٢٥٥

(٢) أمالي الصدوق صفحة ٩٧ مجلس ٣٠ وفى ذخيرة الدارين قتل تسعة عشر رجلا .

(٣) فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم صفحة ٣٧٢ والاكليل للهمدانى جزء ١٠ صفحة ٩٧ أبو ثمامة هو : زياد بن عمرو بن عريب بن حنظلة بن دارم الصائدى قتل مع الحسين وفى تأريخ الطبرى جزء ٦ صفحة ١٥١ وزيارة الناحية المقدسة أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدى وفى اللباب —

حبيب بن مظاهر

فقال حبيب بن مظاهر : زعمت أنها لا تقبل من آل الرسول وتقبل منك يا حمار فحمل عليه الحصين فضرب حبيب وجه فرسه بالسيف فشبت به ووقع عنه واستنقذه أصحابه فحملوه وقاتلهم حبيب قتالا شديداً فقتل على كبره اثنين وستين رجلا وحمل عليه بديل بن صريم فضربه بسيفه وطعنه آخر من تميم برمحه الى الأرض فذهب ليقوم واذا الحصين يضربه بالسيف على رأسه فسقط لوجهه ونزل اليه التميمي واحتز رأسه فهد مقتله الحسين فقال عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي (١) واسترجع كثيراً .

الحر الرياحي

وخرج من بعده الحر بن يزيد الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره فكان اذا شد أحدهما واستلحم شد الآخر واستنقذه ففعلا ساعة (٢) وإن فرس الحر لمضروب على اذنيه وحاجبيه والدماء تسيل

ـــ لابن الأثير جزء ٢ صفحة ٤٦ الصائدى نسبة الى صائد بطن من همدان واسم صايد كعب بن شرحبيل اخ .

(١) ابن الأثير جزء ٤ صفحة ٢٩ وتاريخ الطبرى جزء ٦ صفحة ٢٥١

(٢) الطبرى جزء ٦ صفحة ٢٥٢ والبداية جزء ٨ صفحة ١٨٣

منه وهو يتمثل بقول عنترة :

ما زلت أرميهم بثغرة نحره

ولبانه حتى تسربل بالـــدم

فقال الحصين ليزيد بن سفيان : هذا الحر الذي كنت تتمنى قتله ، قال نعم وخرج اليه يطلب المبارزة فما أسرع أن قتله الحر ثم رمى أيوب ابن مشرح الخيواني فرس الحر بسهم فعقره وشب به الفرس فوثب عنه كأنه ليث (١) وبيده السيف وجعل يقاتل راجلا حتى قتل نيفاً وأربعين (٢) ثم شدت عليه الرجالة فصرعته وحمله أصحاب الحسين عليه السلام ووضعوه أمام الفسطاط الذي يقاتلون دونه وهكذا يؤتى بكل قتيل الى هذا الفسطاط والحسين يقول : قتلة مثل قتلة النبيين وآل النبيين (٣) ثم التفت الى الحر وكان به رمق فقال له وهو يمسح الدم عنه : أنت الحر كما سمتك امك وأنت الحر فى الدنيا والآخرة ورثاه رجل من أصحاب الحسين وقيل علي بن الحسين (٤) وقيل إنها من إنشاء الحسين خاصة (٥) :

---

(١) تأريخ الطبري الجزء السادس صفحة ٢٤٨ وصفحة ٢٥٠

(٢) مناقب ابن شهراشوب الجزء الثانى صفحة ٢١٧

(٣) هذا فى تظلم الزهراء صفحة ١١٨ والبحار الجزء العاشر صفحة ١١٧ والجزء الثالث عشر صفحة ١٣٥ عن غيبة النعمانى وفى تأريخ الطبرى الجزء السادس صفحة ٢٥٦ وابن الأثير الجزء الرابع صفحة ٣٠ وإرشاد المفيد وضع فسطاطاً فى الميدان .

(٤) مقتل العوالم صفحة ٨٥

(٥) روضة الواعظين صفحة ١٦٠ وأمالي الصدوق صفحة ٩٧ مجلس ٣٠ .

لنعم الحـــر حر بني رياح   صـبور عند مشتبك الرماح
ونعم الحر إذ فادى حسيناً   وجاد بنفسه عند الصباح

الصلاة

وقام الحسين الى الصلاة ، فقيل إنه صلى بمن بقي من أصحابه صلاة الخوف وتقدم أمامه زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي في نصف من أصحابه (١) ويقال إنه صلى وأصحابه فرادى بالايماء (٢) :

وصلاة الخوف حاشاها فما   روعت والموت منها كان قابا
ما لواها الموقف الدامي وما   صدها الجيش ابتعاداً واقترابا
زحفت ضامئة والشمس من   حرها تلتهب الأرض التهابا
هزت الجيش وقد ضاقت به   عرصة الطف سهولا وهضابا
سائل الميـدان عنها سترى   كيف أرضته طعاناً وضرابا
كيف حامت حرم الله فما   خدشت عزاً ولا والت جنابا

(١) مقتل العوالم صفحة ٨٨ ومقتل الخوارزمى الجزء الثانى صفحة ١٧ والذي أراه أن صلاة الحسين كانت قصراً ، لأنه نزل كربلاء فى الثانى من المحرم ومن أخبار جـده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مضافاًالى علمه بأنه يقتل يوم عاشوراء لم يستطع أن ينوى الاقامة إذ لم تكمل له عشرة أيام وتخيل من لا معرفة له بذلك أنه صلى صلاة الخوف .

(٢) مثير الأحزان لابن نما صفحة ٤٤

كيف دون الله راحت تدرأ بهواديها سهاماً وكعابا (١)

ولما اثخن سعيد بالجراح سقط الى الأرض وهو يقول : اللهم العنهم لعن عاد وثمود وأبلغ نبيك مني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فاني أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك صلى الله عليه وآله وسلم (٢) والتفت الى الحسين قائلا : أوفيت يا ابن رسول الله ؟ قال نعم أنت أمامي في الجنه (٣) وقضى نحبه فوجد ثلاثة عشر سهما غير الضرب والطعن (٤).

ولما فرغ الحسين من الصلاة قال لأصحابه: يا كرام هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم فحاموا عن دين الله ودين نبيه وذبوا عن حرم الرسول فقالوا : نفوسنا لنفسك الفداء ودماؤنا لدمك الوقاء فوالله لا يصل اليك والى حرمك سوء وفينا عرق يضرب (٥).

الخيل تعقر

ثم أن عمر بن سعد وجه عمرو بن سعيد في جماعة من الرماة فرموا أصحاب الحسين وعقروا خيولهم (٦) ولم يبق مع الحسين فارس إلا الضحاك

---

(١) للسيد محمد بن آية الله السيد جمال الگلپايكانى.

(٢) مقتل العوالم صفحة ٨٨

(٣) ذخيرة الدارين صفجة ١٧٨ (٤) اللهوف صفحة ٦٢

(٥) أسرار الشهادة صفحة ٢٧٥

(٦) مثير الأحزان لابن نما صفحة ٣٤

ابن عبيدالله المشرقي يقول : لما رأيت خيل أصحابنا تعقر أقبلت بفرسي وأدخلتها فسطاطاً لأصحابنا واقتتلوا أشد القتال (١) وكان كل من أراد الخروج ودع الحسين بقوله : السلام عليك يا ابن رسول الله فيجيبه الحسين وعليك السلام ونحن خلفك ثم يقرأ : « ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » (٢) .

أبو ثمامة

وخرج أبو ثمامـة الصائدي فقاتل حتى أثخن بالجراح وكان مع عمر بن سعد ابن عم له يقال له قيس بن عبدالله بينهما عداوة فشد عليه وقتله .

زهير وابن مضارب

وخرج سلمان بن مضارب البجلي وكان ابن عم زهير بن القين فقاتل حتى قتل ، وخرج بعده زهير بن القين فوضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً :

أقدم هديت هادياً مهدياً فاليوم ألقى جـدك النبيا

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٥ .

(٢) مقتل العوالم ص ٨٥ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٢٥ .

وحسناً والمرتضي عليـا وذا الجناحين الفتى الـكميا
وأسد الله الشهيد الحيا

فقال الحسين : وأنا ألقاهما على أثرك وفي حملاته يقول :

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين

فقتل مائة وعشرين ثم عطف عليه كثير بن عبدالله الشعبي والمهاجر ابن أوس فقتلاه ، فوقف الحسين وقال : لا يبعدنك الله يا زهير ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير (١) .

عمرو بن قرظة

وجاء عمرو بن قرظة الأنصاري (٢) ووقف أمام الحسين يقيـه من العدو ويتلقى السهام بصدره وجبهته فلم يصل الى الحسين سوء ولما كثر فيه الجراح التفت الى أبي عبدالله وقال : أوفيت يابن رسول الله ؟ قال : نعم أنت أمامي في الجنة فأقرأ رسول الله مني السلام واعلمه اني فى الأثر وخر ميتاً (٣) .

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٣ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) فى جمهرة أنساب العرب لإبن حزم ص ٣٤٥ : كان لقرظة بن عمرو المعروف بإبن الاطنابة الشاعر ابنان عمرو قتل مع الحسين وآخر مع ابن سعد ولم يسمه .

(٣) مقتل العوالم ص ٨٨ .

فنادى أخوه علي وكان مع ابن سعد : يا حسين يا كذاب غررت أخي حتى قتلته فقال عليه السلام : إني لم أغر أخاك ولكن الله هداه وأضلك فقال قتلني الله إن لم أقتلك ثم حمل على الحسين ليطعنه فاعترضه نافع ابن هلال الجملي فطعنه حتى صرعه فحمله أصحابه وعالجوه وبرأ (١) .

نافع الجملي

ورمى نافع بن هلال الجملي المذحجي بنبال مسمومة كتب اسمه عليها (٢) وهو يقول (٣) :

أرمي بها معلمة أفواقها مسمومة تجري بها أخفاقها
ليملأن أرضها رشاقها والنفس لا ينفعها إشفاقها

فقتل اثني عشر رجلا سوى من جرح ولما فنيت نباله جرد سيفه يضرب فيهم فأحاطوا به يرمونه بالحجارة والنصال حتى كسروا عضديه وأخذوه أسيراً فأمسكه الشمر ومعه أصحابه يسوقونه فقال له ابن سعد :

---

(١) إبن الأثير ج ٤ ص ٢٧ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٣ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢٩ والبداية ج ٨ ص ١٨٤ .

(٣) مقتل العوالم ص ٩٠ وذكر ابن كثير في البداية ج ٨ ص ١٨٤ الشطر الأول والرابع ، ومثله في رواية الصدوق في الأمالي ص ٩٨ مجلس ٣٠ وسماه هلال بن حجاج .

ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ قال : إن ربي يعلم ما أردت فقال له رجل وقد نظر الى الدماء تسيل على وجهه ولحيته : أما ترى ما بك ؟ فقال : والله لقد قتلت منكم اثني عشر رجلا سوى من جرحت وما ألوم نفسي على الجهد ولو بقيت لي عضد ما أسرتموني (١) وجرد الشمر سيفه فقال له نافع : والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه ثم قدمه الشمر وضرب عنقه (٢) .

واضح وأسلم

ولما صرع واضح التركي مولى الحرث المذحجي استغاث بالحسين فأتاه أبو عبدالله واعتنقه فقال : من مثلي وابن رسول الله (ص) واضع خده على خدي ثم فاضت نفسه الطاهرة (٣) .

ومشى الحسين الى أسلم مولاه واعتنقه وكان به رمق فتبسم وافتخر بذلك ومات (٤) .

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٣ .

(٢) البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٨٤ ، والطبرى ج ٦ ص ٢٥٣ .

(٣) مقتل العوالم ص ٩١ ، وابصار العين ص ٨٥ .

(٤) ذخيرة الدارين ص ٢٦٦ .

برير بن خضير

ونادى يزيد بن معقل(١) : يا برير كيف ترى صنع الله بك ؟ فقال : صنع الله بي خيراً وصنع بك شراً فقال يزيد : كذبت وقبل اليوم ما كنت كذابا أتذكر يوم كنت أماشيك في « بني لوذان » (٢) وأنت تقول : كان معاوية ضالا وإن إمام الهدى علي بن أبي طالب قال : برير : بلى أشهد أن هذا رأي فقال يزيد : وأنا أشهد انك من الضالين ، فدعاه برير الى المباهلة فرفعا أيديهما الى الله سبحانه يدعوانه أن يلعن الكاذب ويقتله ثم تضاربا فضربه برير على رأسه قدت المغفر والدماغ فخر كأنما هوى من شاهق وسيف برير ثابت في رأسه وبينا هو يريد أن يخرجه إذ حمل عليه رضي بن منقذ العبدي واعتنق بريراً واعتركا فصرعه برير وجلس على صدره فاستغاث رضي بأصحابه ، فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل على برير فصاح به عفيف بن زهير بن أبي الأخنس : هذا برير بن خضير القاري الذي كان يقرؤنا القرآن في جامع الكوفة فلم يلتفت اليه وطعن بريراً فى ظهره فبرك برير على رضي وعض وجهه وقطع طرف أنفه

---

(١) فى تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٤٧ انه من بنى عمير بن ربيعة وهو خليف لبنى سليمة بن بنى عبد القيس .

(٢) فى تاج العروس بمادة « لوذ » لوذان بن عبد ود بن الحرث بن زيد ابن جشم بن حاشد .

وألقاه كعب برمحه عنه وضربه بسيفه فقتله.

وقام العبدي ينفض التراب عن قبائه وقال : لقد أنعمت علي يا أخا الأزد نعمة لا أنساها أبداً.

ولما رجع كعب بن جابر الى أهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت : أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيما من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً فقال :

سلي تخبري عني وأنت ذميمة غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم يخل علي غداة الروع ما أنا صانع
معي يزني لم تخنه كعوبه وابيض مخشوب الغرارين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم بديني وإني بابن حرب لقانع
ولم تر عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعاً بالسيوف لدى الوغى ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للضرب والطعن حسراً وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
فأبلغ عبيدالله أما لقيته بأني مطيع للخليفة سامع
قتلت بريراً ثم حملت نعمة أبا منقذ لما دعا من يماصع

فرد عليه رضي بن منقذ العبدي بقوله :

ولو شاء ربي ما شهدت قتالهم ولا جعل النعماء عندي ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبة تعيره الأبناء بعد المعاشر
فيا ليت إني كنت من قبل قتله ويوم حسين كنت في رمس قابر(١)

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٨.

حنظلة الشبامى

ونادى حنظلة بن سعد الشبامي : يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ـ يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ـ يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى .

فجزاه الحسين خيراً وقال : رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم اليـــه من الحق ونهضوا اليك ليستبيحوك واصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا اخوانك الصالحين .

قال : صدقت يا ابن رسول الله أفلا نروح الى الآخرة ؟ فأذن له فسلم على الحسين وتقدم يقاتل حتى قتل (١) .

عابس

وأقبل عابس بن أبي شبيب الشاكري على شوذب (١) مولى شاكر وكان شوذب من الرجال المخلصين وداره مألفاً للشيعة يتحدثون فيها فضل أهل البيت .

---

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٥٤ .

(١) فى أعلام الورى ص ١٤٥ سماه شوذان وفى إرشاد المفيد كما هنا .

فقال : يا شوذب ما في نفسك أن تصنع ؟ قال : اقاتل معك حتى اقتل فجزاه خيراً وقال له : تقدم بين يدي أبي عبدالله (ع) حتى يحتسبك كما احتسب غيرك وحتى أحتسبك فان هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل مانقدر عليه فسلم شوذب على الحسين وقاتل حتى قتل .

فوقف عابس أمام أبي عبدالله (ع) وقال : ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي منك ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعز عليّ من نفسي لفعلت ، السلام عليك أشهد أني على هداك وهدى أبيك ومشى نحو القوم مصلتاً سيفه وبه ضربة على جبينه فنادى : ألا رجل فاحجموا عنه لأنهم عرفوه أشجع الناس فصاح عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة فرمي بها فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وشد على الناس وانه ليطرد أكثر من مائتين ، ثم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل فتنازع ذووا عدة في رأسه فقال ابن سعد : هذا لم يقتله واحد وفرق بينهما بذلك (١) .

جون

ووقف جون (٢) مولى أبي ذر الغفاري أمام الحسين يستأذنه فقال عليه السلام : يا جون إنما تبعتنا طلباً للعافية فأنت في اذن مني فوقع على

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٥٤ .

(٢) في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٣٩ بالحاء المهملة وبعدها واو ثم الياء « حوى » وفي مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢١٨ : برز جوين بن أبي مالك مولى أبي ذر الغفاري .

قدميه يقبلها ويقول : أنا في الرخاء ألحس قصاعكم ، وفي الشدة أخذلكم ان ريحي لنتن وحسبي للئيم ولوني لأسود فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم فأذن له الحسين (١) فقتل خمساً وعشرين وقتل فوقف عليه الحسين وقال : اللهم بيض وجهه وطيب ريحه واحشره مع محمد (ص) وعرف بينه وبين آل محمد (ص) .

فكان من يمر بالمعركة يشم منه رائحة طيبة أذكى من المسك (٢) .

أنس الكاهلي

وكان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً ، فاستأذن الحسين وبرز شاداً وسطه بالعمامة رافعاً حاجبيه بالعصابة ، ولما نظر اليه الحسين بهذه الهيئة بكى وقال : شكراً لك ياشيخ فقتل على كبره ثمانية عشر رجلا وقتل (٣) .

---

(١) اللهوف ص ٦١ .

(٢) مقتل العوالم ص ٨٨ .

(٣) ذخيرة الدارين ص ٢٠٨ وذكر ابن نما فى مثير الأحزان مبارزته ورجزه وفى الإصابة ج ١ ص ٦٨ له ولأبيه صحبة وروى عنه حديث رسول الله (ص) يقتل ولدى بأرض كربلاء فمن شهد ذلك فلينصره وذكره السيوطى فى الخصائص ج ٢ ص ١٢٥ .

عمرو بن جنادة

وجاء عمرو بن جنادة الأنصاري بعد أن قتل أبوه وهو ابن احدى عشر سنة يستأذن الحسين غابى وقال : هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل امه تكره ذلك قال الغلام : ان امي أمرتني فأذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه الى جهة الحسين فأخذته أمه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلا قريباً منها فمات (١) وعادت الى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وانشأت :

انى عجوز فى النساء ضعيفة   خاوية باليــــة نحيفة
أضربكم بضربة عنيفـة   دون بني فاطمة الشريفة

فردها الحسين الى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين (٢) .

---

(١) ابن شهراشوب ج ٣ ص ٢١٩ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٢٢ وليس هذا بالبعيد بعدما يحدث الشيخ المفيد فى كتاب الجمل ص ١٣٧ ط ثانى ان حكيم بن جبلة العبدى لما قطعت رجله ضرب بها الرجل فصرعه وفى تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٨٠ وكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٣٥ بعد ان قتل الرجل قال :

يا نخذ لن تراعى   إن معى ذراعى
أحمى بها كراعى

وقال ابن الأثير فى الكامل ج ٢ ص ١٤٠ قطع رجل من اصحاب مسيلمة رجل ثابت بن قيس فاخذها ثابت وضرب بها الرجل فقتله .

(٢) البحار ج ١٠ ص ١٩٨ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٢٢ .

الحجاج الجعفي

وقاتل الحجاج بن مسروق الجعفي حتى خضب بالدماء فرجع الى الحسين يقول :

اليوم التى جدك النبيا ثم أباك ذا الندى عليا
ذاك الذي نعرفه الوصيا

فقال الحسين : وأنا ألقاهما على أثرك فرجع يقاتل حتى قتل (١) .

سوار

وقاتل سوار بن أبي حمير من ولد فهم بن جابر بن عبدالله بن قادم الفهمي الهمداني قتالاً شديداً حتى ارتث بالجراح (٢) واخذ أسيراً فأراد ابن سعد قتله وتشفع فيه قومه وبقي عندهم جريحاً الى أن توفى على رأس ستة أشهر (٣) .

---

(١) البحار ج ١٠ ص ١٩٨ عن مقتل الحائرى .

(٢) الأكليل للهمدانى ج ١٠ ص ١٠٣ .

(٣) الحدائق الوردية - مخطوط - ويوافقه ما فى الأكليل انه مات من جراحه غير انه لم يذكر أسره .

وفي زيارة الناحية المقدسة : السلام على الجريح المأسور سوار بن أبي حمير الفهمي الهمداني وعلى المرتث معه عمر بن عبدالله الجندعي .

سويد

ولما أثخن بالجراح سويد بن عمرو بن أبي المطاع سقط لوجهه وظن انه قتل ، فلما قتل الحسين وسمعهم يقولون قتل الحسين أخرج سكّينة كانت معه فقاتل بها و تعطفوا عليه فقتلوه وكان آخر من قتل من الأصحاب بعد الحسين عليه السلام .

هم عصمة اللاجي إذا هو يختشي ... وهم ديمة الراجي اذا هو يجتدي
اذا ما خبت نار الوغى شعشعوا لها ... سيوفهم جمراً وقالوا توقدي
ثقال الخطا لكن يخفون للوغى ... سراعا بخرصان الوشيج المسدد
اذا أشرعوا سمر الرماح حسبتها ... كواكب في ليل من الوقع أسود
أو اصطدمت تحت العجاج كتائب ... جرى أصيد منهم لها إثر أصيد
يكرون والأبطال طائشة الخطى ... وشخص المنايا بالعجاجة مرتدي
لووا جانباً عن مورد الضيم فانثنوا ... على الأرض صرعى سيداً بعد سيد
هووا للثرى نهب السيوف جسومهم ... عوار ولكن بالمكارم ترتدي
وأضحى يدير السبط عينيه لا يرى ... سوى جثث منهم على الترب ركد
أحاطت به سبعون ألفاً فردها ... شوارد أمثال النعام المشرد
وقام عديم النصر بين جموعهم ... وحيداً يحامي عن شريعة أحمد

الى أن هوى للأرض شلوا مبضعا ولم يرو من حر الظما قلبه الصدي
هوى فهوى التوحيد وانطمس الهدى وحلت عرى الدين الحنيف المشيد
له الله مفطور الفؤاد من الظما صريعاً على وجه الثرى المتوقد
ثوى في هجير الشمس وهو معفر تظلله سمـر القنا المتقصـد
وأضحت عوادي الخيل من فوق صدره
تروح الى كر الطراد وتغتـدي
وهاتفة من جانب الخـدر ثاكل بدت وهي حسرى تلطم الخد باليد
يؤلمهـا قرع السياط فتنثني تحن فيشجي صوتها كل جامد
وسيقت على عجف المطايا أسيرة يطاف بها في مشهد بعد مشهد
سرت تتهاداها علوج اميـة فمن ملحد تهدى الى شر ملحد (١)

(١) للحجة السيد محمد حسين الكيشوان رحمه الله .

شهادة أهل البيت

علي الأكبر

ولما لم يبق مع الحسين إلا أهل بيته عزموا على ملاقاة الحتوف ببأس شديد وحفاظ مر ونفوس ابية وأقبل بعضهم يودع بعضاً (١) وأول من تقدم أبو الحسن (٢) علي الأكبر (٣) وعمره سبع وعشرون سنة فانه ولد في الحادي عشر من شعبان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة (٤) وكان مرآة

---

(١) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) ذكرنا فى رسالة « على الأكبر » ص ١٤ الرواية عن أبى الحسن الرضا « ع » أنه كان متزوجا من أم ولد فلعل الكنية بأبى الحسن من جهة ولد له منها اسمه « الحسن » كما يقتضيه التسمية بام ولد مع ان زيارته المروية في كامل الزيارات ص ٢٣٩ تؤكده قال الصادق فى تعليم أبى حمزة قل : صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأمهاتك الأخيار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . والأبناء جمع أقله إثنان .

(٣) فى رسالة علي الأكبر ذكرنا نصوص المؤرخين على انه اكبر من السجاد « ع » وسيأتى فى الحوادث بعد الشهادة اعتراف زين العابدين به فى المحاورة الجارية بينه وبين ابن زياد . (٤) انيس الشيعة ـ مخطوط ـ للسيد محمد عبد الحسين الجعفرى الحائرى ألفه باسم السلطان فتح على شاه .

الجمال النبوي ومثال خُلقه السامي وانموذجاً من منطقه البليغ واذا كان شاعر رسول الله (ص) يقول فيه :

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

فمادح الأكبر يقول (١) :

لم تر عين نظرت مثله من محتف يمشي ومن ناعل
يغلي نهيء اللحم حتى اذا أنضج لم يغل على الآكل (٢)
كان اذا شبت له ناره أوقدها بالشرف القابل (٣)
كيما يراها بائس مرمل أو فرد حيّ ليس بالآهل
لا يؤثر الدنيا على دينه ولا يبيع الحق بالباطل
أعني «ابن ليلى» ذا الندى والسدى
أعني ابن بنت الحسب الفاضل (٤)

---

(١) فى مقاتل الطالبيين ص ٣٢ انها قيلت فى على الأكبر .

(٢) يغلي : الاولى بمعنى يغير والثانية ضد يرخص والنهيء : اللحم الغير مطبوخ .

(٣) الشرف : الموضع العالي والقابل بمعنى المقبل لعلوه وارتفاعه وهذه عادة العرب انهم يوقدون النار فى المكان المرتفع ليهتدى الركب فى الليل .

(٤) فى مصباح المنير مادة ندى : ان ما يسقط أول الليل من البلل يقال له سدى وما يسقط آخره يقال له الندى وفى «مراتب النحويين» ص ٥٣ لأبى الطيب عبد الواحد الحلبى المتوفى ٣٥١ قيل للأصمعى أن أبا زيد يزعم ان الندى ما كان فى الأرض والسدى ما يسقط من السماء فقال اذاً فما يصنع —

فعلي الأكبر هو المتفرع من الشجرة النبوية الوارث للمآثر الطيبة وكان حرياً بمقام الخلافة لو لا انها منصوصة من إله السماء وقد سجل سبحانه أسماءهم في الصحيفة النازل بها جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله .

ورث الصفات الغر وهي تراثه ... من كل عطريف وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر ... بابي الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلق وطيب خلائق ... وبليغ نطق كالنبي محمد (١)

ولما عز الحرب عز فراقه على مخدرات الامامة لأنه عماد اخبيتهن وحمى أمنهن ومعقد آمالهن بعد الحسين فكانت هذه ترى هتاف الرسالة في وشك الانقطاع عن سمعها وتلك تجـد شمس النبوة في شفا الانكساف واخرى تشاهد الخلق المحمدي قد آذن بالرحيل فأحطن به وتعلقن بأطرافه وقلن : ارحم غربتنا لا طاقة لنا على فراقك فلم يعبء بهن لأنه يرى حجة الوقت مكثوراً قد اجتمع أعداؤه على إراقة دمه الطاهر فاستأذن أباه وبرز على فرس للحسين يسمى « لاحقا » .

ومن جهة ان ليلى أم الأكبر بنت ميمونة ابنة أبي سفيان (٢) صاح

ـــ بقول الشاعر :

ولقد أتيت البيت يخشى أهله ... بعد الهدو وبعد ما سقط الندى

أتراه سقط من الأرض الى السماء .

(١) هذه الأبيات والتي تأتي للحجة آية الله الشيخ عبـد الحسين صادق العاملي « قده » .

(٢) الإصابة لإبن حجر ج ٤ ص ١٧٨ ترجمة أبي مرة .

رجل من القوم : يا علي إن لك رحماً بأمير المؤمنين « يزيد » ونريد أن نرعى الرحم فان شئت آمناك قال عليه السلام : ان قرابة رسول الله (ص) أحق أن ترعى (١) ثم شد يرتجز معرفاً بنفسه القدسية وغايته السامية .

أنا علي بن الحسين بن علي — نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي (٢) — أضرب بالسيف احامي عن أبي

ضرب غلام هاشمي قرشي (٣)

ولم يتمالك الحسين عليه السلام دون أن أرخى عينيه بالدموع (٤) وصاح بعمر بن سعد مالك : قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلط عليك من يذبحك على فراشك (٥) ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال : اللهم اشهد على هؤلاء فقد برز اليهم أشبه الناس برسولك محمد وكنا اذا اشتقنا الى رؤية نبيك نظرنا اليه اللهم فامنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقاً ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرايق قدداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً فانهم دعونا لينصرونا ثم عدو علينا يقاتلوننا ثم تلا قوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران

---

(١) سر السلسلة لأبي نصر في النسب ونسب قريش ص ٥٧ لمصعب الزبيري .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٦ وأعلام الورى للطبرسي ص ١٤٥ ومثير الأحزان ص ٣٥ .

(٣) تمام الأبيات من رواية الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد .

(٤) مثير الأحزان لابن نما ص ٣٥ والارشاد للمفيد .

(٥) مقتل الخوارزمي ج ٧ ص ٣٠

على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع » (١) .

ولم يزل يحمل على الميمنة ويعيدها على الميسرة ويغوص فى الأوساط فلم يقابله جحفل إلا رده ولا برز اليه شجاع إلا قتله :

يرمي الكتائب والفلا غصت بها　　فى مثلها من بأسه المتوقد
فيردها قسراً على أعقابها　　فى بأس عريس العرينة ملبد

فقتل مائة وعشرين فارساً وقد اشتد به العطش فرجع الى أبيه يستريح ويذكر ما أجهده من العطش فبكى الحسين وقال : وا غوثاه ما أسرع الملتقى بجدك فيسقيك بكأسه شربة لا تظمأ بعدها وأخذ لسانه فمصه ودفع اليه خاتمه ليضعه فى فيه (٢) .

ويؤوب للتوديع وهو مكابد　　لظما الفؤاد وللحديد المجهد
صادي الحشا وحسامه ريان　　من ماء الطلا وغليله لم يبرد
يشكو لخير أب ظماه وما اشتكى　　ظمأ الحشا إلا إلى الظامي الصدي
كل حشاشته كصالية الغضا　　ولسانه ظمأ كشقة مبرد

---

(١) مقتل الخوارزمى ج ٧ ص ٣٠

(٢) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣١ ومقتل العوالم ص ٩٥

جاء فى معاهد التنصيص للعباسى ج ٢ ص ٥١ أن يزيد بن مزيد الشيبانى لما لحق الوليد بن طريف وأجهده العطش وضع خاتمه فى فمه وتبع الوليد حتى طعنه بالرمح وروى الكلينى فى الكافى عن الصادق عليه السلام أنه لا بأس للصائم أن يمص الخاتم وبه أفتى العلماء بالجواز ولعل من أسراره أنه يسبب عمل الغدد فى الافراز وعليه فلا خصوصية للخاتم بل كلما يسبب عمل الغدد فى الافراز يوضع فى الفم كالحصى ونحوهما .

ومذ انثنى يلقى الكريهة باسماً ... والموت منه بمسمع وبمشهدي
لف الوغى وأجالها جول الرحى ... بمثقف من بأسه ومهند
يلقى ذوابلهـا بذابل معطف ... ويشيم أنصلها بجيد أجيد
حتى إذا ما غاص في أوساطهم ... بمطهم قب الأباطل أجرد
عثر الزمان به فغودر جسمه ... نهب القواضب والقنا المتقصد

ورجع «علي» الى الميدان مبتهجاً بالبشارة الصادرة من الامام الحجة عليه السلام بملاقاة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فزحف فيهم زحفه العلوي السابق وغبر في وجوه القوم ولم يشعروا أهو «الأكبر» يطرد الجماهير من أعدائه أم أن «الوصي» عليه السلام يزأر في الميدان أم أن الصواعق تترى في بريق سيفه فأكثر القتلى في أهل الكوفة حتى أكمل المائتين (١).

فقال مرة بن منقذ العبدي (٢) علي آثام العرب إن لم أثكل أباه به (٣) فطعنه بالرمح في ظهره (٤) وضربه بالسيف على رأسه ففلق هامته واعتنق فرسه فاحتمله الى معسكر الأعداء وأحاطوا به حتى قطعوه بسيوفهم

---

(١) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣١

(٢) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٠ والأخبار الطوال ص ٢٥٤ وإرشاد المفيد ومثير الأحزان واللهوف وفي تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٦٢٥ مرة بن منقذ بن النعمان العبدى ثم الليثي وفي مقتل العوالم ص ٩٥ منقذ ابن مرة.

(٣) الارشاد للمفيد وتاريخ الطبرى ج٦ ص ٢٥٦

(٤) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٢

إرباً إرباً (١) :

وبجا الردى يا قاتل الله الردى ... منه هلال دجى وغرة فرقد
يا نجمة الحسين هاشم والندى ... وحمى الذمارين العلى والسؤدد
كيف ارتقت همم الردى لك صعدة ... مطرودة الكعبين لم تتأود
أفديه من ريحانة ريانة ... جفت بحر ظماً وحر مهند
بكر الذبول على نضارة غصنه ... إن الذبول لآفة الغصن الندي
لله بدر من مراق نجيعه ... مزج الحسام لجينه بالعسجد
ماء الصبا ودم الوريد تجاريا ... فيه ولاهب قلبه لم يخمد
لم أنسه متعمما بشبا الضبا ... بين الكماة وبالأسنه مرتدي
خضبت ولكن من دم وفراته ... فاخضر ريحان العذار الأسود

ونادى رافعاً صوته : عليك مني السلام أبا عبد الله (٢) هذا جدي قد سقاني بكأسه شربة لا أظمأ بعدها وهو يقول إن لك كأساً مذخورة (٣) فأتاه الحسين عليه السلام وانكب عليه واضعاً خده على خده (٤) وهو يقول : على الدنيا بعدك العفا ما أجرهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول (٥) يعز على جدك وأبيك أن تدعوهم فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك (٦) .

---

(١) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣١ ومقتل العوالم ص ٩٥
(٢) رياض المصائب ص ٣٢١
(٣) مقتل العوالم ص ٩٥ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣١
(٤) اللهوف ص ٦٤ (٥) تأريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٥
(٦) مقتل العوالم ص ٩٥

ثم أخذ بكفه من دمه الطاهر ورمى به نحو السماء فلم يسقط منه قطرة وفي هذا جاءت زيارته: « بأبي أنت وامي من مذبوح ومقتول من غير جرم، بأبي وامي دمك المرتقى به الى حبيب الله بأبي أنت وامي من مقدم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك محترقاً عليك قلبه يرفع دمك الى عنان السماء لا يرجع منه قطرة ولا تسكن عليك من أبيك زفرة (١).

وأمر فتيانه أن يحملوه الى الخيمة فجاؤا به الى الفسطاط الذي يقاتلون أمامه (٢).

وحرائر بيت الوحي ينظرن اليه محمولا قد جللته الدماء بمطارف من العز حمراء وقد وزع جثمانه الضرب والطعن فاستقبلنه بصدور دامية وشعور منشورة وعولة تصك سمع الملكوت وأمامهن عقيلة بني هاشم « زينب الكبرى » صارخة نادبة فألقت بنفسها عليه تضم اليها جمام نفسها الذاهب وحمى خدرها المثلم وعماد بيتها المنهدم (٣).

لهفي على عقائل الرسالة ... لما رأينه بتلك الحالة

علا نحيبهن والصياح ... فاندهش العقول والأرواح

ناحت على كفيلها العقائل ... والمكرمات الغر والفضائل

---

(١) كامل الزيارات ص ٢٣٩ هي صحيحة السند علمها الصادق عليه السلام أبا حمزة الثمالي.

(٢) الارشاد للمفيد وتأريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٥٦

(٣) في تأريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٥٦ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣١ خرجت زينب صارخة فألقت بنفسها عليه وردها الحسين الى الخيمة واذا خرجت العميدة لتلك الفواقد المهذبة لهن فهل يتصور بقاء واحدة منهن في الخيمة.

لهفي لها إذ تندب الرسولا فكادت الجبال أن تزولا

لهفي لها مذ فقدت عميدها وهل يوازي أحد فقيدها

ومن يوازي شرفاً وجاهاً مثال ياسين شبيه طاها

يا ساعد الله أباه مذ خبا نيره (الأكبر) في ظل الضبا

رأى الخليل في منى الطفوف ذبيحة ضريبة السيوف

بكاه ما يرى وما ليس يرى من ذروة العرش الى تحت الثرى

بكاه حزناً رب أرباب النهى ومن هو المبدء وهو المنتهي

ومن بكاه سيد البرايا فرزؤه من أعظم الرزايا

بكته عين الرشد والهدايه ومن هو المنصوص (بالوصايه) (١)

ولسان حال أبيه يقول :

بني اقتطفتك من مهجتي علام قطعت جميل الوصال

بني عراك خسوف الردى وشأن الخسوف قبيل الكمال

بني حرام علي الرقاد وأنت عفير بحر الرمال

بني أبيت سوى القاصرات وخلفت عندي سمر العوالي

بني بكتك عيون الرجال ليوم النزيل ويوم النزال

بكتك بني صفات الكمال وغض الشباب وذات الجمال

عجلت لحوض أبيك النبي وسارعت بعد الظما للزلال

سيرثيك مني لسان السنان بنظم قلوب عيون الرجال (٢)

---

(١) من ارجوزة آية الله الشيخ محمد حسين الاصفهانى « قده » .

(٢) من قصيدة للعلامة السيد مهدى البحرانى رحمه الله .

عبد الله بن مسلم

وخرج من بعده عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وامه رقية الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام (١) وهو يقول :

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي　　　وعصبة بادوا على دين النبي

فقتل جماعة بثلاث حملات (٢) ورماه يزيد بن الرقاد الجهيني ٣) فاتقاه بيده فسمرها الى جبهته فما استطاع أن يزيلها عن جبهته (٤) فقال : اللهم إنهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا وبينا هو على هذا إذ حمل عليه رجل برمحه فطعنه في قلبه ومات (٥) فجاء اليه يزيد بن الرقاد وأخرج سهمه من جبهته وبقي النصل فيها وهو ميت (٦) .

---

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٤٥ قال : وهي ام إخوته علي ومحمد .

(٢) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٠

(٣) في أنساب الأشراف ج ٥ ص ٧٣٨ الجنبي بالنون بعد الجيم .

(٤) المقاتل لأبي الفرج ص ٢٧ ايران .

(٥) الارشاد وفي تاريخ الطبري ج ٦ ض ٧٥٦ أن عمرو بن صبيح الصدائي رماه بسهم ورماه بآخر ففلق قلبه ، وفي أنساب الأشراف ج ٦ ص ٧٣٩ الرامي يزيد بن الرقاد الجنبي .

(٦) تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٧٩

حملة آل أبي طالب

ولما قتل عبد الله بن مسلم حمل آل أبي طالب حملة واحدة فصاح بهم الحسين عليه السلام : صبراً على الموت يا بني عمومتي والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم (١) فوقع فيهم عون بن عبد الله بن جعفر الطيار وامه العقيلة زينب وأخوه محمد وامه الخوصاء وعبدالرحمن بن عقيل بن أبي طالب (٢) وأخوه جعفر بن عقيل ومحمد بن مسلم بن عقيل .

وأصابت الحسن المثنى بن الامام الحسن السبط عليه السلام ثمانية عشر جراحة وقطعت يده اليمنى ولم يستشهد .

وخرج أبو بكر بن أمير المؤمنين عليه السلام (٣)

---

(١) هذه الجملة هى الظاهرة مما ذكره ابن جرير فى التأريخ ج ٦ ص ٢٥٦ والنداء بالصبر نص عليه الخوارزمى فى المقتل ج ٢ ص ٢٨ والسيد فى اللهوف ص ٦٤

(٢) فى المحبر لابن حبيب النسابة ص ٥٧ كانت خديجة بنت علي « ع » عند عبد الرحمن عقيل وفى معارف بن قتيبة ص ٨٩ عند ذكر أخبار علي عليه السلام ولدت له سعيداً وفى المحبر لابن حبيب ص ٥٧ خلف على خديجة هذه أبو السنابل عبد الله بن عامر بن كريز .

(٣) فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١١٨ وصفوة الصفوة لابن الجوزى ج ١ ص ١١٩ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٩٨ أن أبا بكر امه ليلى بنت مسعود قتل مع الحسين عليه السلام .

وإسمه محمد (١) قتله زحر ابن بدر النخعي (٢).

وخرج عبد الله بن عقيل فما زال يضرب فيهم حتى اثخن بالجراح وسقط الى الأرض فجاء اليه عثمان بن خالد التميمي فقتله.

ما العرب إلا سماء للعـلاء وما أبناء عمرو العلى إلا دراريها
فللنبوة تـاج في مفارقهـا وللامامـة عقـد فى تراقيهـا
حليـان ليس سواها تحتلي بهما شتان عاطل أجيـاد وحاليها
من شيبة الحمد شبان مشت مرحاً لنصرة الدين لا كبراً ولا تيها
بسامة الثغر والأبطـال عابسة تفتر منها الثنـايا عن لئاليهـا
جرت بطوفان حرب في بواخرها وما مواخرها إلا مذاكيها
لو لم يكن همهـا نيل السعادة ما أبقت على الأرض شخصاً من أعاديها
ليست تبالي وللأسياف صلصلة مطبق سمة الغبراء داويهـا
وللرمـاح اصطكاك فى أسنتها وللسهام اختلاف في مراميهـا
وللرؤس انتثار عن كواهلها وللصدور انتظام في مجانيها (٢)

---

(١) الارشاد وأعلام الورى عند ذكر أولاد أمير المؤمنين «ع» وفى مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٨ اسمه عبدالله وفى صفوة الصفوة ج ١ ص ١١٩ محمد الأصغر امه ام ولد قتل مع الحسين «ع».

(٢) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢١ وفى مقتل الخوارزمى زحر ابن قيس النخعى وفى مقاتل أبى الفرج وجد فى ساقيه ولم يعلم قاتله.

(٣) للحجة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي قدس الله سره وستأتى فى القاسم تتمتها.

القاسم وأخوه

وخرج أبو بكر بن الحسن بن أمير المؤمنين « ع » وهو عبد الله الأكبر وامه ام ولد «١» يقال لها رملة «٢» فقاتل حتى قتل «٣».

وخرج من بعده أخوه لامه وأبيه القاسم وهو غلام لم يبلغ الحلم فلما نظر اليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى «٤» ثم أذن له فبرز كأن وجهه شقة قمر «٥» وبيده السيف وعليه قميص وأزار وفي رجليه نعلان فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى «٦» وأنف ابن النبي الأعظم

---

(١) تأريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٩ ومقاتل أبي الفرج ص ٣٤

(٢) فى الحدايق الوردية امه وام القاسم رملة وفى تذكرة الخواص ص١٠٣ عن طبقات ابن سعد نفيلة ام القاسم وأبى بكر وعبد الله ، وفى مقاتل أبى الفرج ام ولد لا تعرف ، وفى نسب قريش ص ٥٠ لمصعب الزبيرى القاسم وأبو بكر قتلا بالطف ولا عقب لهما.

«٣» فى أعلام الورى للطبرسي ص ١٢٧ والمجدى فى النسب لأبى الحسن العمرى وإسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار ص ٢٠٢ أنه تزوج من سكينة بنت الحسين « ع ».

«٤» مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٢٧

«٥» تأريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٦ ومقاتل أبى الفرج والارشاد وأعلام الورى ص ١٤٦

«٦» تأريخ الطبرى ج٦ ص ٢٥٦ ومقاتل أبى الفرج ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٢٧ وفى الارشاد وأعلام الورى شسع أحدهما.

صلى الله عليه وآله وسلم أن يحتفي في الميدان فوقف يشد شسع نعله (١) وهو لا يزن الحرب إلا بمثله غير مكترث بالجمع ولا مبال بالالوف .

أهوى يشد حذاءه والحرب مشرعة لأجله
ليسومها ما إن غلت هيجاؤها بشراك نعله
متقلداً صمصامه متفيئاً بظلال نصله
لا تعجبن لفعله فالفرع مرتهن بأصله
السحب يخلفها الحيا والليث منظور بشبله (٢)

وبينما هو على هذا إذ شد عليه عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي فقال له حميد بن مسلم وما تريد من هذا الغلام يكفيك هؤلاء الذين تراهم احتوشوه فقال والله لأشدن عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف فوقع الغلام لوجهه فقال يا عماه فأتاه الحسين كالليث الغضبان فضرب عمرواً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها (٣) من المرفق فصاح صيحة عظيمة سمعها العسكر فحملت خيل ابن سعد لتستنقذه فاستقبلته بصدورها ووطأته بحوافرها فمات .

وانجلت الغبرة واذا الحسين قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين يقول : بعداً لقوم قتلوك خصمهم يوم القيامة جدك .

ثم قال : عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوت والله كثر واتره وقلّ ناصره ثم احتمله وكان صدره على صدر الحسين « ع » ورجلاه يخطان في الأرض فألقاه مع علي الأكبر

---

(١) ذخيرة الدارين ص ١٥٢ وابصار العين ص ٣٧ .
(٢) للعلامة السيد مير علي أبو طبيخ رحمه الله .
(٣) في الصحاح ضربه فأطن ساقه أي قطعها يراد بذلك صوت القطع .

وقتلى حوله من أهل بيته (١) ورفع طرفه الى السماء وقال : اللهم احصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً (٢).

ناهيك بالقاسم بن المجتبي حسن ... من أول الحرب لم يعبأ بما فيها
كأن بيض مواضيها تكلمه ... غيد تغازله منها غوانيها
كأن سمر عواليها كؤوس طلاً ... تزفها راح ساقيها لحاسيها
لو كان يحذر بأساً أو يخاف وغى ... ما انصاع يصلح نعلا وهو صاليها
أمامه من أعاديه رمال ثرى ... من فوق أسفلها ينهال عاليها
ما عممت بأرقاب البيض هامته ... فاحمرّ بالأبيض الهندي هاميها
إلا غداة رأته وهو في سنة ... عن الكفاح غفول النفس ساهيها
وتلك غفوة ليث غير مكترث ... ما ناله السيف إلا وهو غافيها
فخرّ يدعو فلبى السبط دعوته ... فكان ما كان منه عند داعيها
فقل به الأشهب البازي بين قطا ... قد لف أولها فتكاً بتاليها
جنى ولكن رؤوس الشوس يانعة ... وما سوى سيفه البتار جانيها
حتى اذا غص بالبتار أرحبها ... وفاض من علق البتار واديها
تقشعت ظلمات الخيل ناكصة ... فرسانها عنه وانجابت غواشيها
وإذ به حاضنٌ في صدره قمراً ... يزين طلعته الغراء داميها
وافى به حاملا نحو المخيم والآ ... ماق في وجهه حمر مجانيها

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٧ والبداية لإبن كثير ج ٨ صفحة ١٨٦ والإرشاد.

(٢) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٨.

تخط رجلاه فى لوح الثرى صحفاً الدمع منقطها والقلب تاليها
آهٍ على ذلك البدر المنير محا بالخسف غرته الغبراء ماحيها

اخوة العباس

ولما رأى العباس عليه السلام كثرة القتلى من أهله قال لاخوته من أمه وأبيه عبدالله وعثمان وجعفر : تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله ، والتفت الى عبدالله وكان أكبر من عثمان وجعفر وقال : تقدم يا أخي حتى أراك قتيلا وأحتسبك (١) فقاتلوا بين يدي أبي الفضل حتى قتلوا بأجمعهم .

نعماً قرابين الآله مجزرين على الفرات
خير الهداية أن يكون الهدي من زمر الهداة
من بعد ما قضوا الصلاة قضوا فداءاً للصلاة (٢)

شهادة العباس (ع)

ولم يستطع العباس صبراً على البقاء بعد أن تفانى صحبه وأهل بيته ويرى حجة الوقت مكثوراً قد انقطع عنه المدد وملء مسامعه عويل النساء وصراخ الأطفال من العطش فطلب من أخيه الرخصة ، ولما كان عليه السلام أنفس الذخائر عند السبط الشهيد « ع » لأن الأعداء تحذر صولته وترهب

(١) مقاتل أبي الفرج ص ٣٢ و ٣٣ .
(٢) للعلامة ثقة الإسلام الشيخ محمد طاهر آل الفقيه الشيخ راضى «قده» .

اقدامه والحرم مطمئنة بوجوده مهما تنظر اللواء مرفوعا ، فلم تسمح نفس «أبي الضيم» القدسية بمفارقته فقال له : يا أخي « أنت صاحب لوائي »(١).

قال العباس : قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأريد أن آخذ ثاري منهم ، فأمره الحسين « ع » أن يطلب الماء للأطفال ، فذهب العباس الى القوم ووعظهم وحذرهم غضب الجبار فلم ينفع ، فنادى بصوت عال : يا عمر بن سعد هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه وأهل بيته وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى ، فأسقوهم من الماء قد أحرق الظما قلوبهم وهو مع ذلك يقول : دعوني أذهب الى الروم أو الهند وأخلي لكم الحجاز والعراق فأثر كلامه في نفوس القوم حتى بكى بعضهم ولكن الشمر صاح بأعلى صوته : يا ابن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد .

فرجع الى أخيه يخبره فسمع الأطفال يتصارخون من العطش (٢) فلم تتطامن نفسه على هذا الحال وثارت به الحمية الهاشمية :

يوم أبو الفضل تدعو الظاميات به — والماء تحت شبا الهندية الخذم
والخيل تصطك والزغف الدلاص على — فرسانها قد غدت ناراً على علم
وأقبل الليث لا يلويه خوف ردى — بادي البشاشة كالمدعو للنعم
يبدو فيغدو صميم الجمع منقسما — نصفين ما بين مطروح ومنقسم

ثم انه ركب جواده وأخذ القربة فأحاط به أربعة آلاف ورموه بالنبال فلم ترعه كثرتهم وأخذ يطرد أولئك الجماهير وحده ولواء الحمد يرف

---

(١) البحار ج ١٠ ص ٢٥١ ومقتل العوالم ص ٩٤ .

(٢) تظلم الزهراء ص ١١٨ .

على رأسه ولم يشعر القوم أهو العباس يجدل الأبطال أم أن الوصي يزأر في الميدان فلم تثبت له الرجال ونزل الى الفرات مطمئناً غير مبال بذلك الجمع .

ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة … الى الماء لم يكبر عليه ازدحامها
وخاض بها بحراً يرف عبابه ضباً … ويد الأقدار جالت سهامها
ألمّت به سوداء يخطف برقها … البصائر من رعب ويعلو قتامها
جلاها بمشحوذ الغرارين أبلج … يدب به للدارعين حمامها
فخلأها عن جانب النهر عنوة … وولت عواديها يصل لجامها
ثنى رجله عن صهوة المهر وامتطى … قرى النهر واحتل السقام همامها
وهب الى نحو الخيام مشمراً … لري عطاشى قد طواها أوامها

ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين ومن معه فرمى الماء وقال :

يا نفس من بعد الحسين هوني … وبعده لا كنت ان تكوني
هذا الحسين وارد المنون … وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني (١)

ثم ملأ القربة وركب جواده وتوجه نحو المخيم فقطع عليه الطريق وجعل يضرب حتى أكثر القتل فيهم وكشفهم عن الطريق وهو يقول :

لا أرهب الموت اذا الموت زقا (٢) … حتى أواري في المصاليت لقى

---

(١) رياض المصائب ص ٣١٣ للسيد محمد مهدي الموسوي .

(٢) زقا : بمعنى صاح ، وكانت العرب تزعم ان للموت طائر يصيح ويسمونه « الهامة » ويقولون اذا قتل الإنسان ولم يؤخذ بثاره زقت هامته حتى يثأر ، قال الشاعر : —

نفسي لنفس المصطفى الطهر وقى   إني أنا العباس أغـــد بالسقا
ولا أخاف الشـــر يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبي فضربه على يمينه فبراها فقال عليه السلام :

والله إن قطعتم يميني   إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين   نجل النبي الطاهر الأمين

فلم يعبأ بيمينه بعد أن كان همه إيصال الماء الى أطفال الحسين وعياله ولكن حكيم بن الطفيل كمن له من وراء نخلة فلما مر به ضربه على شماله فقطعها (١) وتكاثروا عليه وأتته السهام كالمطر فأصاب القربة سهم وأريق ماؤها وسهم أصاب صدره (٢) وضربه رجل بالعمود على رأسه ففلق هامته

وهوى بجنب العلقمي فليته   للشاربين به يداف العلقم

وسقط على الأرض ينادي : عليك مني السلام أبا عبدالله فأتاه الحسين

فان تك هامة بهراة تزقو   فقد أزقيت بالمردين هاما

وسمعت العالم الفاضل الشيخ كاظم سبتى رحمه الله يقول : أتانى بعض العلماء الثقات وقال : أنا رسول العباس « ع » اليك رأيته فى المنام يعتب عليك ويقول : لم يذكر مصيبتى شيخ كاظم سبتى ، فقلت له : ياسيدى ما زلت أسمعه يذكر مصائبك فقال عليه السلام : قل له يذكر هذه المصيبة وهى :

« إن الفارس اذا سقط من فرسه يتلقى الأرض بيديه فاذا كانت السهام فى صره ويداه مقطوعتان بماذا يتلقى الأرض ؟ » .

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢١ .

(٢) رياض المصائب ص ٣١٥ .

عليه السلام (١) ، وليتني علمت بماذا أتاه أبحياة مستطارة منه بهذا الفادح الجلل أم بجاذب من الأخوة الى مصرع صنوه المحبوب ؟

نعم حصل الحسين «ع» عنده وهو يبصر قربان القداسة فوق الصعيد قد غشيته الدماء وجللته النبال فلا يمين تبطش ولا منطق يرتجز ولا صولة ترهب ولا عين تبصر ومرتكز الدماغ على الأرض مبدد .

أصحيح أن الحسين ينظر الى هذه الفجائع ومعه حياة ينهض بها ؟ لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلا هيكلاً شاخصاً معرى عن لوازم الحياة وقد أعرب سلام الله عليه عن هـذا الحال بقوله : الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي (٢) .

وبان الانكسار في جبينه فاندكت الجبال من حنينه
وكيف لا وهو جمال بهجته وفي محياه سرور مهجته
كافل أهله وساقي صبيته وحامل اللوا بعالي همته (٣)

وتركه فى مكانه لسر مكنون أظهرته الأيام وهو أن يدفن فى موضعه منحازاً عن الشهداء ليكون له مشهد يقصد بالحوائج والزيارات وبقعة يزدلف اليها الناس وتتزلف الى المولى سبحانه تحت قبته التي ضاهت السماء رفعة وسناء فتظهر هنالك الكرامات الباهرة وتعرف الأمة مكانته السامية

---

(١) المنتخب للطريحي ص ٣١٢ المطبعة الحيدرية سنة ١٣٦٩ ورياض المصائب ص ٣١٥ وفى مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٢ : ان حكيم بن الطفيل ضربه بعمود من حديد على رأسه .

(٢) البحار ج ١٠ ص ٢٥١ ، وتظلم الزهراء ص ١٢٠ .

(٣) من أرجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين الإصفهاني « قده » .

ومنزلته عند الله تعالى فتؤدي ما وجب عليهم من الحب المتأكد والزيارة المتواصلة ويكون عليه السلام حلقة الوصل فيما بينهم وبين الله تعالى فشاء حجة الوقت أبو عبدالله «ع» كما شاء المهيمن سبحانه أن تكون منزلة «أبي الفضل» الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الأخروية فكان كما شاءا وأحبا.

ورجع الحسين الى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمه وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى: أما من مغيث يغيثنا أما من مجير يجيرنا أما من طالب حق ينصرنا أما من خائف من النار فيذب عنا (١) فأتته سكينة وسألته عن عمها فأخبرها بقتله وسمعته زينب فصاحت: وا أخاه واعباساه واضيعتنا بعدك وبكين النسوة وبكى الحسين معهن وقال: واضيعتنا بعدك.

نادى وقد ملأ البوادي صيحة ... صم الصخور لهولها تتألم
أأخي من يحمي بنات محمد ... إذ صرن يسترحمن من لا يرحم
ما خلت بعدك أن تشل سواعدي ... وتكف باصرتي وظهري يقصم
لسواك يلطم بالأكف وهذه ... بيض الضبا لك في جبيني تلطم
ما بين مصرعك الفظيع ومصرعي ... إلا كما أدعوك قبل وتنعم
هذا حسامك من يذل به العدى ... ولواك هذا من به يتقدم
هونت يا ابن أبي مصارع فتيتي ... والجرح يسكنه الذي هو آلم
فأكب منحنيا عليه ودمعه ... صبغ البسيط كأنما هو عندم
قد رام يلثمه فلم ير موضعاً ... لم يدمه عض السلاح فيلثم (٢)

---

(١) المنتخب ص ٣١٢.

(٢) للسيد جعفر الحلي طبعت بتمامها مع مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري.

سيد الشهداء عليه السلام

ولما قتل العباس التفت الحسين « ع » فلم ير أحداً ينصره ونظر الى أهله وصحبه مجزرين كالأضاحي وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامى وصراخ الأطفال صاح بأعلى صوته : هل من ذاب عن حرم رسول الله ؟ هل من موحـــد يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا ؟ فارتفعت أصوات النساء بالبكاء (١) .

ونهض السجاد « ع » يتوكأ على عصا ويجر سيفـــه لأنه مريض لا يستطيع الحركة فصاح الحسين بأم كلثوم احبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد فأرجعته الى فراشه (٢) .

ثم انه عليه السلام أمر عياله بالسكوت وودعهم وكان عليه جبة خز دكناء (٣) وعمامة موردة أرخى لها ذوابتين والتحف ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله ولبس درعه وتقلد بسيفه (٤) .

---

(١) اللهوف ص ٦٥ . (٢) الخصائص الحسينية للشيخ جعفر الشوشتري قدس سره ص ١٢٩ الاستغاثة الرابعة .

(٣) روى الكليني فى الكافى على هامش مرآة العقول ج ٤ ص ١٠٥ عن الباقر « ع » ، والألوسى فى روح المعانى ج ٨ ص ١١١ عند قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله » وابن حجر فى مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٣ : كان على الحسين « ع » يوم عاشوراء جبة خز دكناء .

(٤) المنتخب ص ٣١٥ المطبعة الحيدرية سنة ١٣٦٩ .

وطلب ثوباً لا يرغب فيه أحد يضعه تحت ثيابه لئلا يجرد منه فانه مقتول مسلوب ، فأتوه بتبان فلم يرغب فيه لأنه من لباس الذلة (١) وأخذ ثوباً خلقاً وخرقه وجعله تحت ثيابه (٢) ودعا بسراويل حبره ففزرها ولبسها لئلا يسلبها (٣) .

الرضيع

ودعا بولده الرضيع يودعه ، فأتته زينب بابنه عبدالله (٤) وامه الرباب فأجلسه في حجره يقبله (٥) ويقول : بعداً لهؤلاء القوم اذا كان جدك المصطفى خصمهم (٦) ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء ، فرماه حرملة ابن كاهل الأسدي بسهم فذبحه فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السماء .
قال أبو جعفر الباقر « ع » : فلم يسقط منه قطرة (٧) وفيه يقول

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٢ والبحار ج ١٠ ص ٢٠٥ .

(٢) مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي ج ٩ ص ١٩٣ والبحار ج ١٠ ص ٢٠٥ .

(٣) اللهوف ص ٦٩ وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٩ .

(٤) سماه ابن شهراشوب في المناقب ج ٢ ص ٢٢٢ علي الأصغر ، وذكر السيد ابن طاووس في الاقبال زيارة للحسين يوم عاشوراء وفيها : صلى الله عليك وعليهم وعلى ولدك علي الأصغر الذي فجعت به .

(٥) اللهوف ص ٦٥ .

(٦) البحار ج ١٠ ص ٢٠٣ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٢ .

(٧) في مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٢ لم يرجع منه شيء وذكر —

حجة آل محمد عجل الله فرجه : السلام على عبدالله الرضيع المرمي الصريع المتشحط دماً والمصعد بدمه الى السماء المذبوح بالسهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه (١).

ورب رضيع أرضعته قسيهم ... من النبل ثدياً دره الثر فاطمه
فلهفي له مذ طوق السهم جيده ... كما زينته قبل ذلك تمائمه
هفا لعناق السبط مبتسم اللمى ... وداعاً وهل غير العناق يلائمه
ولهفي على أم الرضيع وقد دجى ... عليها الدجى والدوح ناحت حمائمه
تسلل في الظلماء ترتاد طفلها ... وقد نجمت بين الضحايا علائمه
فمذ لاح سهم النحر ودت لوانها ... تشاطره سهم الردى وتساهمه
أقلته بالكفين ترشف ثغره ... وتلثم نحراً قبلها السهم لاثمه

ــ ابن نما في مثير الأحزان ص٣٦ والسيد في اللهوف ص٦٦ رواية الباقر (ع). وذكر ابن كثير في البداية ج ٨ ص ١٨٦ والقرماني في أخبار الدول ص ١٠٨ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٢ : رمى به نحو السماء ، قال ابن كثير والذي رماه بالسهم رجل من بني أسد يقال له « ابن موقد النار ».

(١) زيارة الناحية المقدسة ، وإني لأرق لأبيات الخطيب الفاضل الأستاذ الحاج سيد محمد جواد شبر فاثرت اثباتها قال :

أعزز علي وأنت تحمل طفلك ... الظامى وحر أوامه لا يبرد
قد بح من لفح الهجيرة صوته ... بمرنة منها يذوب الجلمد
وقصدت نحو القوم تطلب منهم ... ورداً ولكن أين منك المورد
والقوس طوق نحره فكأنه ... خيط الهلال يحل فيه الفرقد
وعلى الربية في الخيام نوائح ... تومى لطفلك بالشجى وتردد

وأدنته للتهدين وهى فتارة تناغيه الطافاً وأخرى تكالمه
بني أفق من سكرة الموت وارتضع بثديك علّ القلب يهدأ هائمه .
بني فقد درّا وقد كضك الظما فملك يطغى من غليلك ضارمه
بني لقد كنت الأنيس لوحشتي وسلواي إذ يسطوا من الهم غاشمه (١)

ثم قال الحسين « ع » هوّن ما نزل بي انه بعين الله تعالى (٢) اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين (٣) واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل (٤) اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله (٥) وسمع عليه السلام قائلا يقول : دعه يا حسين فان له مرضعاً فى الجنة (٦) ثم نزل عليه السلام عن فرسه وحفر له بجفن سيفه ودفنه مرملاً بدمه وصلى عليه (٧) ويقال وضعه مع قتلى أهل بيته (٨) .

---

(١) للعلامة الشيخ محمد تقى آل صاحب الجواهر .

(٢) اللهوف ص ٦٦ .

(٣) مثير الأحزان لإبن نما ص ٣٦ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣٢ .

(٤) تظلم الزهراء ص ١٢٢ . (٥) المنتخب ص ٣١٣ .

(٦) تذكرة الخواص ص ١٤٤ والقمقام لميرزا فرهاد ص ٣٨٥ وفى الإصابة بترجمة ابراهيم بن رسول الله « ص » وتهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ١٠٢ : لما توفى ابراهيم ابن رسول الله « ص » قال النبى : ان له مرضعاً فى الجنة .

(٧) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣٢ والإحتجاج للطبرسى ص ١٦٣ طبع النجف الأشرف . (٨) الإرشاد ومثير الأحزان ص ٣٦ .

لهفي على أبيــه إذ رآه غارت لشـدة الظما عيناه
ولم يجـد شربة ماء للصبي فساقه التقـدير نحو الطلب
وهو على الأبي أعظم الكرب فكيف بالحرمان من بعد الطلب
من دمه الزاكي رمى نحو السما فما أجل لطفـــه وأعظما
لو كان لم يرم به اليها لساخت الأرض بمن عليها
فاحمرت السماء من فيض دمه ويل من الله لهم من نقمه
وكيف حال أُمه حيث ترى رضيعها جرى عليه ما جرى
غادرها كالدرة البيضاء وعاد كالياقوتة الحمراء
حنت عليه حنـــة الفصيل بكته بالاشراق والأصيـل
لهفي لهـا إذ تندب الرضيعا ندبا يحاكي قلبهـا الوجيعا
تقول يا بني يا مؤملي يا منتهى قصدي وأقصى أملي
جف الرضاع حين عز الماء أصبحت لا ماء ولا كلاء
فساقك الظما الى ري الورى كأنما ريك في سهم العدى
يا ماء عيني وحيـاة قلبي من لبلائي وعظيم كربي
رجوت أن تكون لي نعم الخلف وسلوة لي عن مصابي بالسلف
ما خلت أن السهم للفطام حتى أرتني جهرة أيامي (١)

وتقدم الحسين « ع » نحو القوم مصلتاً سيفه آيساً من الحياة ودعا الناس الى البراز فلم يزل يقتل كل من برز اليه حتى قتل جمعاً كثيراً (٢) ثم

---

(١) من أرجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين الإصفهانى « قده » .

(٢) مقتل العوالم ص ٩٧ ومثير الأحزان لإبن نما ص ٣٧ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣٣ .

حمل على الميمنة وهو يقول :

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار (١)

وحمل على الميسرة وهو يقول :

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبي (٢)

قال عبدالله بن عمار بن يغوث : ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شد فيها ولم يثبت له أحد (٣) .

فصاح عمر بن سعد بالجمع : هذا ابن الأنزع البطين ، هذا ابن قتال العرب احملوا عليه من كل جانب ، فأتته أربعة آلاف نبلة (٤) وحال الرجال بينه وبين رحله فصاح بهم : يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا الى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون .

فناداه شمر : ما تقول يا ابن فاطمة ؟ قال : أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً .

---

(١) فى البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٧١ طبع ثانى تحت عنوان « كلام فى الأدب » بعد أن ذكر هذا البيت أتبعه بقوله :

والله من هذا وهــذا جار

(٢) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٩ .

(٤) مناقب ابن شهراشوب ج ٦ ص ٢٢٣ .

قال اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي   قد حان حيني وقد لاحت لوائحه

فقال الشمر : لك ذلك ، وقصده القوم واشتد القتال وقد اشتد به العطش (١) فحمل من نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان في أربعة آلاف فكشفهم عن الماء وأقحم الفرس الماء فلما ولغ الفرس ليشرب قال الحسين : أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتى تشرب ، فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ولما مد الحسين يده ليشرب ناداه رجل : أتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك ؟ فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمة (٢) .

يروى الثرى بدمائهم وحشاه من   ظمأ تطـــاير شعلة قطعاتها
لو قلبت من فوق غلة قلبه   صم الصفا ذابت عليه صفاتها
تبكي السماء له دماً أفلا بكت   ماء لغلة قلبـــه قطراتها
وأحر قلبي يا ابن بنت محمد   لك والعدى بك أنجحت طلباتها

---

(١) اللهوف ص ٦٧ .

(١) البحار ج ١٠ ص ٢٠٤ ومقتل العوالم ص ٩٨ ونفس المهموم ص ١٨٨ والخصائص الحسينية ص ٤٦ باب خصائص الحيوانات .

انى لم أضمن صحة هذا الحديث المتضمن لإمتناع الفرس من الشرب ولرمى الحسين الماء من يده لمجرد قول الأعداء وهو العالم بأنه مكيدة لكن خصائص هذا اليوم المختصة بسيد الشهداء ومن معه على أن يقضوا عطاشى خارجة عن سلك ما نعرفه ولا سبيل لنا إلا التسليم بعد أن كان الإمام عليه السلام حكيما فى أفعاله وأقواله لا يعمل إلا بما تلقاه من جده النبى الذى لا ينطق عن الهوى وكل قضايا الطف محدودة الظرف والمكان لأسرار ومصالح لا يعلمها إلا رب العالمين تعالى شأنه .

منعتك من نيل الفرات فلا هنى للناس بعدك نيلها وفراتها (١)

الوداع الثانى

ثم انه عليه السلام ودع عياله ثانياً وأمرهم بالصبر ولبس الأزر وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم الى خير ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ويعوضكم عن هـذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم (٢).

حقاً لو قيل بأن هذا الموقف من أعظم ما لاقاه سيد الشهداء فى هذا اليوم فان عقائل النبوة تشاهد عماد اخبيتها وسياج صونها وحمى عزها ومعقد شرفها مؤذناً بفراق لا رجوع بعده فلا يدرين بمن يعتصمن من عادية الأعداء وبمن العزاء بعد فقده فلاغر واذا اجتمعن عليه واحطن به وتعلقن باطرافه بين صبي يئن وواهة أذهلها المصاب وطفلة تطلب الامن واخرى تنشده الماء.

إذاً فما حال سيد الغياري ومثال الحنان وهو ينظر «بعلمه الواسع» الى ودائع الرسالة وحرائر بيت العصمـة وهن لا يعرفن إلا سجف العز وحجب الجلال كيف يتراكضن فى هذه البيداء المقفرة بعولة مشجية وهتاف

(١) من قصيدة لآية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله.

(٢) جلاء العيون للمجلسى بالفارسية.

يفطر الصخر الأصم وزفرات متصاعدة من أفئدة حرى فان فررن فعن السلب وإن تباعدن فمن الصرب ولا محامي لهن غير الامام الذي أنهكته العلة .

فلو أن أيوباً رأى بعض ما رأى لقال بلى هـذا العظيمة بلواه

أما عقيلة بني هاشم « زينب الكبرى » فانها تبصر هذا وذاك فتجد عروة الدين الوثقى عرضة للانفصام وحبل النبوة آئلا الى الانصرام ومنار الشريعة الى الخمود وشجرة الامامة الى الذبول .

تنعى ليوث البأس من فتيانها وغيوثها ان عمت البأساء
تبكيهم بدم فقل بالمهجة الحرى تسيل العبرة الحمراء
حنت ولكن الحنين بكى وقد ناحت ولكن نوحها إيماء (١)

والتفت الحسين الى ابنته سكينة التي يصفها للحسن المثنى « بأن الاستغراق مع الله غالب عليها » فرآها منحازة عن النساء باكية نادبة فوقف عليها مصبراً ومسلياً ولسان حاله يقول :

هذا الوداع عزيزتي والملتقى يوم القيامة عند حوض الكوثر
فدع البكاء وللاسار تهيء واستشعر الصبر الجميل وبادر
واذا رأيتيني على وجه الثرى دامي الوريد مبضعاً فتصبر (٢)

فقال عمر بن سعد : ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولا بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم ، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض أزر

(١) من قصيدة لكاشف الغطاء « قده » .

(٢) للخطيب الفاضل الحاج شيخ مسلم ابن الخطيب الشيخ محمد علي الجابري النجفي .

النساء فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن الى الحسين كيف يصنع، فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره (١) .

ورجع الى مركزه يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم (٢). وطلب في هذا الحال ماءاً فقال الشمر : لا تذوقه حتى ترد النار وناداه رجل : يا حسين ألا ترى الفرات كأنه بطون الحيات ؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشاً فقال الحسين : اللهم أمته عطشاً ، فكان ذلك الرجل يطلب الماء فيؤتى به فيشرب حتى يخرج من فيه ومازال كذلك الى أن مات عطشاً (٣) .

ورماه أبو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته فنزعه وسالت الدماء على وجهه فقال : اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة ، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً .

وصاح بصوت عال : ياأمة السوء بئسما خلفتم محمداً في عترته أما انكم لا تقتلون رجلا بعدي فتهابون قتله بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي وأيم الله اني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون .

فقال الحصين : وبماذا ينتقم لك منا يا ابن فاطمة ؟ قال : يلقي بأسكم

---

(١) مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف آل صاحب الجواهر قدس سره .

(٢) اللهوف ص ٦٧ .

(٣) مقاتل أبي الفرج ص ٤٧ ط إيران .

بينكم ويسفك دماءكم ثم يصب عليكم العذاب صباً (١) .

ولما ضعف عن القتال وقف يستريح رماه رجل بحجر على جبهته فسال الدم على وجهه فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه رماه آخر بسهم محدد له ثلاث شعب وقع على قلبه فقال : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ورفع رأسه الى السماء وقال : إلهي انك تعلم انهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره .

ثم أخرج السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب (٢) فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال : هون علي ما نزل بي انه بعين الله فلم يسقط من ذلك الدم قطرة الى الأرض ثم وضعها ثانياً فلما امتلأت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال : هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله (ص) وأنا مخضوب بدمي وأقول : ياجد قتلني فلان وفلان (٣) .

فهوى بضاحية الهجير ضريبة تحت السيوف لحدها المسنون
وقفت له الأفلاك حين هويه وتبدلت حركاتها بسكون
وبها نعاه الروح يهتف منشداً عن قلب والهة بصوت حزين
أضمير غيب الله كيف لك القنا نفذت وراء حجابه المخزون
وتصك جبهتك السيوف وانها لو لا يمينك لم تكن ليمين

---

(١) مقتل العوالم ص ٩٨ ، ونفس المهموم ص ١٨٩ ، ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٤ .

(٢) نفس المهموم ص ١٨٩ ، ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٤ واللهوف ص ٦٨ .

(٣) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٤ واللهوف ص ٧٠ .

ما كنت حين صرعت مضعوف القوى | فأقول لم ترفد بنصر معين
وأما وشيبتك الخضيبة انها | لأبرّ كل إلية ويمين
لو كنت تستام الحياة لأرخصت | منها لك الأقدار كل ثمين
أو شئت محو عداك حتى لا يُرى | منهم على الغبراء شخص قطين
لأخذت آفاق البلاد عليهم | وشحنت قطريها بجيش منون
حتى بها لم تبق نافخ ضرمة | منهم بكل مفاوز وحصون
لكن دعتك لبذل نفسك عصبة | حان انتشار ضلالها المدفون
فرأيت أن لقاء ربك باذلاً | للنفس أفضل من بقاء ضنين
فصبرت نفسك حيث تلتهب الضبا | ضرباً يذيب فؤاد كل رزين
والحرب تطحن شوسها برحاتها | والرعب يلهم حلم كل رصين
والسمر كالأضلاع فوقك تنحني | والبيض تنطبق انطباق جفون
وقضيت نحبك بين أظهر معشر | حملوا بأخبث أظهر وبطون (١)

وأعياه نزف الدم فجلس على الأرض ينوء برقبته فانتهى اليه في هذا الحال مالك بن النسر فشتمه ثم ضربه بالسيف على رأسه وكان عليه برنس فامتلأ البرنس دماً فقال الحسين : لا أكلت بيمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين ثم ألقى البرنس واعتم على القلنسوة (٢) .

---

(١) للسيد حيدر الحلي رحمه الله ، تمامها في ديوانه .

(٢) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣١ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٥ .

محمد بن أبي سعيد

قال هاني بن ثبيت الحضرمي : اني لواقف عاشر عشرة لما صرع الحسين ، إذ نظرت الى غلام من آل الحسين عليه أزار وقميص وفي اذنيه درتان وبيده عمود من تلك الأبنية وهو مذعور يتلفت يميناً وشمالا فأقبل رجل يركض حتى اذا دنا منه مال عن فرسه وعلاه بالسيف وقطعه ، فلما عيب عليه كنى عن نفسه (١) .

وذلك الغلام هو محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب (٢) وكانت امه تنظر اليه وهي مدهوشة (٣) .

عبد الله بن الحسن

ثم انهم لبثوا هنيئة وعادوا الى الحسين وأحاطوا به وهو جالس على الأرض لا يستطيع النهوض فنظر عبدالله بن الحسن السبط « ع » وله

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٨ والبداية لإبن كثير ج ٨ ص ١٨٦ .

(٢) مقاتل أبي الفرج ص ٣٧ ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٥٨ والبداية لإبن كثير ج ٨ ص ١٨٦ ، ومن الغريب ما في المحبر لإبن حبيب ص ٥٦ ونسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٤٦ : ان فاطمة بنت علي بن أبي طالب « ع » كانت عند محمد بن أبى سعيد بن عقيل وزاد فى نسب قريش انها ولدت له حميدة بالتصغير .

(٣) الخصائص الحسينية ص ١٢٩ .

إحدى عشر سنة الى عمه وقـــد أحدق به القوم فأقبل يشتد نحو عمه وأرادت زينب حبسه فأفلت منها وجاء الى عمه وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين فصاح الغلام : يا ابن الخبيثة أتضرب عمي فضربه واتقاها الغلام بيده فأطنها الى الجلد فاذا هي معلقة فصاح الغلام : يا عماه ووقع في حجر الحسين فضمه اليه وقال : يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب فى ذلك الخير فان الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين ورفع يديه قائلا : اللهم ان متعتهم الى حين ففرقهم تفريقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا (١) .

ورمى الغلام حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه (٢) .

وبقى الحسين مطرحاً ملياً ولو شاؤوا أن يقتلوه لفعلوا إلا أن كل قبيلة تتكل على غيرها وتكره الاقدام (٣) .

وأصبح مشتجراً للرماح تحلى الدما منه مرانها
عفيراً متى عاينته الكماة يختطف الرعب ألوانها
فما أجلت الحرب عن مثله صريعـــاً يجبن شجعانها
تريب المحيا تظن السماء بأن على الأرض كيوانها
غريباً أرى يا غريب الطفوف
توسد خديك كثبانها
وقتلك صبراً بأيدٍ أبوك ثناها وكسّر أوثانها

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٩ ومثير الأحزان ص ٣٨ واللهوف ص ٦٨

(٢) مثير الأحزان ص ٣٩ واللهوف ص ٦٨ .

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٥٥ والخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٨ .

أتقضى فداك (حشا العالمين) خميص الحشاشة ظمآ نها (١)

فصاح الشمر ما وقوفكم وما تنتظرون بالرجل وقد اثخنته السهام والرماح احملوا عليه (٢) .

وا أسفاه حملوا عليه من كل جانب أتوا اليه

قد ضربوا عاتقه المطهرا بضربة كبا لها على الثرى (٣)

وضربه زرعة بن شريك على كتفه الايسر ورماه الحصين في حلقه(٤) وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن أنس في ترقوته ثم في بواني صدره ثم رماه بسهم في نحره (٥) وطعنه صالح بن وهب في جنبه (٦)

قال هلال بن نافع كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه فوالله ما رأيت قتيلا قط مضمخاً بدمه أحسن منه وجهاً ولا أنور ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله فاستسقى في هذه الحال ماء فابوا أن يسقوه .

وقال له رجل لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها فقال عليه السلام : أنا أرد الحامية وإنما أرد على جدي رسول الله واسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأشكو اليه ما ارتكبتم مني وفعلتم

---

(١) من قصيدة للسيد حيدر الحلي رحمه الله .

(٢) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٥ ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) المقبولة الحسينية ص ٥٦ للحجة الشيخ هادي كاشف الغطاء .

(٤) الاتحاف بحب الأشراف ص ١٦ .

(٥) اللهوف ص ٧٠ .

(٦) مقتل العوالم ص ١١٠ .

بي فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحدهم من الرحمة شيئاً (١)

فلو أن أحمد قد رآك على الثرى لفرشن منه لجسمك الأحشاء
أو بالطفوف رأت ظماك سقتك من ماء المدامـــع امك الزهراء
ياليت لا عذب الفرات لوارد وقـــلوب ابناء النبي ظماء
كم حرة نهب العدى أبياتها وتقاسمت أحشاءها الأرزاء
تعدو وتدعو بالحماة ولم يكن بسوى السياط لها يجاب دعاء
تعدو فان عادت عليها بالعدى عدو العوادي الجرد والأعداء
هتفت تثير كفيلها وكفيلها قد أرمضته في الثرى الرمضاء (٢)

الدعاء

ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم متعال المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلايق عريض الكبرياء قادر على ماتشاء قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمة حسن البلاء قريب إذا دعيت محيط بما خلقت قابل التوبة لمن تاب اليك قادر على ما أردت تدرك ما طلبت شكور إذا شكرت ذكور إذا ذكرت أدعوك محتاجاً وأرغب اليك فقيراً وأفزع اليك خائفاً وأبكي مكروباً وأستعين بك ضعيفاً وأتوكل عليك كافياً اللهم احكم بيننا وبين قومنا فانهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن

(١) ابن نما ص ٣٩ .
(٢) من قصيدة لحجة الاسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

عترة نبيك وولد حبيبك محمد (ص) الذي اصطفيته بالرسالة وأئتمنته على الوحي فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجا ياأرحم الراحمين (١).

صبراً على قضائك يارب لا إله سواك ياغياث المستغيثين (٢) مالي رب سواك ولا معبود غيرك صبراً على حكمك ياغياث من لا غياث له يادائماً لا نفاد له يامحيي الموتى ياقائماً على كل نفس بما كسبت احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين (٣)

فان يك اسماعيل أسلم نفسه ... إلى الذبح في حجر الذي هو راحمه
فعاد ذبيح الله حلقاً ولم تكن ... تصافحه بيض الظبا وتسالمه
فان حسيناً أسلم النفس صابراً ... على الذبح فى سيف الذي هو ظالمه
ومن دون دين الله جاد بنفسه ... وكل نفيس كي تشاد دعائمه
ورضت قراه العاديات وصدره ... وسيقت على عجف المطايا كرائمه (٤)

الجواد

وأقبل الفرس يدور حوله ويلطخ ناصيته بدمه (٥) فصاح ابن سعد

---

(١) مصباح الكفعمي والاقبال.

(٢) اسرار الشهادة ص ٤٢٣.

(٣) رياض المصائب ص ٣٣.

(٤) من قصيدة للعلامة الشيخ محمد تقى آل صاحب الجواهر.

(٥) امالي الصدوق ض ٩٨ مجلس ٣٠ ومقتل الخوارزمى ص ٣٧ وتظلم الزهراء ص ١٢٨.

دونكم الفرس فانه من جياد خيل رسول الله (ص) فأحاطت به الخيل فجعل يرمح برجليه حتى قتل أربعين رجلا وعشرة أفراس فقال ابن سعد دعوه لننظر ما يصنع فلما أمن الطلب أقبل نحو الحسين يمرغ ناصيته بدمه ويشمه ويصهل صهيلا عالياً (١) قال أبو جعفر كان يقول :

(الظليمة ، الظليمة ، من أمة قتلت ابن بنت نبيها) وتوجه نحو المخيم بذلك الصهيل (٢) « فلما نظرن النساء إلى الجواد مخزياً والسرج عليه ملوياً خرجن من الخدور ناشرات الشعور على الخدود لاطمات وللوجوه سافرات وبالعويل داعيات وبعد العز مذللات وإلى مصرع الحسين مبادرات » (٣)

فواحدة تحنو عليه تظمه وأخرى عليه بالرداء تظلل
وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها وأخرى تفديه واخرى تقبل
وأخرى على خوف تلوذ بجنبه وأخرى لما قد نالها ليس تعقل (٤)

ونادت أم كلثوم واحمداه وا أبتاه واعلياه واجعفراه واحمزتاه هذا حسين بالعراء صريع بكربلا (٥) ونادت زينب وا أخاه واسيداه وا أهل بيتاه ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل (٦)

---

(١) تظلم الزهراء ص ١٢٩ والبحار ج ١٠ ص ٢٠٥ .
(٢) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٧ .
(٣) زيارة الناحية المقدسة .
(٤) من قصيده للحاج هاشم الكعبي .
(٥) البحار ج ١٠ ص ٢٠٦ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٧
(٦) اللهوف ص ٧٣ .

وانتهت نحو الحسين وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه والحسين يجود بنفسه فصاحت أي عمر أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر اليه فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته (١) .

فقالت ويحكم أما فيكم مسلم فلم يجبها أحد (٢) ثم صاح ابن سعد بالناس انزلوا اليه وأريحوه فبدر اليه شمر فرفسه برجله وجلس على صدره وقبض على شيبته المقدسه وضربه بالسيف اثنتى عشرة ضربة (٣) واحتز رأسه المقدس.

سلبه

وأقبل القوم على سلبه فأخذ عمر بن سعد درعه البتراء وأخذ اسحاق ابن حوية قميصه وأخذ الأخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامته وأخذ الأسود بن خالد نعليه وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي ويقال رجل من بني تميم اسمه الاسود بن حنظلة وجاء بجدل فرأى الخاتم في أصبعه والدماء عليه فقطع اصبعه وأخذ الخاتم وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته (٤) وكان يجلس عليها فسمي قيس قطيفة «٥» وأخذ ثوبه الخلق جعونة بن

(١) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٢ .

(٢) الارشاد .

(٣) مقتل العوالم ص ١٠٠ ومقتل الخوارزمى ج ص ٧٣ .

(٤) اللوف ص ٧٣

(٥) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣٨ و كامل ابن الأثير ج ٤ ص٣٢

حوية الحضرمي وأخذ القوس والحلل الرحيل بن خيثمة الجعفي وهاني ابن شبيب الحضرمي وجرير بن مسعود الحضرمي (١) وأخذ رجل منهم تكة سرواله وكان لها قيمة وذلك بعدما سلبه الناس يقول أردت أن أنزع التكة وضع يده اليمنى عليها فلم أقدر على رفعها فقطعت يمينه فوضع يده اليسرى عليها فلم أقدر على رفعها فقطعتها وهممت بنزع السروال فسمعت زلزلة فخفت وتركته وغشي علي وفي هذه الحال رأيت النبي وعلياً وفاطمة والحسن وفاطمة تقول : يابني قتلوك قتلهم الله فقال لها يا أم قطع يدي هذا النائم فدعت علي وقالت : قطع الله يدك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك النار فذهب بصري وسقطت يداي ورجلاي فلم يبق من دعائها إلا النار (٢) .

واصريعاً عالج الموت بلا
شد لحيين ولا مد ردا
غسلوه بدم الطعن وما
كفنوه غير بوغاء الثرى
قتلوه بعد علم منهم
انه خامس اصحاب الكسا
يارسول الله يافاطمة
يا أمير المؤمنين المرتضى

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٤

(٢) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ١٠٢

عظم الله لك الأجر بمن

كض أحشاه الظما حتى قضى

ضارباً في كربلا خيمته

ثم ما خيم حتى قوضا

ميت تبكي له فاطمة

وأبوها وعلي ذو العلا

لو رسول الله يحيي بعده

قعد اليوم عليه للعزا

حملوا رأساً يصلون على

جده الأكرم طوعاً وإبا

يتهادى بينهم لم يقتضوا

عمم الهام ولا حلوا الحبا

يارسول الله لو عاينتهم

وهم ما بين قتلى وسبا

من رميض يمنع الظل ومن

عاطش يسقى أنابيب القنا

ومسوق عاثر يسعى به

خلف محمول على غير وطا

لرأت عينك منهم منظراً

للحشا شجواً وللعين قذى

ليس هـذا لرسول الله يا
أمة الطغيان والبغي جزا

جزروا جزر الاضاحي نسله
ثم ساقوا أهله سوق الاما

هاتفات برسول الله في
بهر السير وعثرات الخطا (١)

---

(١) للشريف الرضي اعلى الله مقامه



حوادث

بعد الشهادة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أهل الكوفة : أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فريتم ، وأي دم له سفكتم ، وأي كريمة له أبرزتم ، وأي حرمة له انتهكتم ، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ؟

العقيلة

زينب بنت أمير المؤمنين

عليهما السلام

الليلة الحادية عشر

يا لها من ليلة بائسة مرت على بنات رسول الله « ص » بعد ذلك العز الشامخ الذي لم يفارقهن منذ أوجد الله كيانهن فلقد كنّ بالأمس في سرادق العظمة واخبية الجلالة تشع نهارها بشمس النبوة ويضيء ليلها بكواكب الخلافة ومصابيح أنوار القداسة ، وبقين في هذه الليلة فى حلك دامس من فقد تلك الأنوار الساطعة بين رحل منتهب وخباء محترق وفرق سائد وحماة صرعى ولا محامي لهن ولا كفيل لا يدرين من يدفع عنهن إذا دهمن داهم ومن الذي يرد عادية المرجفين ومن يسكن فورة الفاقدات ويخفض من وجدهن .

نعم كان بينهن صراخ الصبية وأنين الفتيات ونشيج الولهى ، فأُم طفل فطمته السهام ، وشقيقة مستشهد ، وفاقدة ولد ، وباكية على حميم ، والى جنبهن اشلاء مبضعة وأعضاء مقطعة ونحور دامية وهن في فلاة من الأرض جرداء .

وعلى مطلع الأكمة جحفل الغدر تهزهم نشوة الفتح وطيش الظفر ولؤم الغلبة وعلى هذا كله لا يدرين بماذا ينبلج لسان الصباح وبماذا ترتفع عقيرة المنادي أبالقتل أم بالأسر ، ولا من يدفع عنهن غير الامام العليل الذي لم يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضراً وهو على خطر من القتل .

ومرضعة هبت بها لرضيعها عواطف أم أثكلت طفلها صبراً

رأت مهده بالحزن يطفح بعده ... وقد كان فيه قبل يطفح بالبشرى
وأثقل ثدييها من الدر خالص ... على طفلها فيـه تعودت الدرا
تخف الى مثوى الرضيع لعلها ... ترى رمقاً فيه يغذّى بما درا
فلم تر إلا جثـة فوق مذبح ... بها علق السهم الذي ذبح النحرا
فخرّت وأحنت فوقه من تعطف ... أضالعها ظلاً تقيـه به الحرا
وضمته مذبوح الوريد لصدرها ... ومن دمه المسفوح خضبت الصدرا
وودت ومن أوداجه تنضح الدما ... لو أن بذاك السهم أوداجها تفرى
وأضحت على مثواه تفرغ قلبها ... حنيناً فترثيـه بما يفضل الشعرا
فطوراً تناغيـه وطوراً بلهفة ... تعانق جيداً منه قد زين الدرا
وتعطف طوراً فوقـه فتشمه ... بمنحره الدامي وتلثمـه أخرى
فيالك من ثكلى بكت بزفيرها ... وأدمعها الخنساء حين بكت صخرا
ولم يبق منها وجـدها وحنينها ... سوى قفص للخلد طائره فرا (١)

لقد عم الاستياء في هذه الليلة عالم الملك والملكوت وللحور في غرف الجنان صراخ وعويل وللملائكة بين أطباق السماوات نشيج ونحيب وندبته الجن في مكانها (٢) وتصايحت الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار والطير في الأجواء وبكاه ما يرى وما لا يرى إلا البصرة والشام وآل

(١) من قصيدة فى الحسين للعلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسى .

(٢) اكام الجان للشيخ بدر الدين محمد بن عبدالله الشبلى الحنفى المتوفى سنة ٧٦٩ ص ١٤٦ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٤١ ومجمع الزوائد لإبن حجر ج ٩ ص ١٩٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٣٩ والكواكب الدرية للمناوى ج ١ ص ٥٦ .

أبي العاص (١) .

فأظهر من دان بولايتهم وانضوى الى رايتهم الفرح بقتل سيد الشهداء ، ففي حديث الباقر « ع » : جددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً بقتل الحسين « ع » ـ مسجد الأشعث ومسجد جرير ومسجد سماك ومسجد شبث بن ربعي ـ (٢) ونذرت نساء بني إود أن تنحر كل واحدة منهن عشرة من الابل إن قتل الحسين « ع » وقد وفين بذلك (٣) .

ويحدث هشام بن السائب الكلبي عن أبيه انه قال : أدركت « بني إود » وهم يعلمون أبناءهم وخدمهم سب علي بن أبي طالب « ع » وقد دخل رجل منهم يقال له عبدالله بن إدريس بن هاني على الحجاج الثقفي وكلمه بكلام أغلظ له الحجاج في الجواب فقال : لا تقل هذا يا أمير فلا لقريش منقبة ولا لثقيف منقبة يعتدون بها إلا ونحن نعتد بمثلها قال الحجاج : وما مناقبكم ؟ قال « ما ينقص عثمان » ولا يذكر بسوء في نادينا قط ولا رؤي خارجي منا قط ولم يشاهد أحد منا مع « أبي تراب » في مشاهده إلا رجل واحد فأسقط ذكره عندنا فلا قدر له عندنا ولا قيمة ولم يتزوج أحد منا امرأة إلا ويسأل عن حبها لأبي تراب أو انها تذكره بخير فان قيل له تفعل ذلك اجتنبها ولم يتزوجها ولم يولد لنا ذكر وسميناه علياً أو حسناً أوحسيناً ولا ولدت لنا جارية وسميناها فاطمه ونذرت امرأة منا حين أقبل الحسين « ع » الى العراق إن قتل تنحر عشرة من الابل

---

(١) كامل الزيارات لإبن قولويه المتوفى سنة ٣٦٧ ص ٨٠ .

(٢) التهذيب للشيخ الطوسى ج ١ ص ١٩٢ فى فضل المساجد .

(٣) شرح النهج لإبن أبى الحديد ج ١ ص ٣٥٧ .

فلما قتل وفت بنذرها وقال لنا عبد الملك : يا بني إود أنتم الشعار دون الدثار وأنتم الأنصار بعد الأنصار وليس في الكوفة ملاحة إلا ملاحة بني إود ، فضحك الحجاج ثم دعي هذا الرجل الى البرائة من علي قال : وأزيدكم حسناً وحسيناً (١) .

ولعل هذا الرجل من بني إود الموالي لأمير المؤمنين « ع » هو عافية ابن شداد بن ثمامة بن سلمة بن كعب بن إود بن صعب بن سعد العشيرة فان ابن حزم ذكر إنه كان مع علي « ع » يوم صفين ثم نقل عن المسعودي انه قال : طفت البلاد ولقيت الناس ، فما لقيت إودياً إلا متعصباً لبني امية مائلا عن علي « ع » (٢) .

ويقول ابن أبي الحديد : بنى عبيدالله بن زياد بالبصرة أربعة مساجد تقوم على بغض علي بن أبي طالب « ع » (٣) .

ليس هذا لرسول الله يا　　امة الطغيان والبغي جزا
لو رسول الله يحيي بعده　　قعد اليوم عليه للعزا

رأته ام سلمة (٤) في المنام أشعث مغبراً وعلى رأسه التراب فقالت له :

---

(١) فرحة الغرى للسيد عبد الكريم بن طاووس ص ١١٣ المطبعة الحيدرية .

(٢) جمهرة أنساب العرب لإبن حزم ص ٣٨٦ .

(٣) شرح النهج لإبن أبى الحديد ج ١ ص ٣٦٨ .

(٤) قال إبن الأثير فى الكامل ج ٣ ص ٣٨ يستقيم هذا بناء على وفاتها بعد الخمسين ، وفى الإصابة ج ٤ ص ٤٦٠ بترجمتها عن إبن حبان : ماتت أم سلمة سنة ٦١ ، وقال أبو نعيم : ماتت سنة ٦٢ وهى آخر امهات —

يا رسول الله مالي أراك أشعث مغبراً ؟ قال قتل ولدي الحسين ومازلت أحفر القبور له ولأصحابه (١) ، فانتبهت فزعة ونظرت الى القارورة التي فيها تراب أرض كربلا فاذا به يفور دماً (٢) وهو الذي دفعه النبي « ص » اليها وأمرها أن تحتفظ به وزاد على ذلك سماعها فى جوف الليل هاتفاً ينعى الحسين « ع » فيقول :

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ابشروا بالعذاب والتنكيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الأنجيل (٣)
كل أهل السماء يدعوا عليكم من نبي ومرسل وقتيل (٤)

ـ المؤمنين ، وعند الواقدى : ماتت سنة ٥٩ وفى تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ٣٦٢ عن احمد بن أبي خيثمة : ماتت فى ولاية يزيد بن معاوية وفى مرآة الجنان لليافعى ج ١ ص ١٣٧ : توفيت ام سلمة ام المؤمنين سنة ٦١ ، وابن كثير فى البداية وإن تبع الواقدى إلا انه قال الأحاديث المتقدمة فى مقتل الحسين تدل على انها عاشت الى ما بعد مقتله .

(١) أمالى ابن الشيخ الطوسى ج ٣ ص ٥٦ ، وفى تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٦ ، وذخائر العقبى للمحب الطبرى ص ١٤٨ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٣٩ : ان ام سلمة رأت رسول الله فى المنام وأخبرها بقتل الحسين عليه السلام .

(٢) مرآة الجنان لليافعى ج ١ ص ١٣٤ ، وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٨ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٩٥ .

(٣) الى هنا فى مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٩٥ .

(٤) الأبيات الثلاثة فى تاريخ إبن عساكر ج ٤ ص ٣٤١ .

وكانت تسمع في جوف الليل أصوات نعي الحسين ولم تر أحداً فمن ذلك :

ألا يا عين فاحتفلي بجهدي ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا الى متجبّر في ملك عبدي (١)

ولما سمع ابن عباس بكاءها أسرع اليها يسألها الخبر فأعلمته بأن ما في القارورتين يفور دماً (٢) وفي يوم عاشوراء رأى ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وآله أشعث مغبراً وبيده قارورة فيها دم فقال له : بأبي أنت وأمي ماهذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم (٣) .

---

(١) تاريخ إبن عساكر ج ٤ ص ٣٤١ والخصائص للسيوطي ج ٢ ص ١٢٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٩ وتقدم في ص ١٨٧ انهم لما نزلوا (زرود) سمعت زينب هاتفاً يقول : « ألا يا عين . . . الخ » .

(٢) حديث القارورتين في معالم الزلفى ص٩١ باب ٤٩ ومدينة المعاجز ص ٢٤٤ باب ٤٩ كلاهما للسيد هاشم البحراني ، ومنتخب الطريحي ص ٣٣٥ المطبعة الحيدرية ـ الطبعة الثالثة .

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٤٠ والخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٦ وتاريخ الخلفاء ص ١٣٩ كلاهما للسيوطي ومرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ١٣٤ ، ومسند احمد ج ١ ص ٢٤٢ ، والكواكب الدرية للمناوي ج ١ ص ٥٦ ، وذخائر العقبى للمحب الطبري ص ١٤٢ ، وتهذيب التهذيب لإبن حجر ج ٢ ص ٣٥٥ ، وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٨ ، والصواعق المحرقة ص ١١٦ .

ولأجل بقاء الحسين عارٍ على وجه الصعيد ثلاثاً وهو علة الكائنات لاشتقاقه من نور النبي « ص » الذي علة العلل المتفرع من الشعاع الآلهي الأقدس .

اظلمت الدنيا ثلاثة أيام (١) واسودت سواداً عظيماً (٢) حتى ظن الناس ان القيامة قامت (٣) وبدت الكواكب نصف النهار (٤) وأخذ بعضها يضرب بعضاً (٥) ولم ير نور الشمس (٦) ، ودامت الدنيا على هذا

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ والخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٦ والخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٩ وتذكرة الخواص ص ١٥٥ والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) الاتحاف بحب الاشراف ص ٢٤ ، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٤ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٣) الصواعق المحرقة ص ١١٦ والأتحاف ص ٢٤ .

(٤) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٤ والصواعق المحرقة ص ١١٦ والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٨٩ .

(٥) الأتحاف بحب الأشراف ص ٢٤ والصواعق المحرقة ص ١١٦ وتاريخ إبن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ وتاريخ الخلفاء ص ١٣٨ والكواكب الدرية ج ١ ص ٥٦ .

(٦) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٧ وتاريخ الخلفاء ص ١٣٨ والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٨٩ والأتحاف ص ٢٤ والصواعق ص ١١٦ والكواكب الدرية ج ١ ص ٥٦ .

ثلاثة أيام (١) ولا غرابة في إضمحلال نور الشمس في المدة التي كان فيها سيد شباب أهل الجنة عارٍ على وجه الصعيد إذ هو العلة في مجرى الكون لما عرفت من اشتقاقه من الحقيقة المحمدية التي هي علة العلل والعقل الأول وحديث عرض الولاية على الموجودات فمن قبل عمت فائدته ومن أبى عرى عن الفائدة يؤكد ذلك .

واذا صح الحديث بتغير الكون لأجل إبراز عظم نبي من الأنبياء حتى غامت السماء ومطرت حين استسقى به أحد علماء النصارى في سر من رأى (٢) مع انه لم يكشف عن جسد ذلك النبي ولا كانت أعضاؤه مقطعة فاذاً كيف لا يتغير الكون ولا يمحى نور الشمس والقمر وقد ترك سيد شباب أهل الجنة على وجه الصعيد مجرداً ومثلوا بذلك الهيكل القدسي كل مثله .

ما للسماء غداة أردى لم تمر	والأرض يوم أصيب لم تتصدع
إني لاعذر بعده بدر الدجي	لولم يلح والشمس لو لم تطلع
والشهب لو أفلت وهذي السحب لو	هي أقلعت والوحش لولم ترتع
والماء لو لم يصف والأشجار لو	لم تزه والأطيار لولم تسجع
والريح عند هبوبها لو أنها	جاءت عواصفها بريح زعزع
وحرمت شرب الماء إن أنا عنده	لم ألف مكتئباً ولم استرجع

(١) كامل الزيارات ص ٧٧ - وهذا معنى ما تقدم من أن الدنيا اظلمت ثلاثة أيام .

(٢) الخرايج للراوندى ص ٦٤ طبع الهند في معجزات الحسن العسكرى عليه السلام .

رمت العدى قلبي بسهم الغدر إن لم يشجني رفع الكريم الأرفع
وحملت فوق أجب عار ظالع إن أنس حمل بنيه فوق الظلع (١)

بلي لقد تغيرت اوضاع الموجودات واختلف الكائنات فبكته الوحوش وجرت دموعها رحمة له قال أمير المؤمنين «ع» بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة والله كأني أنظر إلى الوحوش مادة أعناقها على قبره تبكيه ليلا حتى الصباح (٢) ومطرت السماء دماً (٣) فاصبحت الجباب والجرار وكل شيء ملآن دماً (٤) وحتى بقي أثره على البيوت والجدران مدة (٥) ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط (٦) حتى في بيت المقدس (٧) ولما دخل

---

(١) للشيخ محمد بن شريف بن فلاح الكاظمي صاحب القصيدة الكرارية في مدح أمير المؤمنين ونظمها سنة ١١٦٦ وقرضها ثمانية عشر شاعراً من أدباء عصره والعينية تبلغ ٣٩ بيتاً في مجموعة عند الحجة الأميني صاحب « الغدير »

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه ص ٨٠

(٣) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٦ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ وتذكرة الخواص ١٥٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٨٩ الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٩ والاتحاف بحب الأشراف ص ٢٥ والصواعق المحرقة ص ١١٦ والمناقب لابن شهراشوب المتوفى سنة ٥٨٨ ج ٢ ص ٢٠٦

(٤) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٦

(٥) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ والصواعق المحرقة ص ١١٦

(٦) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ والصواعق المحرقة ص ١١٦

(٧) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٩٦ والخصائص الكبرى ج ٢ —

الرأس المقدس إلى قصر الاماره سالت الحيطان دماً (١) وخرجت نار من بعض جدران قصر الامارة وقصدت « عبيدالله بن زياد » فقال لمن حضر عنده اكتمه (٢) وولى هارباً منها فتكلم الرأس الشريف بصوت جهوري : إلى أين تهرب ياملعون فان لم تنلك في الدنيا فهي فى الآخرة مثواك ولم يسكت الرأس حتى ذهبت النار فأدهش من في القصر (٣) ومكث الناس شهرين أو ثلاثة يرون الجدرانِ ملطخة بالدم ساعة تطلع الشمس وعندغروبها(٤) وحديث الغراب المتلطخ بدم الحسين وقد طار إلى المدينة ووقع على جدران فاطمه ابنة الحسين الصغرى ومنه استعلمت قتل أبيها «ع» ولما نعته إلى أهل المدينة قالوا جاءت بسحر بني عبدالمطلب وما اسرع أن جاء الخبر بشهادته يرويه الموفق أخطب خوارزم أحمد بن مكي المتوفى سنة ٥٦٨ في مقتل الحسين ج ٢ ص ٩٢ ولا غرابة فيه بعد المصادقة على وجود ابنة للحسين غير فاطمة وسكينة فان شهادته «ع» احتفت بالكثير من خوارق العادة أراد الجليل عز شأنه اعلام الامة الحاضرة والأجيال المتعاقبة الواقفين على هذه

-ص ١٢٦ وتاريخ الخلفاء ص ١٣٨ للسيوطى والعقد الفريد ج ٢ ص ٣١٥ والكواكب الدرية للمناوى ج ١ ص ٥٦ والمقتل للخوارزمى ج ٢ ص ٩٠

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ والصواعق المحرقة ص ١١٦

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٦ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٠٣ ومقتل الخوازمى ج ٢ ص ٨٧ والمنتخب للطريحى ص ٣٣٨ .

(٣) شرح قصيدة أبى فراس ١٤٩ .

(٤) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٧ والكواكب الدريه ج ١ ص ٥٦ وتذكرة الخواص ص ١٥٥ .

الملحمة التى لم ينتج الدهر مثلها بالقساوة التى استعملها الأمويون مع أبي عبدالله المستشهد على المجزرة الالهية وفي ذلك توجيه الأنظار إلى كرامة الحسين عند الله وان قتلته سوف تكون مدحرة للاضاليل واحياء للدين الذي أراد بقاءه رب العالمين إلى يوم يبعثون .

ويحدث دعبل الخزاعي عن أبيه عن جده ان امه سعدى بنت مالك الخزاعية أدركت الشجرة التى كانت عند أم معبد الخزاعية وهي يابسة وببركات وضوء النبي (ص) في أسفلها أورقت وأثمرت ثمراً كثيراً ولما قبض النبي (ص) قل ثمرها ولما قتل أميرالمؤمنين «ع» تساقط ثمرها وكانوا يتداوون بورقها وبعد برهة نظروا اليها وإذا ساقها ينبع دماً فأفزعهم هذا الحادث الذي لم يشاهد مثله ولما أظلم الليل سمعوا بكاء وعويلا ولم يروا أحداً وقائل يقول :

يا ابن الشهيد وياشهيداً عمه ... خير العمومة جعفر الطيار
عجباً لمصقول أصابك حده ... فى الوجه منك وقد علاك غبار

وبعد ذلك جاء الخبر بقتل الحسين في الوقت الذي شاهدوا منها هذه الغريبة وقدم دعبل الخزاعي ثلاثة أبيات لهذين البيتين فقال :

زر خير قبر بالعراق يزار ... واعص الحمار فمن نهاك حمار
لم لا ازورك ياحسين لك الفدى ... قومي ومن عطفت عليه نزار
ولك المودة في قلوب ذوي النهى ... وعلى عدوك مقتة ودمار (١)

ومعنى البيت الثاني من البيتين أخذه بعض شعراء الشيعة الأقدمين فنظمه في ثلاثة أبيات فقال :

( ) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ١٠٠

عجباً لمصقول علاك فرنده يوم الهياج وقد علاك غبار
ولأسهم نفذتك دون حرائر يدعون جدك والدموع غزار
هلا تكسرت السهام وعاقها عن جسمك الاجلال والاكبار (١)

ولم يمس أحد من الزعفران الذى نهبوه إلا احترق البدن وعاد الورس رماداً والابل المنهوبة صار لحمها مثل العلقم وكانوا يرون النار يخرج منها (٢).

ولم تعرف الحمرة في السماء إلا يوم قتل الحسين «ع» (٣) قال ابن الجوزى كل واحد من الناس إذا غضب أثر الغضب في وجهه ولما تنزه «الحق» جل شأنه عن الجسمية أظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق اظهاراً لعظيم الجناية ثم قال لقد منع النبي «ص» من النوم أنين عمه العباس ابن عبد المطلب لما أسر يوم بدر وأوثق كتافاً فكيف به لو يسمع انين الحسين عليه السلام ؟ ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له النبي «ص» غيب وجهك عني فاني لا أحب أن ارى قاتل الأحبة مع ان الاسلام يجب ما قبله فكيف به لو يرى من ذبح ولده وحمل اهله على اقتاب الجمال (٤)

بل لقد حضر رسول الله «ص» المعركة وشاهد اولئك الجمع المتألب على استئصال أهله من جديد الأرض ورأى منه عويل الأيامى ونشيج

---

(١) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٣٨٠
(٢) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٦ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٩٦ والكواكب الدرية ج ١ ص ٥٦ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٩٠ .
(٣) الصواعق المحرقة ٦ .
(٤) تذكرة الخواص ص ١٥٤ والصواعق المحرقة ص ١١٦ .

الفاقدات وصراخ الصبية من الظمأ وقد سمع العسكر صوتاً هائلا : ويلكم يا أهل الكوفة إني أرى رسول الله «ص» ينظر إلى جمعكم مرة وإلى السماء اخرى وهو قابض على لحيته المقدسة . لكن الهوى والضلال المستحكم في نفوس ذلك الجمع المغمور بالأطماع اوحى اليهم « انه صوت مجنون » فصاح الجمع لا يهولنكم ذلك وكان ابو عبدالله الصادق «ع» يقول : لا اراه إلا جبرئيل (١) .

وصاح بعض الملائكة : ألا أيتها الأمة المتحيرة الضالة بعد نبيها لا وفقكم الله لاضحى ولا فطر قال الامام الصادق «ع» : لا جرم والله ما وفقوا ولا يوفقون حتى يثور ثائر الحسين «ع» (٢) .

وهب دم يحيي قد غلا قبل في الثرى ... فان حسيناً فى القلوب غلا دمه
وان قر قدما مذ دعا بخت نصر ... بثارات يحيي واستردت مظالمه
فليست دماء السبط تهدأ قبل أن ... يقوم باذن الله للثأر قائمه «٣»

وحدث الشيخ البهائي ان أباه الشيخ حسين بن عبدالصمد الحارثي دخل مسجد الكوفة فوجد فص عقيق مكتوب عليه :

انا در من السما نثروني ... يوم تزويج والد السبطين
كنت اصفى من اللجين بياضاً ... صبغتني دماء نحر الحسين «٤»

---

(١) كامل الزيارات .

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ص ١٤٨ .

(٣) من قصيدة للعلامة الشيخ محمد تقي الجواهري .

(٤) كشكول الشيخ يوسف البحراني ص ١٧ طبع الهند عن كشكول الشيخ البهائي .

الليلة الحادية عشرة عند الحسين

فاللازم على الموالي للأئمة المعصومين عليهم السلام المبيت في الليلة الحادية عشر عند قبر المظلوم «ع» وعليه ملامح الاستياء وشعار الحزن على ذلك الفادح الجلل بين انـــة وحنة وصراخ وعولة كأنه ينظر من كثب إلى ضحايا آل محمد مضرجين بالدماء تسفي عليهم الريح بوغاء الثرى وهي اشلاء مقطعة قد طعمتها سمر الرماح و نهلت من دمائها بيض الصفاح وطحنتها سنابك الخيل العادية .

ويرنو من أمم إلى عقائل بيت الوحى تذرف الدمع على تلك الجثث الزواكي فمن نادبة إلى صارخـــة ومن ناشجة إلى لاطمة صدرها و ناشرة شعرها «١» فيواسيها المتصور ببكائه المتواصل وعقيرته المرتفعة وعبرته الغزيرة ومن المقطوع به ان في هذه الحالة صلة للصديقة الطاهرة فاطمـة الزهراء ومواساة لها وفيها جلب رغبات أئمة الهدى عليهم السلام على ما يستأنس به من الآثار الواردة في امثال هذا في سائر الاحول .

وهناك احاديث ربما يستفيد المتأمل منها هذه النظرية ففى الحديث عن مالك الجهني عن ابي جعفر «ع» من زار الحسين يوم عاشوراء حتى يظل

---

(١) روى الشيخ الطوسى فى التهذيب ج ٢ ص ٢٨٣ آخر النـذور عن الصادق « ع » انه قال : ولقد شققن الفاطميات الجيوب على الحسين ولطمن الخدود وعلى مثل الحسين فلتلطم الخدود ولتشق الجيوب .

عنده باكياً لقى الله يوم القيامة بثواب الفي الف حجة والفي الف عمره والفى الف غزوة مع رسول الله والأئمة الراشدين «١»

وقد أفاد علماء العربية ان «ظل» تستعمل فيمن أقام فى المكان نهاراً إلى الليل (٢) والاقامة إلى الليل وإن لم يستلزم المبيت في الليلة المتعقبه للنهار إلا أن حديث جابر الجعفى عن أبي عبدالله «ع» ربما يساعد عليه فانه قال من زار الحسين يوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه (٣) فان الظاهر منه ارادة المبيت المتعقب لليوم لا السابق عليه وإلا لقال عليه السلام من بات ليلة عاشوراء عند الحسين وزار يومه وظل باكياً كان له كذا و كذا .

على ان الاعتبار يساعد على ان المقيم عند قبر «الذبيح العطشان» في تمام اليوم أن لا يرتحل عنه فى هذه الليلة التي لم يمر مثلها على بنات

---

(١) كامل الزيارات ص ١٧٤ .

(٢) فى تاج العروس ج٧ص٤٢٦ مادة ظل عن الشهاب الخفاجي ان ظل فعل ناقص يفيد ثبوت الخبر فى جميع النهار وفى شرح الكافية للرضى ص ٢٧٨ مبحث الأفعال الناقصة معنى ظل زيد متفكراً كان فى جميع النهار كذلك فاقترن مضمون الجملة وهو تفكر زيد بجميع النهار مستغرقاً له ومعنى بات زيد مهموماً انه فى جميع الليل كذلك وفى شرح الصمدية للسيد علي خان ص ٥٩ طبع ايران تفيد ظل وبات ثبوت الخبر للاسم فى جميع النهار والليل وعلى ذلك جرى الزمخشري فى المفصل ص ٢٦٧ مصر وقد يستعملان بمعنى صار مع القرينة .

(٣) كامل الزيارات ص ١٧٣ باب ٧١ .

رسول الله ودائع الخلافة وهن في تلك الفلاة الجرداء قد فقدن البدور النيرة والاباة الصفوة وإلى جنبهن الأشلاء المقطعة بسيوف البغي والضلال وهن في فرق سائد لا يدرين ماذا يصدر عليهن من اعداء الله واعداء رسوله فيكون الموالي لهم البائت تلك الليلة عند القبر مشعراً بحزنه وبكائه إلى أسفه بتأخره عن الحضور بالفوز الأكبر فيكثر من قول : ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيما (١) ويواسي سيدة النساء الباكية على مهجتها الممنوع من الورود ولقد رأتها في المنام ذرة النائحة واقفة على قبر الحسين « ع » تبكي وأمرتها أن تنشد :

أيها العينان فيضا ... واستهلا لا تغيضا

وابكيا بالطف ميتاً ... ترك الجسم رضيضا

لم أمرضه قتيلا ... لا ولا كان مريضا (٢)

ويحدث القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي عن أبيه ان ابا الحسن الكاتب كان يسأل عن ابن أصدق النائح فلم يعرفه من كان في المجلس من أهل الكرخ غيري فقلت له ما القصة قال ابو الحسن الكاتب : عندي جارية كثيرة الصيام والتهجد وهي لا تقيم كلمة عربية صحيحة فضلا عن أن تروي

---

(١) فى عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ص ٦٦ من حديث عن الرضا « ع » قال لابن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية فى الجنة مع النبى « ص » فالعن قتلة الحسين « ع » وقل متى ذكرته ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما .

(٢) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ١٨٩ ايران عن أمالي المفيد النيسابورى .

شعراً والغالب على لسانها النبطية انتبهت البارحة فزعة ترتعد ومرقدها قريب من موضعي فصاحت بي : يأبا الحسن الحقني قلت : ما أصابك قالت : إني صليت وردي ونمت فرأيت كأني في درب من دروب الكرخ وإذا بحجرة نظيفة بيضاء مليحة الساج مفتوحة الباب ونساء وقوف عليه قلت لهم من مات او ما الخبر فأومأوا إلى داخل الدار فدخلت فاذا بدار نظيفة فى نهاية الحسن وفي صحنها امرأة شابة لم أر قط أحسن منها ولا ابهى ولا اجمل وعليها ثياب حسنة وملتحفة بازار ابيض وفي حجرها رأس رجل يشخب دماً فقلت : من انت ؟ قالت : لا عليك انا فاطمة بنت رسول الله «ص» وهذا رأس ابني الحسين «ع» قولي « لابن اصدق » عني ان ينوح :

لم امرضـــه فأسلو   لا ولا كان مريضا

فانتبهت فزعة وقالت العجوز لم امرطه بالطاء المهملة لانها لا تتمكن من اقامه الضاد فسكنتها حتى نامت :

فقال ابو الحسن الكاتب لعلي التنوخي ياابا القاسم مـع معرفتك بابن اصدق قد حملتك الامانة ولزمتك ان تبلغها له فقال التنوخي سمعاً وطاعة لامر سيدة نساء العالمين عليها السلام .

وكان هذا فى شهر شعبان والناس يومئذ يلاقون جهداً جهيداً من الحنابلة إذا ارادوا الخروج إلى الحائر فلم أزل اتلطف اليهم حتى خرجت فكنت في « الحائر » ليلة النصف من شعبان فسألت عن ابن اصـدق حتى رأيته وقلت له ان فاطمة عليها السلام تأمرك ان تنوح بالقصيدة :

لم امرضـــه فاسلو   لا ولا كان مريضا

وما كنت اعرف القصيدة قبل ذلك فانزعج من هذا فقصصت عليه وعلى

من حضر الحديث فأجهشوا بالبكاء وما ناح تلك الليلة إلا بهذه القصيدة واولها :

ايها العينان فيضا   واستهلا لا تغيضا

وهي لبعض الشعراء الكوفيين وعدت إلى ابى الحسن فأخبرته الخبر «١»

السلب

ابا حسن ياخير حام لجاره   ابث لك الشكوى بدمع مرقرق
وناهيك فى رزه تفاقم وقعه   فأصبح فيه الدمع من بعض منطق
أتغضي ومنك اليوم آل امية   شفت كل ذحل في حشاها مؤرق
وكم لك فى ارض الطفوف نوادب   ينحن بها نوح الحمام المطوق
وكم طفلة قد ارهبوها بقسوة   وما عودت من قبل غير الترقرق
وطفل يحلي جيده طوق عسجد   فطوق مذعوراً بسهم مفوق
وكم حرة حسرى بدت من خبالها   وليس لديها ساتر غير « مرفق »
هنالك لو شاهدتها تنفث الشجى   بقلب من الوجد المبرح محرق
لعز امير المؤمنين خروجها   عليك بحال احزنت كل مشفق
فمن مبلغ (الزهراء) عن اسر زينب   وتسييرها بين الأعادي (الجلق)
وليس لها بين العدى من يصونها   حمى غير مضنى بالحبال مربق

---

(١) نشوار المحاضرة ج ص ٢١٨

افاطم سمعاً علي في تزفرى ابثك اشجاناً اخذن بمخنقي
فان الألى حلوا بعرصة كربلا هووا في ثراها مشرقاً بعد مشرق
قضوا وجلال العز يعلو وجوههم وماتوا كراماً مالووا جيد مطرق
فلاعذرحتى تلفظي القلب حسرة بفيض دم من ماء عينيك مهرق(١)

لما قتل ابوعبدالله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام «٢» واضرموا النار فيها وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول «ص» ففررن بنات الزهراء «ع» حواسر مسلبات باكيات «٣» وان المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من اصبعها وقرطها من اذنها والخلخال من رجلها «٤» واخذ رجل قرطين لأم كلثوم وخزم اذنها «٥» وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي قالت له : مالك ؟ فقال : كيف لا ابكي وانا اسلب ابنة رسول الله قالت له : دعني قال : اخاف ان يأخذه غيري «٦» .

ورأت رجلا يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ماعليهن من اخمرة واسورة ولما بصر بها قصدها ففرت منه فاتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها ولما افاقت رأت عمتها ام كلثوم عند رأسها

(١) من قصيدة للعلامة الثقة الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي .
(٢) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٢ .
(٣) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٠ .
(٤) مثير الأحزان لابن نما ٤٠ .
(٥) الدمعة الساكبة ص ٣٤٨ .
(٦) أمالي الصدوق ص ٩٩ مجلس ٣١ .

تبكي «١»

ازعجت من خدرها حاسرة كالقطا روع من بعد هجود

تندب الصون الذى قد فقدت صبرها فيه إلى خير فقيد

فقدت خير عماد فدعت من بني عمرو العلى كل فقيد

لبدور بدماها شرقت وبها أشرق مغبر الصعيد

بين محزوز وريد وزعت جسمه البيض ومقطوع زنود

قد تواروا بقنا الخط أهل قصد الخطي غاب للاسود

تصدع الظلماء أوضاح لهم كمصابيح على الترب ركود (٢)

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله بهذا الحال فصاحت يا آل بكر بن وائل آتسلب بنات رسول الله لا حكم إلا لله يالثارات رسول الله فردها زوجها إلى رحله (٣) .

وانتهى القوم إلى علي بن الحسين وهو مريض (٤) على فراشه

---

(١) رياض المصائب ص ٣٤١ وتظلم الزهراء ص ١٣٠ .

(٢) للحجة المحقق الشيخ عبد الحسين الحلي رحمه الله من قصيدة فى مولد الحسين عليه السلام .

(٣) اللهوف ص ٧٤ ومثير الأحزان لابن نما ص ٤١ .

(٤) مرض السجاد «ع» ذكره الطبرى ج ٦ ص ٢٦٠ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٣ والبداية لابن كثير ج ٨ ص ١٨٨ ومرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ١٣٣ والارشاد للشيخ المفيد ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٥ وأعلام الورى للطبرسى ص ١٤٨ وروضة الواعظين ص ١٦٢ لمحمد بن أحمد بن علي النيسابورى الفتال واثبات الوصية للمسعودى ص ١٤٠

لا يستطيع النهوض فقائل يقول لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً وآخر يقول لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد (١) وجرد الشمر سيفه يريد قتله فقال له حميد بن مسلم : ياسبحان الله أتقتل الصبيان إنما هو صبي مريض (٢) فقال : إن ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين وبالغ ابن سعد في منعه (٣) خصوصاً لما سمع العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين تقول : لا يقتل حتى اقتل دونه فكفوا عنه (٤) .

كانت عيادته منهم سياطهم — وفي كعوب القنا قالوا البقاء لكا

جروه فانتهبوا النطع المعد له — وأوطؤا جسمه السعدان والحسكا

وأقبل ابن سعد إلى النساء فلما رأينه بكين في وجهه فمنع القوم عنهن وقد أخذوا ماعليهن ولم يردوا شيئاً (٥) فوكل جماعة بحفظهن وعاد إلى خيمته :

---

(١) تظلم الزهراء ١٣٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٠.

(٣) نفس المهموم ص . . .

(٤) تاريخ القرمانى ص ١٠٨ .

(٥) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٢ ويتحدث مصعب الزبيرى بشيء غريب فيقول فى نسب قريش ص ٥٨ ان بعض من كان فى الجيش أخذ علي ابن الحسين وغيبه عن الناس وكان يكرمه ويحسن اليه فلما سمع المنادى يقول من جاء بعلي بن الحسين فله ثلثمائة درهم جاء اليه وقيد يديه إلى عنقه وأتى به إلى ابن زياد وأخذ الجائزة وأراد ابن زياد قتله لولا أن عمته زينب وقعت عليه وقالت لابن زياد اقتلنى قبله انتهى . وأنت إذا عرفت أن زين —

وحائرات أطار القوم أعينها ... رعباً غداة عليها خدرها هجموا
كانت بحيث عليها قومها ضربت ... سرادقاً أرضه من عزهم حرم
يكاد من هيبة أن لا تطوف به ... حتى الملائك لولا انهم خدم
فغودرت بين أيدي القوم حاسرة ... تسبى وليس لها من فيه تعتصم
نعم لوت جيدها بالعتب هاتفة ... بقومها وحشاها ملؤه ضرم
عجت بهم مذ على أبرادها اختلفت ... أيدي العدو ولكن من لها بهم (١)

الخيل

ونادى ابن سعد : ألا من ينتدب الى الحسين فيوطىء الخيل صدره وظهره ، فقام عشرة (٢) منهم إسحاق بن حوية والأخنس بن مرثد بن

ـــ العابدين مع ما به من المرض هو الكفيل والمحامى لحرم رسول الله (ص) فلا يمكن الله تعالى أحداً منه فيغيبه عن عياله فان تلك الفواقد كيف يكون حالهن اذا فقدن المحامى والمصبر لهن مع ان أحداً من المؤرخين لم يذكره حتى على الاحتمال البعيد لكن الزبيرى أراد أن يسود صحيفته بالمفتريات .

(١) للسيد حيدر الحلي نور الله ضريحه

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦١ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص٣٣ ومروج الذهب ج ٢ ص ٩١ والخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٨ والبداية لابن كثير ج ٨ ص١٨٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص٣٣٣ والارشاد للشيخ ـــ

علقمة بن سلامة الحضرمي وحكيم بن الطفيل السنبسي وعمرو بن صبيح الصيداوي ورجاء بن منقذ العبدي وسالم بن خثيمة الجعفي وصالح بن وهب الجعفي وواخط بن غانم وهاني بن ثبيت الحضرمي واسيد بن مالك ، فداسوا بخيولهم جسد ريحانة الرسول وأقبل هؤلاء العشرة الى ابن زياد يقدمهم اسيد بن مالك يرتجز :

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الأسر

فأمر لهم بجائزة يسيرة (١) .

وأي شهيد أصلت الشمس جسمه ومشهدها من أصله متولد
وأي ذبيح داست الخيل صدره وفرسانها من ذكره تتجمد
ألم تك تدري أن روح محمد كقرانه في سبطه متجسد
فلو علمت تلك الخيول كأهلها بأن الذي تحت السنابك احمد
لثارت على فرسانها وتمردت كما أنهم ثاروا بها وتمردوا (٢)

قال البيروني : لقد فعلوا بالحسين مالم يفعل فى جميع الأمم بأشرار الخلق من القتل بالسيف والرمح والحجارة واجراء الخيول (٣) وقد وصل

ــ المفيد واعلام الورى للطبرسى ص ١٤٨ وروضة الواعظين ص ١٦٢ ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٤ .

(١) اللهوف ص ٧٥ ومثير الأحزان لإبن نما ص ٤١ وفى مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٣٩ زيادة بيت :

حتى عصينا الله رب الأمر بصنعنا مع الحسين الطهر

(٢) من قصيدة للسيد صالح بن العلامة السيد مهدى آل بحر العلوم .

(٣) الآثار الباقية ص ٣٢٩ ط ليدن .

بعض هذه الخيول الى مصر فقلعت نعالها وسمرت على أبواب الدور تبركاً وجرت بذلك السنة عندهم فصار أكثرهم يعمل نظيرها ويعلق على أبواب الدور (١) .

فليت أكفاً حاربتك تقطعت | وأرجل بغي جاولتك جـذام
وخيلا غدت تردي عليك جوارياً | عقرن فلا يلوي لهن لجام
ورضت قراك الخيل من بعد ما غدت
أولوا الخيل صرعى منك فهي رمام
أصبت فـلا يوم المسرات نير | ولا قمر في ليلهن تمام (٢)

الرؤوس

وأمر ابن سعد بالرؤوس فقطعت واقتسمها القبائل لتتقرب الى ابن زياد ، فجاءت كندة بثلاثة عشر وصاحبهم قيس بن الأشعث وجاءت هوازن باثني عشر وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن وجاءت تميم بسبعة عشر وبنو أسد بستة عشر ومذحج بسبعة وجاء آخرون بباقي الرؤوس (٣) ومنعت عشيرة الحر الرياحي من قطع رأسه ورض جسده (٤) .

---

(١) كتاب التعجب للكراجكي ص ٤٦ ملحق بكنز الفوائد .
(٢) لأبي ذيب .
(٣) اللهوف ص ٨١ ، وعمدة القاري في شرح البخاري للعيني ج ٧ ص ٦٥٦ وفيه كان معهم عروة بن قيس .
(٤) الكبريت الأحمر .

وسرح ابن سعد في اليوم العاشر رأس الحسين مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي وسرح رؤوس أهل بيته وصحبه مع الشمر وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج (١).

وكان منزل خولي على فرسخ من الكوفة فأخفى الرأس عن زوجته الأنصارية لما يعهده من موالاتها لأهل البيت عليهم السلام إلا أنها لما رأت من التنور نوراً راعها ذلك إذ لم تعهد فيه شيئاً ، فلما قربت منه سمعت أصوات نساء يندبن الحسين بأشجى ندبة ، فحدثت زوجها وخرجت باكية (٢) ولم تكتحل ولم تتطيب حزناً على الحسين وكان اسمها العيوف (٣).

وعند الصباح غدا بالرأس الى قصر الامارة وقد رجع ابن زياد في ليلته من معسكره بالنخيلة فوضع الرأس بين يديه وهو يقول :

إملأ ركابي فضة أو ذهبا إني قتلت السيد المحجبا
وخيرهم من يذكرون النسبا قتلت خير الناس أماً وأبا

فساء ابن زياد قوله أمام الجمع فقال له : اذا علمت انه كذلك فلم قتلته ؟ والله لا نلت مني شيئاً (٤).

---

(١) إرشاد الشيخ المفيد.

(٢) روضة الشهداء — وفي البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٠ : ان زوجته رأت النور يسطع من تحت الإجانة الى السماء وطيوراً بيضاً ترفرف حولها وان زوجته الأخرى نوار بنت مالك قالت له : أتيت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجمعني وإياك فراش أبداً ثم فارقته.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٢٣٨.

(٤) في مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ١٣٣ : إن ابن زياد غضب عليه —

السفر من كربلا

لما سير ابن سعد الرؤوس الى الكوفة أقام مع الجيش الى الزوال من اليوم الحادي عشر فجمع قتلاه وصلى عليهم ودفنهم وترك سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول الأكرم ومن معه من أهل بيته وصحبه بلاغسل ولا كفن ولا دفن تسفي عليهم الصبا ويزورهم وحش الفلا .

— وقتله ولم يسم حامل الرأس ، وفى العقد الفريد ج ٢ ص ٣١٣ سماه خولى بن يزيد الأصبحى وقتله ابن زياد لذلك ، واختلف المؤرخون فيمن جاء بالرأس وقال الأبيات فعند ابن جرير الطبرى ج ٦ ص ٢٦١ وابن الأثير ج ٤ ص ٣٣ انه سنان بن أنس أنشدها على عمر بن سعد ، وفى تذكرة الخواص ص ١٤٤ قال له عمر : أنت مجنون لو سمعك ابن زياد لقتلك ، وفى شرح المقامات للشريشى ج ١ ص ١٩٣ : انه أنشدها على ابن زياد ، وفى كشف الغمة للإربلى ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٤٠ : ان بشر بن مالك أنشدها على ابن زياد : وفى مطالب السؤول لإبن طلحة ص ٧٦ زاد عليهما « ومن يصلى القبلتين فى الصبا » فغضب عليه ابن زياد وقتله ، وفى رياض المصائب ص ٤٣٧ : ان الشمر قائلها .

وأنت اذا عرفت ان الشمر هو قاتل الحسين كما فى الزيارة الناحية وعليه جماعة من المؤرخين تعرف انه المنشد لها إذ من البعيد أن يقتله ويأخذ الرأس غيره فيفوته التقرب عند ابن زياد وإنما ذكرنا القصة عن خولى مماشاة مع أهل المقاتل .

فان يمسي فوق الترب عريان لم تقم　له مأتماً تبكيه فيه محارمه
فأيٌّ حشىً لم يمس قبراً لجسمه　وفي أي قلب ما اقيمت ماتمه (١)

وبعد الزوال ارتحل الى الكوفة ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب وكن عشرين امرأة (٢) وسيروهن على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبي الترك والروم وهن ودايع خير الأنبياء ومعهن السجاد علي بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنة (٣) وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العلة (٤) ومعه ولده الباقر (٥) وله سنتان وشهور (٦) ومن أولاد الامام الحسن المجتبى زيد وعمرو والحسن المثنى فانه أُخذ أسيراً بعد أن قتل سبعة عشر رجلا وأصابته ثمان عشر جراحة وقطعت يده اليمنى فانتزعه أسماء بن خارجة الفزاري لأن «ام المثنى» فزارية فتركه ابن سعد له (٧) وكان معهم عقبة بن سمعان مولى الرباب زوجة الحسين

---

(١) للعلامة الشيخ محمد تقي آل صاحب الجواهر .

(٢) نفس المهموم ص ٢٠٤ .

(٣) نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٥٨ .

(٤) الإقبال لإبن طاوس .

(٥) رياض الأحزان ص ٤٩ .

(٦) إثبات الوصية ص ١٤٣ ط نجف ، وفي تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٠٣ له ثلاث سنين .

(٧) البحار ج ١٠ عند ذكر أولاد الحسن «ع» واسعاف الراغبين ص ٢٨ على هامش نور الابصار وفي اللهوف ص ٨ عالجه بالكوفة فلما برأ حمله الى المدينة .

ولما أخبر ابن زياد بأنه مولى للرباب خلّى سبيله وأخبر ابن زياد بأن المرقع ابن ثمامة الأسدي نثر نبله وقاتل ، فآمنه قومه وأخذوه فأمر بنفيه الى « الزارة » (١) .

أ ترى كيف أمست الخفرات بعد « غلبٍ » دون المخيم ماتوا
أ تراهم للأسر قـد أسلموها أم على الرغم فارقتهـا الحماة
فارقوها من بعد ما ثُلِم العضب ودقت من الطعان القناة
وبنوا في دم الشهادة عرشاً لم تكن قبلهم بنتـه البناة

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦١ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٣ والزارة كما فى معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦٧ قرية بالبحرين وأخرى فى طرابلس الغرب وكورة بالصعيد ، وفى المعجم مما استعجم للبكرى ج ٢ ص ٦٩٢ انها موضع بناحية البحرين جرى فيها حروباً للنعمان بن المنذر المعروف « بالغرور » مع الأساورة ومدينة بفارس فيها بارز البراء بن مالك مرزبانها فصرعه وقطع يده وأخذ منطقته وسواريه وكان قيمته ثلاثين ألفاً فأخذ خمسه عمر وهو أول سلب أخذ خمسه فى الإسلام . وفى كامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٠ — ان ابن زياد هدد أهل الكوفة بالنفي الى عمان الزارة وفيه ج ٨ ص ٨٦ حوادث سنة ٣٢١ : ان علي بن يليق أمر بلعن معاوية وابنه يزيد على المنابر ببغداد فاضطربت العامة وكان يثير الفتن « البربهارى » من الحنابلة فهرب منه وقبض على جماعته فأحدرهم فى زورق الى « عمان » انتهى .

فيظهر من ذلك ان الزارة موضع فى عمان « وفى الأخبار الطوال ص ٢٥٦ » سير ابن زياد المرقع بن ثمامة الأسدى الى الربذة فلم يزل بها حتى هلك يزيد وهرب ابن زياد الى الشام فانصرف المرقع الى الكوفة .

أدهشتها من بعدهم هجمة الخيل عليها وأين عنها الأباة
فتصارخن يستغثن بصرعى هومت غفوة بهم وسباة
وترامت بجنب كل أبيّ حرةٌ تستثيره وفتاة
يشتكين السياط قد ألمتهن وهل حفزت بصرعى شكاة
يتساقطن عن متون المطايا كلما أزعج النياق الحداة (١)

فقلن النسوة : بالله عليكم ألا ما مررتم بنا على القتلى ، ولما نظرن اليهم مقطعين الأوصال قد طعمتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن ولطمن الوجوه (٢) وصاحت زينب : يامحمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة ، فأبكت كل عدو وصديق (٣) حتى جرت دموع الخيل على حوافرها (٤) .

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت : إلهي تقبل منا هذا القربان (٥) ، وهذا الموقف يدلنا على تبوئها عرش الجلالة وقد أخذ عليها العهد والميثاق بتلك النهضة المقدسة كأخيها الحسين « ع »

---

(١) للعلامة الثقة الشيخ عبد المهدي مطر النجفي .
(٢) مثير الأحزان لإبن نما ص ٤١ واللهوف لإبن طاووس ص ٧٤ والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٣٩ والمقتل للطريحي ص ٣٣٢ .
(٣) الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٨ وفي مقتل الخوارزمي واللهوف كانت الندبة أوسع .
(٤) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٩ والمنتخب للطريحي ص ٣٣٢ .
(٥) الكبريت الأحمر ج ٣ ص ١٣ عن الطراز المذهب .

وإن كان التفاوت بينهما محفوظاً ، فلما خرج الحسين عن العهدة بازهاق نفسه القدسية نهضت « العقيلة زينب » بما وجب عليها ، ومنه تقديم الذبيح الى ساحة الجـــلال الربوبي والتعريف به ثم طفقت سلام الله عليها ببقية الشؤون ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور وتفرد العنصر .

واعتنقت سكينة (١) جسد أبيها الحسين « ع » فكانت تحدث انها سمعته يقول :

شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني
أو سمعـــتم بغريب أو شهيد فاندبوني (٢)

---

(١) فى تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ١٦٣ والكواكب الدرية للمناوى ج ١ ص ٥٨ ونور الأبصار للشبلنجى ص ١٦٠ ووفيات الأعيان لإبن خلكان بترجمتها : توفيت سكينة بنت الحسين « ع » يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ١١٧ هـ . وفى المجدى لأبى الحسن العمرى فى النسب وأعلام الورى للطبرسى ص ١٢٧ عند ذكر أولاد الحسن « ع » والأغانى ج ١٤ ص ١٦٣ : انها تزوجت من ابن عمها عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب قتل عنها يوم الطف ولم تلد منه انتهى . وفى أعلام الورى قتل عنها قبل البناء بها ، ولها يوم الطف اكثر من عشر سنين وولادتها قبل وفاة عمها الحسن « ع » وعمرها يقارب السبعين ، وكلمة سيد الشهداء فى حقها « إن الغالب على سكينة الإستغراق مع الله » على ما رواه الصبان فى اسعاف الراغبين يفيدنا درساً دقيقاً عن مكانة ابنته من الشريعة المقدسة ــ لاحظ كتاب السيدة سكينة ــ الطبعة الثانية .

(٢) مصباح الكفعمى ص ٣٧٦ ط هند .

ولم يستطع أحد أن ينحيها عنه حتى اجتمع عليها عدة وجروها بالقهر(١)

ومذعورة باليتم قد ريع قلبها كطير عليه الصقر قد هجم الوكرا
أهابت بها من هجمت الخيل صرخة على ثكلها باليتم فاضطربت ذعرا
وفرت الى الثاوي على جمرة الثرى وقد أرسلت من جفنها فوقه نهرا
وأهوت على جسم الحسين فضمها الى صدره ما بين يمناه واليسرى
تلوذ به حسرى القناع مروعة وعز عليه أن يشاهدها حسرى
فما تركتها تستجير سياطهم بجسم أبيها حين ما انتزعت قسرى(٢)

وأما علي بن الحسين فانه لما نظر الى أهله مجزرين وبينهم مهجة الزهراء بحالة تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا عظم ذلك عليه واشتد قلقه فلما تبينت ذلك منه زينب أهمها أمر الامام فأخذت تسليه وتصبره وهو الذي لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له :

« ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي واخوتي فوالله ان هذا لعهد من الله الى جدك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً (٣) .

(١) تظلم الزهراء ص ١٣٥ .
(٢) من قصيدة للعلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي .
(٣) كامل الزيارات ص ٢٦١ .

لله صبر زينب العقيلة كم صابرت مصائباً مهولة
رأت من الخطوب والرزايا أمراً تهون دونه المنايا
رأت كرام قومها الأماجد مجزرين في صعيد واحد
تسفي على جسومها الرياح وهي لذؤبان الفلا تباح
رأت عزيز قومها صريعاً قد وزعوه بالضبا توزيعا
رأت رؤوساً بالقنا تشال وجثثاً أكفانها الرمال
رأت رضيعاً بالسهام يفطم وصبية بعد أبيهم أيتموا
رأت شماتة العدو فيها وصنعه ما شاء في أخيها (١)

وأتاهن زحر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال (٢)

وركبت العقيلة زينب ناقتها فتذكرت ذلك العز الشامخ والحرم المنيع الذي تحوطه الليوث الضواري والاباة من آل عبدالمطلب وتحفه السيوف المرهفة والرماح المثقفة والأملاك تخدمها فيه فلا يدخلون إلا مستأذنين :

فلا مثل عز كان في الصبح عزها ولا مثل حال كان فى العصر حالها
إلى أين مسراها وأين مصيرها ومن هو مأواها ومن ذا مآلها
ومن ذا ثمال الظعن إن هي سيرت يضيق فمي ان ابن سعد ثمالها
على أي كتف تتكي حين ركبت وجمالها زجر وشمس جمالها
أأخمد ضوء البيت عن شخص زينب لكيلا يرى في الليل حتى خيالها
تمنيت يوم الطف عينك أبصرت بناتك حين ابتز منها حجالها

---

(١) المقبولة الحسينة ص٦١ للحجة آية الله الشيخ هادى كاشف الغطاء (قد)
(٢) تظلم الزهراء ص ١٣٣ .

قروماً تراها جـزراً وأراملا نحن كنيب فارقتهـا فصالها

له الله من ثكل وقد مات بغتة لدى بعض يوم عـزها ورجالها

وما هـان ثكل عندها غير انه أمض مصاباً هتكها وابتذالها

وأمسين في أسر يهدد غبـه تقف إهاباً حين يطريه بالها (١)

في الـكوفة

ولما ادخل بنات أمير المؤمنين إلى الـكوفة اجتمع أهلهـا للنظر اليهم فصاحت أم كلثوم يا أهل الكوفة أما تستحون من الله روسوله أن تنظروا إلى حرم النبي «ص» (٢) .

وأشرفت عليهن امرأة من الـكوفيات ورأتهن على تلك الحـال التي تشجي العدو الألد فقالت من أي الأساري أنتم قلن نحن أسارى آ ل محمد (٣)

وأخذ أهل الكوفه يناولون الأطفال التمر والجوز والخبز فصاحت أم كلثوم ان الصدقة علينا حرام ثم رمت به إلى الأرض (٤)

أبا حسن تغضى وتلتذ بالـكرى وبالـكف أمست تستر الوجه زينب

(١) للعلامة الثقة الشيخ محمد طاهر آل فقيـه الطائفة الشيخ راضي قدس سره .

(٢) الدمعة السا كبة ص ٣٦٤ .

(٣) ابن نما ص ٣٦٤ واللهوف ٨١ .

(٤) اسرار الشهادة ص ٤٧٦ وتظلم الزهراء ص ١٥٠ .

أبا حسن ترضى صفاياك في السبا ونسوة حرب بالمقاصير تحجب
وتلوي للين الفرش جنباً وهـذه بناتك فوق العيس للشام تجلب
ويهنيك عيش والعقائل حسر إذا ما بكت بالأصبحية تضرب
تشرق فيها تارة عصب الخنا وطوراً بها نحـــو الشآم تغرب
بلا كافل تطوي المهامـه لغباً ويسمعها ما يشعب القلب غيهب
فأصواتها بحت وذابت قلوبها وأنفاسها كادت من الحزن تذهب
عجبت ومن في الدهر سرح طرفه وفكر فيه لم يزل يتعجب
يزيد الخنا في دستـه متقلب ويمسي حسين في الــثرى يتقلب
ويحمل منه الرأس في الرمح جهرة وفي التاج رأس ابن الدعية يعصب
ويبقى ثلاثاً عارياً ويزيــدها على جسمه يغدو الدمقس المذهب(١)

خطبة زينب

ولقد أوضحت ابنة أمير المؤمنين «ع» للناس خبث ابن زياد ولؤمه في خطبتها بعد أن أومأت إلى ذلك الجمع المتراكم فهدأوا حتى كأن على رؤوسهم الطير وليس في وسع العدد الكثير أن يسكن ذلك اللغط أو يرد تلك الضوضاء لولا الهيبـــة الالهية والبهاء المحمدي الذي جلل «عقيلة آل محمد «ص» .

---

(١) من قصيدة في الحسين «ع» للشيخ حسون الحلي المتوفى سنة ١٣٠٥ (شعراء الحلة) ج ٢ ص ١٠٥ .

فيقول الراوي : لما أومأت زينب ابنــة علي «ع» إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية وأصبحت في ذلك المحتشد الرهيب أو فقل بين الناب والمخلب تمام الفضيحة للامويين بما نشرته من صحيفتهم السوداء فقالت صلوات الله عليها :

الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار ، أما بعـد يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل والغدر ، أتبكون فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعـد قوة انكاثاً ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف(١)والعجب والكذب والشنف (٢) وملق الاماء ، وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة ، أو كقصة على ملحودة (٣) ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن

(١) الصلف بفتحين الذى يتمدح بما ليس عنده . والنطف القذف بالفجور .

(٢) الشنف المبغض بغير حق .

(٣) فى رواية اللهوف وابن نما (فضة) بالفاء الموحـــدة والضاد المعجمة ولم يتضح المراد منه بعد عدم الترجيح على الذهب وغيره . نعم رواية ابن شهراشوب فى المناقب « قصة » بالقاف المثناة والصاد المهملة وهى الجص تتناسب مع الملحودة التى هى القبر ولم ينكر أهل اللغة هـذا المعنى ففى الصحاح للجوهرى قصص داره أى جصصها وفى تاج العروس ج ٤ ص ٤٢٣ تقصيص الدار تجصيصها وكذلك قبر مقصص ومنه الحـديث نهى النبى (ص) عن تقصيص القبور وهو بناؤها بالقصة وفيه ص ٤٢٢ قال

سخط الله عليكم ، وفى العذاب أنتم خالدون .

أتبكون وتنتحبون ، أي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلا ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً ، وأنى ترحضون ، قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة . ومدره حجتكم ومنار محجتكم ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم . وسيد شباب أهل الجنة ، ألا ساء ما تزرون .

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً ، فلقد خاب السعي ، وتبت الايدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ورسوله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة .

ويلكم يا اهل الكوفة ، اندرون اي كبد لرسول الله فريتم ، واى كريمة له ابرزتم ، واي دم له سفكتم ، وأي حرمة له انتهكتم ،

- القصة هى الجص بلغة الحجاز أو الحجارة من الجص وعن ابن دريد ان أبا سعيد السيرافى يقول بكسر القاف وعند غيره بفتحها وفى الفائق للزمخشرى ج ٢ ص ١٧٣ روى ان النبى « ص » نهى عن تطيين القبور وتقصيصها أى تجصيصها فان القصة هى الجصة وفى نيــل الأوطار للشوكانى ج ٤ ص ٧٣ القصة بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة هى الجص وفى مسند أحمد ج ٢ ص ١٣٠ عن عبدالله بن عمر ان عثمان بنى جدار مسجد النبى «ص» بالحجارة المنقوشة والقصة وفى تاريخ المدينة للسمهودى ج ٢ ص ١٠٥ كان قبر حمزة مبنية بالقصة مجصص لا خشب عليه وفى البحار ج ١٨ ص ٣٠٤ باب الدفن عن عن معانى الأخبار قال تقصيص القبور تجصيصها لأن الجص يقال له القصة وفى النهاية لابن الأثير مثله .

لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً .

ولقد أتيتم بها خرقاء . شوهاء . كطلاع الأرض . وملأ السماء . أفعجبتم ان مطرت السماء دماً ، ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون فلا يستخفنكم المهل ، فانه لا يحفزه البدار ، ولا يخاف فوت الثار ، وان ربكم لبالمرصاد (١) .

فقال لها الامام السجاد (ع) اسكتي ياعمه فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة فهمة غير مفهمة (٢) .

فقطعت « العقيلة » الكلام وادهشت ذلك الجمع المغمور بالتمويهات والمطامع واحدث كلامها ايقاظاً فى الأفئدة ولفتة في البصائر واخذت خطبتها من القلوب مأخذاً عظيما وعرفوا عظيم الجناية فلا يدرون ما يصنعون:

فمن الوصي بلاغة خصت بها ... اعيت برونقها البليغ الاخطبا
ماسترسلت إلا وتحسب انها ... تستل من غرر الخطابة مقضبا
او انها اليزني في يد باسل ... اخلى به ظهراً واوهى منكبا
او انها تقتاد منها فيلقاً ... وتسوق من زمن الحقايق موكبا
او ان فى غاب الامامة لبوة ... لزئيرها عنت الوجوه تهيبا
او انها البحر الخضم تلاطمت ... امواجه علماً حجى بأساً إبا
او ان من غضب الاله صواعقاً ... لم تلف عنها آل حرب مهربا

(١) رتبنا الخطبة من أمالي الشيخ الطوسى وأمالي ابنه واللهوف وابن نما وابن شهراشوب واحتجاج الطبرسى .

(٢) احتجاج الطبرسي ص ١٦٦ ط النجف .

أو أن حيدرة على صهواتها | يفني كراديس الضلال ثباً ثباً
أو أنه ضمته ذروة منبر | فأنار نهجاً للشريعة ألحبا
او ان في اللأوى عقيلة هاشم | قدفرقت شمل العمى ايدي سبا (١)

خطبة فاطمة بنت الحسين

وخطبت فاطمة بنت الحسين عليه السلام (٢) فقالت :

الحمد لله عدد الرمل والحصى ، وزنة العرش إلى الثرى ، أحمده واؤمن به واتوكل عليه ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك

---

(١) من قصيدة للعلامة ميرزا محمد علي الاوردبادي في العقيلة زينب « ع » .

(٢) كانت فاطمة بنت الحسين عليه السلام جليلة القدر عظيمة المنزلة وكان لها المكانة العالية من الدين وقد شهد بذلك أبوها سيد الشهداء لما جاء اليه الحسن المثنى يخطب أحدى ابنتيه فقال « ع » كما فى اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ٢٠٢ : إنى اختار لك فاطمة فهى أكثر شبهاً بأمى فاطمة بنت رسول الله « ص » أما فى الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وفى الجمال تشبه الحور العين .

وفى تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٢ ص ٤٤٢ روت الحديث عن أبيها وأخيها زين العابدين وعمتها زينب وابن عباس وأسماء بنت عميس وروى عنها أولادها عبدالله وابراهيم وحسين وأم جعفر بنو الحسن المثنى ـ

له وان محمداً عبده ورسوله . وان اولاده ذبحوا بشط الفرات ، من غير ذحل ولا ترات .

اللهم إني اعوذ بك أن افتري عليك ، وان اقول عليك خلاف ما انزلت من اخذ العهود والوصية لعلي بن ابي طالب المغلوب حقه . المقتول من غير ذنب (كما قتل ولده بالأمس) فى بيت من بيوت الله تعالى ، فيه معشر مسلمة بألسنتهم ، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً فى حياته ولا عند مماته ، حتى قبضه الله تعالى اليه محمود النقيبة ، طيب العريكة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم تأخذه في الله سبحانه لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، هديته اللهم للاسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك ، زاهداً فى الدنيا ، غير حريص عليها ،

-وروى عنها أبو المقدام بواسطة أمه وروى عنها زهير ابن معاوية بواسطة امه وروى عنها زهير بن معاوية بواسطة مصعب وغيرهم . وفى خلاصة تذهيب الكمال ص ٤٢٥ خرج أصحاب السنن أحاديثها منهم الترمذى وأبو داود والنسائى فى مسند علي وابن ماجة القزوينى وقال ابن حجر العسقلانى وقع ذكرها فى كتاب الجنائز من صحيح البخارى ووثقها ابن حبان ونص على وفاتها فى سنة ١١٠ اليافعى فى مرآة الجنان ج١ ص ٢٣٤ وابن العماد فى شذرات ج١ص ١٣٩ وبناء على ما يقوله ابن حجر فى تهذيب التهذيب انها قاربت التسعين تكون ولادتها سنة ٣٠ تقريباً ولها يوم الطف ما يقرب من ذلك وتوفيت قبل اختها « سكينة » بسبع سنين وفى كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٧ كانت فاطمة اكبر من اختها سكينه .

راغباً فی الآخرة ، مجاهداً لك في سبيلك ، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم .

اما بعد يااهل الكوفة ، يا اهل المكر والغدر والخيلاء ، فانا اهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا . فجعل بلاءنا حسناً ، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ، ووعاء فهمه وحكمته ، وحجته على الأرض في بلاده لعباده ، أكرمنا الله بكرامته ، وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممن خلق الله تفضلا .

فكذبتمونا وكفرتمونا ، ورأيتم قتالنا حلالا ، وأموالنا نهباً ، كأننا أولاد ترك أو كابل ، كما قتلتم جدنا بالأمس ، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم ، قرت لذلك عيونكم ، وفرحت قلوبكم ، افتراء على الله ، ومكراً مكرتم ، والله خير الماكرين ، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ، ونالت أيديكم من أموالنا ، فان ما أصابنا من المصائب الجليلة ، والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم ، والله لايحب كل مختال فخور .

تباً لكم ، فانتظروا اللعنة والعذاب . فكأن قد حل بكم وتواترت من السماء نقمات . فيسحتكم بعذاب . ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون فی العذاب الأليم . يوم القيامة بما ظلمتمونا . ألا لعنة الله على الظالمين .

ويلكم . أتدرون أية يد طاعنتنا منكم . وأية نفس نزعت إلى قتالنا . أم بأية رجل مشيتم الينا . تبغون محاربتنا . قست قلوبكم .

وغلظت أكبادكم . وطبع الله على أفئدتكم . وختم على سمعكم وبصركم وسول لكم الشيطان وأملى لكم . وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون .

تباً لكم يا أهل الكوفة . أي تراث لرسول الله قبلكم . وذحول له لديكم . بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي وبنيه وعترته الطيبين الأخيار . وافتخر بذلك مفتخركم .

نحن قتلنا علياً وبني علي　　بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك　　ونطحناهم فأي نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب (١) افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فأكضم وأقعى كما أقعى أبوك فانما لكل امريء ما اكتسب . وما قدمت يداه .

حسدتمونا ويلا لكم على ما فضلنا الله تعالى . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا حسبك يا ابنة الطاهرين فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا فسكتت .

( ) فى تاج العروس ج ٦٧ الأثلب بكسر الهمزة واللام وفتحهما والفتح اكثر الحجر وقيل دقاق الحجارة وقال مشمر الائلب بلغة الحجار الحجارة وبلغة تميم التراب وهو دعاء وفى الحديث الولد للفراش وللعاهر الاثلب . وفيه ص ٦٤٠ الكثكث كجعفر وزبرج دقاق التراب ويقال التراب عامة يقال بقية الكثكث أى التراب .

خطبة أم كلثوم

وقالت أم كلثوم : صه يا أهل الكوفة . تقتلنا رجالكم . وتبكينا نساؤكم . فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب .

يا أهـل الكوفة سوأة لكم . مالكم خذلتم حسيناً وقتلتموه . وانتهبتم أمواله . وسبيتم نساءه . ونكبتموه . فتباً لكم وسحقاً . ويلكم أتدرون أى دواه دهتكم . وأي وزر على ظهوركم حملتم . وأي دماء سفكتموها . وأي كريمة أصبتموها . وأي صبيـة أسلمتموها . وأي أموال انتهبتموها . قتلتم خير رجالات بعد النبي ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا أن حزب الله هم المفلحون . وحزب الشيطان هم الخاسرون .

فضج الناس بالبكاء ونشرن النساء الشعور وخمشن الوجوه ولطمن الخدود ودعون بالويل والثبور فلم ير ذلك اليوم أكثر باك .

خطبة السجاد (ع)

وجيء بعلي بن الحسين على بعير ظالع والجامعة فى عنقـــه ويداه مغلولتان الى عنقه وأوداجه تشخب دماً فكان يقول :

يا امة السوء لا سقياً لربعكم يا امة لم تراع جـدنا فينا

لو اننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا

تسيرونا على الأقتاب عارية   كأننا لم نشيد فيكم دينا

وأومأ الى الناس أن اسكتوا فلما سكتوا حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ثم قال :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من انتهكت حرمته ، وسلبت نعمته وانتهب ماله ، وسبي عياله ، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات ، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً .

أيها الناس ناشدتكم الله هل تعلمون إنكم كتبتم الى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهود والميثاق والبيعة ، وقاتلتموه ، فتباً لكم لما قدمتم لأنفسكم ، وسوأة لرأيكم ، بأية عين تنظرون الى رسول الله ، إذ يقول لكم : قتلتم عترتي ، وانتهكتم حرمتي ، فلستم من أمتي .

فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا : هلكتم وما تعلمون .

ثم قال عليه السلام : رحم الله امرءاً قبل نصيحتي ، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته ، فان لنا في رسول الله اسوة حسنة .

فقالوا بأجمعهم : نحن يابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك ، غير زاهدين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك يرحمك الله فانا حرب لحربك ، وسلم لسلمك ، نبرأ ممن ظلمك وظلمنا ونأخذ يزيد .

فقال عليه السلام : هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم الى أبي من قبل ، كلا ورب الراقصات ، فان الجرح لما يندمل ، قتل أبي بالأمس وأهل بيته ، ولم ينس ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي ، ان وجده والله لبين لهاتي

ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصته تجري في فراش صدري (١) .

مهلا بني حرب فما قد نالنا ... فبعين جبار السما لم يكتم
فكأنني يوم الحساب « بأحمد » ... بالرسل يقدم حاسراً عن معصم
ويقول ويلكم هتكتم حرمتي ... وتركتم الأسياف تنطف من دمى
تدرون أي دم أرقتم في الثرى ... أم أي خود سقتم في المغنم
أمن العدالة صونكم فتياتكم ... وحرائري تسبى كسبي الديلم
والماء تورده يعافير الفلا ... وكبود أطفال ذوات تضرم
تالله لو ظفرت سراة الكفر في ... رهطي لما ارتكبوا لذاك المعظم
يا ليت شعر محمد ما فاتكم ... طعن الحناجر بعد حز الغلصم
هذا جزائي منكم فلقرب ما ... ضيعتموا عهدي ببنتي وابنم (٢)

المدفن

ذكر أهل التاريخ ان سيد الشهداء أفرد خيمة في حومة الميدان (٣) وكان يأمر بحمل من قتل من صحبه وأهل بيته اليها ، وكلما يؤتى بشهيد

---

(١) الخطب كلها ذكرها السيد ابن طاووس فى اللهوف وابن نما فى مثير الأحزان .

(٢) للحاج محمد رضا الأزرى .

(٣) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٥٦ ، وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٠ وإرشاد الشيخ المفيد .

يقول عليه السلام : قتلة مثل قتلة النبيين وآل النبيين (١) .

إلا أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام تركه في محل سقوطه قريباً من شط الفرات (٢) .

ولما ارتحل عمر بن سعد بحرم الرسالة الى الكوفة ترك أولئك الذين وصفهم أمير المؤمنين « ع » بأنهم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق (٣) على وجه الصعيد تصهرهم الشمس ويزورهم وحش الفلا .

قد غير الطعن منهم كل جارحة — إلا المكارم في أمن من الغير

وبينهم سيد شباب أهل الجنة بحالة تفطر الصخر الأصم ، غير أن الأنوار الآلهية تسطع من جوانبه والأرواح العطرة تفوح من نواحيه .

ومجرح ما غيرت منه القنا — حسناً ولا أخلقن منه جديدا
قد كان بدراً فاغتدى شمس الضحى — مذ ألبسته يد الدماء لبودا
تحمي أشعته العيون فكلما — حاولن نهجاً خاله مسددا
وتظله شجر القنا حتى أبت — إرسال هاجرة اليه بريدا (٤)

وحدث رجل من بني أسد أنه أتى المعركة بعد ارتحال العسكر

---

(١) حكاه فى البحار ج ١٠ ص ٢١١ و ج ١٣ ص ١٣٥ عن غيبة النعمانى .

(٢) نص عليه جماعة من المؤرخين انظر « قمر بنى هاشم » ص ١١٥ ط المطبعة الحيدرية فى النجف .

(٣) كامل الزيارات ص ٢١٩ .

(٤) للحاج هاشم الكعبي .

فشاهد من تلك الجسوم المضرجة أنواراً ساطعة وأرواحاً طيبة ورأى أسداً هائل المنظر يتخطى تلك الأشلاء المقطعة حتى اذا وصل الى هيكل القداسه وقربان الهداية تمرغ بدمه ولاذ بجسده وله همهمة وصياح فأدهشه الحال إذ لم يعهد مثل هذا الحيوان المفترس يترك ما هو طعمة أمثاله فاختفى في بعض الأكم لينظر ما يصنع فلم يظهر له غير ذلك الحال .

ومما زاد فى تحيره وتعجبه انه عنـــد انتصاف الليل رأى شموعاً مسرجة ملأت الأرض وبكاءاً وعويلاً مفجعاً (١) .

وفى اليوم الثالث عشر من المحرم أقبل زين العابدين لدفن أبيه الشهيد عليه السلام لأن الامام لا يلي أمره إلا إمام مثله (٢) .

---

(١) مدينة المعاجز ص ٢٦٣ باب ١٢٧ .

(٢) إثبات الوصية للمسعودى ص ١٧٣ ، وقد ذكرنا فى كتاب « زين العابدين » ص ٤٠٢ الأحاديث الدالة على ان الإمام لا يلى أمره إلا إمام مثله .

لم تكشف الأحاديث هذا السر المصون ، ولعل النكتة فيه أن جثمان المعصوم عند سيره الى المبدأ الأعلى بإنتهاء أمد الفيض الإلهى يختص بآثار منها أن لا يقرب منه من لم يكن من اهل هذه المرتبة إذ هو مقام قاب قوسين أو أدنى ، ذلك المقام الذى تقهقر عنه الروح الأمين وعاب النبى « ص » وحده فى سبحات الملكوت وليست هذه الدعوى فى الأئمة بغريبة بعد أن تكونوا من الحقيقة المحمدية وشاركوا جدهم فى المئاثر كلها إلا النبوة والأزواج كما فى المحتضر للحسن بن سليمان الحلى ص ٢٠ ، ولعل ما ورد فى أمالى الشيخ الطوسى ص ٥٩ وكفاية الأثر للخزاز القمى ص ٣٠٤ عن عمار ابن ياسر فى تعصيب عينى الفضل بن العباس لما كان يحمل الماء الى أمير المؤمنين ـــ

يشهد له مناظرة الرضا مع علي بن أبي حمزة فان أبا الحسن «ع» قال له : أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً ؟ قال : بلى ، فقال الرضا : فمن ولي أمره ؟ قال ابن أبي حمزة : تولاه علي بن الحسين السجاد فقال الرضا : فأين كان علي بن الحسين ؟ قال ابن أبي حمزة : كان محبوساً بالكوفة عند ابن زياد ولكنه خرج وهم لا يعلمون به حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف الى السجن .

فقال الرضا : ان من مكن علي بن الحسين أن يأتي كربلا فيلي أمر أبيه ثم ينصرف يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه وليس هو في حبس ولا أسار .

ولما أقبل السجاد « ع » وجد بني أسد مجتمعين عند القتلى متحيرين لا يدرون ما يصنعون ولم يهتدوا الى معرفتهم وقد فرق القوم بين رؤوسهم

— عند تغسيل النبي «ص» يشهد له ، فان فيه التعليل بخشية العمى إن وقع نظره على جسده المقدس وهذا التعليل يدلنا على افتراق الموت عن الحياة وإلا فمن المقطوع به أن الفضل وغيره كانوا يرون جسد النبي الطاهر فمنعه عن الرؤية فى حال الموت لهذه الخصوصية .

وهذه أسرار لا تصل اليها أفكار البشر ولا سبيل لنا الى الإنكار بمجرد بعدنا عن إدراكها ما لم تبلغ حد الإستحالة وقد نطقت الآثار الصحيحة بأن للأئمة أحوال غريبة ليس لسائر الخلق الشركة معهم كإحيائهم الأموات بالأجساد الأصلية ورؤية بعضهم بعضاً وصعود أجسادهم الى السماء وسماعهم سلام الزائرين لهم وقد صادق على ذلك شيخنا المفيد فى المقالات ص ٨٤ ط طهران والكراجكى فى كنز الفوائد والمجلسى فى مرآة العقول ج ١ ص ٣٧٣ وكاشف الغطاء فى منهج الرشاد ص ٥١ ، والنورى فى دار السلام ج ١ ص ٢٨٩ .

وأبدانهم وربما يسألون من أهلهم وعشيرتهم .

فأخبرهم عليه السلام عما جاء اليه من مواراة هذه الجسوم الطاهرة وأوقفهم على أسمائهم كما عرّفهم بالهاشميين من الأصحاب فارتفع البكاء والعويل ، وسالت الدموع منهم كل مسيل ، ونشرت الأسديات الشعور ولطمن الخدود .

ثم مشى الامام زين العابدين الى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاء عالياً وأتى الى موضع القبر ورفع قليلا من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق فبسط كفيه تحت ظهره وقال : « بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صدق الله ورسوله ما شاء الله لاحول ولاقوة إلا بالله العظيم » .

وأنزله وحده ولم يشاركه بنو أسد فيه وقال لهم : إن معي من يعينني . ولما أقره في لحده وضع خده على منحره الشريف قائلا :

« طوبي لأرض تضمنت جسدك الطاهر ، فان الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة ، أما الليل فسهد والحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته » .

وكتب على القبر : « هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً » .

ثم مشى الى عمه العباس عليه السلام فرآه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين أطباق السماء وأبكت الحور في غرف الجنان ووقع عليه يلثم نحره المقدس قائلا : على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته .

وشق له ضريحاً وأنزله وحده كما فعل بأبيه الوصي وقال لبني أسد : إن معي من يعينني .

نعم ترك مساغاً لبني أسد بمشاركته فى مواراة الشهداء وعين لهم موضعين وأمرهم أن يحفروا حفرتين ووضع فى الاولى بني هاشم وفى الثانية الأصحاب (١) .

وأما الحر الرياحي فأبعدته عشيرته الى حيث مرقده الآن وقيل ان امه كانت حاضرة فلما رأت مايصنع بالأجساد حملت الحر الى هذا المكان (٢) .

وكان أقرب الشهداء الى الحسين ولده « الأكبر » عليه السلام وفى ذلك يقول الامام الصادق لحماد البصري : قتل أبو عبدالله غريباً بأرض غربة يبكيه من زاره ويحزن له من لم يزره ويحترق له من لم يشهده ويرحمه من نظر الى قبر ابنه عند رجليه فى أرض فلاة ولا حميم قربه ثم منع الحق وتوازر عليه أهل الردة حتى قتلوه وضيعوه وعرضوه للسباع ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب وضيعوا حق رسول الله « ص » ووصيته به وبأهل بيته فأمسى مجفواً فى حفرته صريعاً بين قرابته وشيعته قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جده والمنزل الذي لا يأتيه إلا من امتحن الله قلبه للايمان وعرفه حقنا .

ولقد حدثني أبي انه لم يخل مكانه منذ قتل من مصل عليه من الملائكة أو من الجن والانس أو من الوحش وما من أحد إلا ويغبط زائره ويتمسح به ويرجو فى النظر اليه الخير لنظره الى قبره .

---

(١) الكبريت الأحمر وأسرار الشهادة والإيقاد .

(٢) الكبريت الأحمر .

وإن الله تعالى ليباهي الملائكة بزائريه .

وأما ماله عندنا فالترحم عليه كل صباح ومساء .

ولقد بلغني ان قوماً من أهل الكوفة وناساً غيرهم من نواحيها يأتونه في النصف من شعبان فبين قارىء يقرأ وقاص يقص ونادب يندب ونساء يندبنه وقائل يقول المراثي .

فقال حماد : قد شهدت بعض ما تصف .

قال عليه السلام : الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد الينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل عدونا من يطعن عليهم ويهددونهم ويقبح مايصنعون (١) .

ثوى اليوم أحماها عن الضيم جانباً ... وأصدقها عند الحفيظة مخبرا
وأطعمها للوحش من جثث العدى ... وأخضبها للطير ظفراً ومنسرا
قضى بعد ما رد السيوف على القنا ... ومرهفه فيها وفى الموت أثرا
ومات كريم العهد عند شبا القنا ... يواريه منها ما عليه تكسرا
فان يمسي مغبر الجبين فطالما ... ضحى الحرب فى وجه الكتيبة غبرا
وإن يقضي ظمآناً تفطر قلبه ... فقد راع قلب الموت حتى تفطرا
وألقحها شعواء تشقي بها العدى ... ولود المنايا ترضع الحتف ممقرا
فظاهر فيها بين درعين نثرة ... وصبر ودرع الصبر أقواه ما عرا
سطا وهو أحمى من يصون كريمة ... وأشجع من يقتاد للحرب عسكرا
فرافده في حومة الضرب مرهف ... على قلة الأنصار فيه تكثرا
تعثر حتى مات في الهام حده ... وقائمه في كفه ما تعثرا
كأن أخاه السيف أعطي صبره ... فلم يبرح الهيجاء حتى تكسرا

(١) مزار البحار ص ١٢٤ عن كامل الزيارات .

له الله مفطوراً من الصبر قلبه ولو كان من صم الصفا لتفطرا
ومنعطف أهوى لتقبيـــل طفله فقبَّل منـــه قبله السهم منحرا
لقد ولدا في ساعة هو والردى ومن قبله في نحره السهم كبرا
وفي السبي مما يصطفى الخدر نسوة يعز على فتيانها أن تسيرا
حمت خدرها يقضي وودت بنومها ترد عليها جفنها لا على الكرى
مشى الدهر يوم الطف أعمى فلم يدع عماداً لهـــا إلا وفيه تعثرا
وجشمهن المسرى ببيداء قفرة ولم تدر قبل الطف ما البيد والسرى
ولم تر حتى عينها ظـــل شخصها إلى أن بدت في الغاضرية حسرى (١)

في قصر الامارة

لما رجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل قصر الامارة ووضع امامه الرأس المقدس سالت الحيطان دماً (٢) وخرجت نار من بعض نواحي القصر وقصدت سرير ابن زياد (٣) فولى هارباً منها ودخل بعض بيوت القصر فتكلم الرأس الأزهر بصوت جهوري سمعه ابن زياد وبعض

(١) للسيد حيدر الحلي نور الله ضريحه من ديوانه .
(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٩ والصواعق المحرقة ص ١١٦
(٣) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٠٣ ومجمع الزوائد لابن حجر ج ٩ ص ١٩٦ والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٨٧ والمنتخب للطريحي ص ٣٣٩ المطبعة الحيدرية .

من حضر :

« إلى اين تهرب فان لم تنلك في الدنيا فهي في الآخـرة مثواك »

ولم يسكت حتى ذهبت النار وادهش من في القصر لهذا الحادث الذي لم يشاهد مثله (١) ولم يرتدع ابن زياد لهذا الحادث الذى لم يسمع بمثله فأذن للناس اذناً عاماً وامر بادخال السبايا مجلسه فادخلت عليه حرم رسول الله بحالة تقشعر لها الجلود (٢) :

ابرزت حاسرة لكن على حالة لم تبق للجلد اصطبارا
لا خمار يستر الوجه وهل لكريمات الهدى ابقوا خمارا
لا ومن البسها من نوره ازراً مذ سلبوا عنها الازارا
لم تدع «ياشلت الأيدي» لها من حجاب فيه عنهم تتوارى (٣)

ووضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وجعل ينكت بالقضيب بين ثناياه ساعة فقال له زيد بن ارقم : ارفع القضيب عن هـاتين الشفتين فوالذى لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فقال له ابن زياد : ابكى الله عينيك فوالله لولا انك شيخ قـد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فخرج زيد من المجلس وهو يقول : ملك عبد عبـداً فاتخذهم تلداً انتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وامرتم ابن مرجانة يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن

---

(١) شرح قصيدة أبي فراس ص ١٤٩ .

(٢) تاريخ القرماني ص ١٠٨ .

(٣) من قصيدة للسيد عبدالمطلب الحلي ذكرت في شعراء الحلة ج ٣ ص ٢١٨ .

رضي بالذل (١) .

وانحازت زينب ابنة اميرالمؤمنين «ع» عن النساء وهي متنكرة لكن جلال النبوة وبهاء الامامة المنسدل عليها استلفت نظرة ابن زياد فقال : من هذه المتنكرة ؟

قيل له : ابنة اميرالمؤمنين «زينب العقيلة»

فأراد ان يحرق قلبها بأكثر مما جاء اليهم فقال متشمتاً : الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم .

فقالت عليها السلام : الحمد لله الذى اكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيرا ، إنما يفتضح الفاسق . ويكذب الفاجر . وهو غيرنا .

قال ابن زياد : كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك ؟

قالت عليها السلام : ما رأيت إلا جميلا . هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم (٢) فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يابن مرجانة (٣)

فغضب ابن زياد واستشاط من كلامها معه فى ذلك المحتشد .

فقال له عمرو بن حريث : انها امرأة وهل تؤاخذ بشيء من

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٢ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٥ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٤٠ . ذكرنا انكاره عليه ولا ينافى كونه أعمى على تقدير صحته لجواز انه سمع بذلك فانكر عليه وعبارة ابن عساكر كان زيد حاضراً تؤيده .

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٢٦٢ .

(٣) اللهوف ص ٩٠ .

منطقها ولا تلام على خطل .

فالتفت اليها ابن زياد وقال : لقدشفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك .

فرقت « العقيلة » وقالت : لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فان يشفك هذا فقد اشتفيت (١)

والتفت إلى علي بن الحسين وقال له : ما اسمك قال : أنا علي بن الحسين فقال له : أولم يقتل الله علياً ؟

فقال السجاد «ع» : كان لي أخ أكبر مني (٢) يسمى علياً قتله الناس فرد عليه ابن زياد بأن الله قتله .

قال السجاد : الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس أن

---

(١) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٣ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٤٢ وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٣ وفى كامل المبرد ج ٣ ص ١٤٥ طبع سنة ١٣٤٧ لقد أفصحت زينب وهى اسن من حمل إلى ابن زياد وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال ابن زياد لها إن تكونى بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً فقالت ما للنساء وللشعر وكان ابن زياد الكن يرتضخ الفارسية اه .

(٢) نص عليه ابن جرير الطبرى فى المنتخب من الذيل ص ٨٩ ملحق بالتاريخ ج ١٢ وأبو الفرج فى المقاتل ص ٤٩ ط ايران والدميرى فى حياة الحيوان بمادة بغل والمنتخب للطريحي ص ٢٣٨ المطبعة الحيدرية ونسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٥٨ وذكرنا فى رسالة « علي الأكبر » ص١٧ نصوص المؤرخين على أن المقتول هو الاكبر .

تموت إلا باذن الله .

فكبر على ابن زياد أن يرد عليه فأمر أن تضرب عنقه .

لكن عمته العقيلة اعتنقته وقالت : حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت وهل أبقيت أحداً (١) غير هذا فان أردت قتله فاقتلني معه .

فقال السجاد «ع» : أما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة (٢) فنظر ابن زياد اليهما وقال : دعوه لها عجباً للرحم ودت انها تقتل معه (٣) ثم أمر باحضار المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان محبوساً عنده من يوم قتل مسلم بن عقيل فلما رأى المختار هيئة منكرة زفر زفرة شديدة كادت روحه أن تخرج فيها وجرى بينهما كلام أغلظ فيه المختار فأرجعه ابن زياد إلى الحبس (٤) .

وأخذت الرباب زوجة الحسين الرأس ووضعته في حجرها وقبلته وقالت :

واحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء (٥)

ولما وضح لابن زياد ولولة الناس ولغط أهل المجلس خصوصاً لما تكلمت معه زينب العقيلة خاف هياج الناس فأمر الشرطة بحبس الاسارى

(١) طبري ج ٦ ص ٢٦٣ .
(٢) اللهوف ص ٩١ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٤٣ .
(٣) ابن الأثير ج ٤ ص ٣٤ .
(٤) رياض الاحزان ص ٥٢ .
(٥) تذكرة الخواص ص ١٤٨ .

في دار إلى جنب المسجد الأعظم (١) قال حاجب ابن زياد : كنت معهم حين أمر بهم إلى السجن فرأيت الرجال والنساء مجتمعين يبكون ويلطمون وجوههم (٢)

فصاحت « زينب » بالناس لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أم ولد فانهن سبين كما سبينا (٣) .

ثكلى تحن لشجوها عيس الفلا   وترق ان ناحت لها الورقاء
تنعى ليوث البأس من فتيانها   وغيوثها إن عمت البأساء
تبكيهم بدم فقل بالمهجة الـ   حرى تسيل الدمعة الحمراء
ناحت فلما غضضت من صوتها   بزفيرها أنفاسها الصعداء
حنت ولكن الحنين بكى وقد   ناحت ولكن نوحها ايماء
وقست عليهن القلوب فدونها   الصخر الأصم ودونها الخنساء (٤)

ودعا بهم ابن زياد مرة أخرى فلما دخلوا عليه رأين رأس الحسين بين يديه والأنوار الالهية تتصاعد إلى عنان السماء فلم تتمالك « الرباب » زوجة الحسين دون ان وقعت عليه تقبله وقالت :

إن الذي كان نوراً يستضاء به   بكربلاء قتيل غير مدفون
قد كنت لي جبلا صعباً ألوذ به   وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن   يغني ويأوى اليه كل مسكين

(١) اللهوف ص ٩١ والمقتل للخوارزمى ج ٢ ص ٤٣
(٢) روضة الواعظين ص ١٦٣ .
(٣) اللهوف ص ٩٢ ومقتل العوالم ص ١٣٠ .
(٤) لحجة الاسلام الشيخ محمد حسنين كاشف الغطاء

ولما كانوا في السجن التي اليهم حجر معه كتاب مربوط وفيه خرج البريد بأمركم إلى يزيد في يوم كذا وهوسائر كذا يوماً وراجع في كذا يوم فان سمعتم التكبير فايقنوا بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الامان وقبل قدوم البريد بيومين التي حجر في السجن ومعه كتاب وموسى وفي الكتاب اوصوا واعهدوا فانما ينتظر البريد يوم كذا فجاء البريد ولم يسمع التكبير وفى كتاب يزيد الأمر بأن يسرحهم ابن زياد إلى دمشق (١) .

ابن عفيف

قال حميد بن مسلم أمر ابن زياد أن ينادى الصلاة جامعة فاجتمعوا في الجامع الأعظم ورقى ابن زياد المنبر فقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أميرالمؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته (٢) .

فلم ينكر عليه أحد من اولئك الجمع الذي غمره الضلال إلا عبدالله ابن عفيف الأزدي ثم الغامدي أحد بني والبة فانه قام اليه وقال :

يا ابن مرجانة ، الكذاب ابن الكذاب أنت وابوك والذي ولاك وابوه يا ابن مرجانة اتقتلون ابناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين (٣).

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٦

(٢) ابن الأثير ج ص ٣٤

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٢٦٣

فقال ابن زياد من هذا المتكلم ؟

قال ابن عفيف : انا المتكلم ياعدو الله اتقتلون الذرية الطاهرة التي اذهب الله عنهم الرجس وتزعم انك على دين الاسلام واغوثاه اين اولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول رب العالمين .

فازداد غضب ابن زياد وقال علي به فقامت اليه الشرطة (١) .

فنادى ابن عفيف بشعار الازد « يامبرور » فوثب اليه عدد كثير ممن حضر من الأزد وانتزعوه واتوه به اهله .

وقال له عبدالرحمن بن مخنف الازدى ويح غيرك لقد اهلكت نفسك وعشيرتك (٢) .

ثم امر ابن زياد بحبس جماعة من الازد فيهم عبدالرحمن بن مخنف الأزدى (٣) وفي الليل ذهب جماعة من قبل ابن زياد إلى منزله ليأتوه به فلما بلغ الازد ذلك تجمعوا وانضم اليهم احلافهم من اليمن وبلغ ابن زياد تجمعهم فأرسل مضر مع محمد بن الأشعث فاقتتلوا اشد قتال وقتل من الفريقين جماعة ووصل اصحاب ابن الاشعث إلى دار ابن عفيف واقتحموا الدار فصاحت ابنته اتاك القوم .

قال لها لا عليك ناوليني سيفي فجعل يذب به عن نفسه ويقول :

انا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر عفيف شيخي وابن ام عامر

---

(١) اللهوف

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٢٦٣

(٣) رياض الأحزان ص ٥٧ عن روضة الصفا

كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جـدلته مغادر

وابنته تقول له : ليتني كنت رجلا اذب بين يديك هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة.

ولم يقدر احد منهم ان يدنو منه فان ابنته تقول له اتاك القوم من جهة كـذا ولما احاطوا به صاحت واذلاه يحاط بأبى وليس له ناصر يستعين به وهو يدور بسيفه ويقول :

اقسم لو يفسح لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

وبعد ان تكاثروا عليه اخذوه واتوا به إلى ابن زياد فقال له الحمد لله الذي اخزاك .

قال ابن عفيف وبماذا اخزاني ؟

والله لو فرج لي عن بصرى ضاق عليكم موردى ومصدرى

قال ابن زياد ياعدو الله ما تقول فى عثمان .

فشتمه ابن عفيف وقال ماانت وعثمان اساء ام احسن اصلح ام افسد وان الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحـــق ولـكن سلني عن ابيك وعنك وعن يزيد وابيه .

فقال ابن زياد لا سألتك عن شيء ولتذوق الموت غصة بعد غصة .

قال ابن عفيف الحمد لله رب العالمين أما اني كـنت اسأل ربى ان يرزقني الشهادة من قبل ان تلدك امك وسألت الله ان يجعلها على يدى العن خلقه وابغضهم اليه ولما كف بصرى يئست من الشهادة اما الآن والحمـد لله الذى رزقنيها بعد الياس منها وعرفني الاجابة في قديم دعائي فأمر ابن زياد

بضرب عنقه وصلبه فى السبخة (١).

ودعا ابن زياد بجندب بن عبدالله الازدي وكان شيخاً كبيراً فقال له : ياعدو الله الست صاحب ابي تراب فى صفين ؟ قال : نعم وانى لأحبه وافتخر به وامقتك واباك سيما الآن وقد قتلت سبط الرسول وصحبه وأهله ولم تخف من العزيز الجبار المنتقم فقال ابن زياد : إنك لأقل حياء من ذلك الأعمى واني ما أراني إلا متقرباً إلى الله بدمك فقال ابن جندب : إذاً لا يقربك الله وخاف ابن زياد من نهوض عشيرته فتركه وقال انه شيخ ذهب عقله وخرف وخلى سبيله (٢)

المختار الثقفى

وبعد قتل ابن عفيف كان المختار بن أبي عبيدة الثقفى مطلق السراح بشفاعة عبدالله بن عمر بن الخطاب عند يزيد فانه زوج اخته صفية بنت أبي عبيد الثقفى ولكن ابن زياد أجله في الكوفة ثلاثاً ولما خطب ابن زياد

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي ٥٠ واللهوف لابن طاووس ص ٩٢ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٥٣ واختصر قصته فى تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٣ والمحبر لابن حبيب ص ٤٨٠ والارشاد للشيخ المفيد والكل اتفقوا على صلبه فى الكناسة وذكره الاربلي فى كشف الغمة ص ١١٦

(٢) مثير الاحزان ص ٥١ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٥٥ ورياض الأحزان ص ٥٨

بعد قتل ابن عفيف ونال من أمير المؤمنين «ع» ثار المختار في وجهه وشتمه وقال كذبت ياعدو الله وعدو رسوله بل الحمد لله الذي أعز الحسين وجيشه بالجنة والمغفرة واذلك وأذل يزيد وجيشه بالنار والخزي فحذفه ابن زياد بعمود حديد فكسر جبهته وأمر به إلى السجن ولكن الناس عرفوه بأن عمر بن سعد صهره على اخته وصهره الآخر عبدالله بن عمر وذكروا ارتفاع نسبه فعدل عن قتله وابقاه في السجن ثم تشفع فيه ثانياً عبدالله بن عمر عند يزيد فكتب إلى عبيدالله بن زياد باطلاقه (١) ثم أخذ المختار يخبر الشيعة بما علمه من خواص أصحاب أمير المؤمنين «ع» من نهضته بثأر الحسين وقتله ابن زياد والذين تألبوا على الحسين «ع» (٢).

ومن ذلك انه كان فى حبس ابن زياد ومعه عبدالله بن الحارث بن نوفل بن عبدالمطلب وميثم التمار فطلب عبدالله بن الحارث حديدة يزيل بها شعر بدنه وقال لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد القيت ما على بدني من الشعر فقال له المختار والله لا يقتلك ولا يقتلني ولا يأتي عليك إلا القليل حتى تلي البصرة وميثم يسمع كلامهما فقال للمختار وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين «ع» وتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه (٣)

(١) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ واختصره فى رياض الاحزان ص ٥٨.

(٢) البحار ج ١٠ ص ٢٨٤ عن أخذ الثار لابن نما

(٣) شرح النهج لابن أبى الحديد ج ص ٢١٠ مصر والبحار ج ١٠ ص ٢٨٤

فكان الأمر كما قالا خرج عبدالله بن الحارث بالبصرة بعد هلاك يزيد وأمره أهل البصرة وبقي على هذا سنة وخرج المختار طالباً بدم الحسين «ع» فقتل ابن زياد وحرملة بن الكاهل وشمر بن ذي الجوشن الى العدد الكثير من اهل الكوفة الخارجين على الحسين «ع» فبلغ من قتلهم ثمانية عشر ألفاً كما يحدث به ابن نما الحلي وهرب منهم الى مصعب الزبيري زهاء عشرة آلاف (١) فيهم شبث بن ربعي جاء راكباً بغلة قد قطع اذنها وذنبها في قباء مشقوق وهو ينادي : واغوثاه سر بنا الى محاربة هذا الفاسق الذي هدم دورنا وقتل أشرافنا (٢) .

كلام الرأس المقدس

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا ... يكسوه من أنواره جلبابا
يتلو الكتاب على السنان وإنما ... رفعوا به فوق السنان كتابا

لم يزل السبط الشهيد حليف القرآن منذ أنشأ كيانه لأنهما ثقلا رسول الله وخليفتاه على امته وقد نص الرسول الأعظم «ص» بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض فبذلك كان الحسين غير مبارح تلاوته طيلة حياته في تهذيبه وإرشاده وتبليغه في حله ومرتحله حتى في موقفه يوم الطف بين ظهراني أولئك المتجمهرين عليه ليتم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة

(١) الأخبار الطوال ص ٢٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٤٦ .

هكذا كان ابن رسول الله يسير الى غايته المقدسة سيراً حثيثاً حتى طفق يتلو القرآن رأسه المطهر فوق عامل السنان عسى أن يحصل في القوم من يكهربه نور الحق غير أن داعية الهدى لم يصادف إلا قصراً في الادراك وطبعاً في القلوب وصمماً في الآذان « طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » .

ولم يستغرب هذا من يفقه الأسرار الالهية فان المولى سبحانه بعد أن أوجب على سيد الشهداء النهضة لسد أبواب الضلال بذلك الشكل المحدد الظرف والمكان والكيفية لمصالح أدركها الجليل جل شأنه فأوحى الى نبيه الأقدس أن يقرأ هذه الصحيفة الخاصة على ولده الحسين « ع » فلا سبيل إلا التسليم والخضوع للأصلح المرضي لرب العالمين « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » وحيث أراد المهيمن تعالى بهذه النهضة المقدسة تعريف الأمة الحاضرة والأجيال المتعاقبة ضلال الملتوين عن الصراط السوي العابثين بقداسة الشريعة أحب الاتيان بكل ما فيه توطيد اسس هذه الشهادة التي كتبت بدمها الطاهر صحائف نيرة من أعمال الثائرين في وجه المنكر فكانت هذه النهضة محتفة بغرائب لا تصل اليها الافهام ومنها استشهاد الرأس المعظم بالآيات الكريمة والكلام من رأس مقطوع أبلغ في إتمام الحجة على من أعمته الشهوات عن ابصار الحقائق وفيه تركيز العقائد على احقية دعوته التي لم يقصد بها إلا الطاعة لرب العالمين ووخامة عاقبة من مد عليه يد السوء والعدوان كما نبه الامة على ضلال من جرأهم على الطغيان ولا بدع في القدرة الالهية إذا مكنت رأس الحسين من الكلام للمصالح التي نقصر عن الوصول الى كنهها بعد أن أودعت في « الشجرة » قوة الكلام مع نبي الله

موسى بن عمران عليه السلام عند المناجات ، وهل تقاس الشجرة برأس المنحور في طاعة الرحمن سبحانه ؟ . . . كلا .

قال زيد بن أرقم : كنت في غرفة لي فمروا عليّ بالرأس وهو يقرأ : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » فقف شعري وقلت : والله يا ابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب (١) .

ونصب الرأس الأقدس في موضع الصياوفة وهنا لغط المارة وضوضاء المتعاملين ، فأراد سيد الشهداء توجيه النفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته فتنحنح الرأس تنحنحاً عالياً فاتجهت اليه الناس واعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتنحنح قبل يوم الحسين « ع » فعندها قرأ سورة الكهف الى قوله تعالى : « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، ولا تزد الظالمين إلا ضلالا » .

وصلب على شجرة فاجتمع الناس حولها ينظرون الى النور الساطع فأخذ يقرأ « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (٢) .

قال هلال بن معاوية : رأيت رجلا يحمل رأس الحسين « ع »

---

(١) إرشاد المفيد والخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٥ ، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٣٦٢ : كان زيد بن أرقم من المنحرفين عن امير المؤمنين علي « ع » فانه كتم الشهادة لأمير المؤمنين بالولاية يوم الغدير فدعا عليه بالعمى فكف بصره الى أن مات . وفي كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٤ : أمر ابن زياد فطيف برأس الحسين في الكوفة ومثله في البداية لإبن كثير ج ٨ ص ١٩١ والخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) ابن شهراشوب ج ٢ ص ١٨٨ .

والرأس يخاطبه : فرقت بين رأسي وبدني فرق الله بين لحمك وعظمك وجعلك آية ونكالا للعالمين فرفع السوط وأخذ يضرب الرأس حتى سكت (١)

وسمع سلمة بن كهيل الرأس يقرأ وهو على القناة : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » (٢) .

ويحدث ابن وكيدة انه لما سمع الرأس يقرأ سورة الكهف شك في أنه صوته أو غيره فترك عليه السلام القراءة والتفت اليه يخاطبه : يا ابن وكيدة أما علمت انا معشر الأئمة أحياء عند ربهم يرزقون ؟ .

فعزم على أن يسرق الرأس ويدفنه .

وإذا الخطاب من الرأس الأزهر : يا ابن وكيدة ليس الى ذلك سبيل إنّ سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييري على الرمح فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون (٣) .

قال المنهال بن عمرو : رأيت رأس الحسين بدمشق على رمح وأمامه رجل يقرأ سورة الكهف حتى اذا بلغ الى قوله تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » .

نطق الرأس بلسان فصيح : أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي (٤) .

ولما أمر يزيد بقتل رسول ملك الروم حيث أنكر عليه فعلته نطق

---

(١) شرح قصيدة أبي فراس ص ١٤٨ .

(٢) أسرار الشهادة ص ٤٨٨ .

(٣) شرح قصيدة أبي فراس ص ١٤٨ .

(٤) الخصائص للسيوطي ج ٢ ص ١٢٧ .

الرأس بصوت رفيع : « لا حول ولا قوة إلا بالله » (١) .

أروحك أم روح النبوة تصعد ... من الأرض للفردوس والحور سجد
ورأسك أم رأس (الرسول) على القنا ... بآية (أهل الكهف) راح يردد
وصدرك أم مستودع العلم والحجى ... لتحطيمه جيش من الجهل يعمد
وامك أم (ام الكتاب) تهدت ... فذاب نشيجاً قلبها المتنهد
وشاطرت الأرض السماء بشجوها ... فواحدة تنعى وأخرى تعدد
وقد نصب (الوحي) العزاء ببيته ... عليك حداداً والمعزى (محمد)
يلوح له (الثقلان) ثقل ممزّق ... بسهم وثقل بالسيوف مقدد
فعترته بالسيف والسهم بعضها ... شهيد وبعض بالفلاة مشرد
وأي شهيد أصلت الشمس جسمه ... ومشهدها من أصله متولد
وأي ذبيح داست الخيل صدره ... وفرسانها من ذكره تتجمد
ألم تك تدري أن روح (محمد) ... كقرآنه في (سبطه) متجسد
فلو علمت تلك الخيول كأهلها ... بان الذي تحت السنابك (احمد)
لثارت على فرسانها وتمردت ... عليهم كما ثاروا بها وتمردوا
فرى الغي نحراً يغبط البدر نوره ... وفي كل عرق منه للحق فرقد
وهشم أضلاعاً بها العطف مودع ... وقطع أنفاساً بها اللطف موجد
وأعظم ما يشجي النفوس حرائر ... تضام وحاميها (الوحيد) مقيد
فمن موثق يشكو التشدد من يد ... وموثقة تبكي فتلطمها اليد
كأن رسول الله قال لقومه ... خذوا وتركم من عترتي وتشددوا (٢)

---

(١) مقتل العوالم ص ١٥١ .

(٢) من قصيدة للسيد صالح ابن العلامة السيد مهدى بحر العلوم .

طغيان الاشدق

قال ابن جرير : أرسل ابن زياد عبد الملك بن الحارث السلمي الى المدينة ليبشر عمرو بن سعيد الأشدق (١) بقتل الحسين فاعتذر بالمرض فلم يقبل منه وكان ابن زياد شديد الوطأة « لا يصطلى بناره » وأمره أن يجد السير فان قامت به الراحلة يشتري غيرها ولا يسبقه الخبر من غيره فسار مجداً حتى اذا وصل المدينة لقيه رجل من قريش وسأله عما عنده فقال له الخبر عند الأمير ولما أعلم ابن سعيد بقتل الحسين فرح واهتز بشراً وشماتة .

وأمر المنادي أن يعلن بقتله في أزقة المدينة فلم يسمع ذلك اليوم واعية مثل واعية نساء بني هاشم فى دورهن على سيد شباب أهل الجنة واتصلت الصيحـــة بدار « الأشدق » فضحك وتمثل بقول عمرو بن معديكرب :

عجت نساء بني زياد عجـــة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ثم قال واعية بواعية عثمان (٢) .

---

(١) فى مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي ج ٥ ص ٢٤٠ وتطهير الجنان على هامش الصواعق المحرقة ص ١٤١ عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ليرعفن على منبري جبار من جبابرة بنى امية فيسيل رعافه وقد رعف عمرو بن سعيد وهو على منبره «ص» حتى سال رعافه .

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٢٦٨ .

والتفت الى قبر رسول الله وقال : يوم بيوم بدر يا رسول الله فأنكر عليه قوم من الأنصار (١) .

ثم رقي المنبر وقال : أيها الناس انها لدمة بلدمة وصدمة بصدمة كم خطبة بعد خطبة حكمة بالغة فما تغني النذر لقد كان يسبنا ونمدحه ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته ولكن كيف نصنع بمن سل سيفه علينا يريد قتلنا إلا أن ندفعه عن أنفسنا .

فقام اليه عبدالله بن السائب وقال : لو كانت فاطمة حية ورأت رأس الحسين لبكت عليه .

فزبره عمرو بن سعيد وقال : نحن أحق بفاطمة منك ، أبوها عمنا وزوجها أخونا وامها ابنتنا ولو كانت فاطمة حية لبكت عينها وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه (٢) .

وكان عمرو فظاً غليظاً قاسياً أمر صاحب شرطته على المدينة عمرو بن الزبير بن العوام بعد قتل الحسين أن يهدم دور بني هاشم ففعل وبلغ منهم كل مبلغ وهدم دار ابن مطيع وضرب الناس ضرباً شديداً فهربوا منه الى ابن الزبير (٣) .

وخرجت أسماء بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نساء قومها حتى انتهت الى قبر النبي « ص » فلاذت به وشهقت عنـــده ثم التفتت الى المهاجرين والأنصار تقول :

---

(١) نفس المهموم ص ٢٢٢ و شرح النهج لإبن أبي الحديد ج ٩ ص ٣٦١ .

(٢) مقتل العوالم ص ١٣١ . (٣) الأغاني ج ٤ ص ١٥٥ .

ماذا تقولون إن قال النبي لكم | يوم الحساب وصدق القول مسموع
خذلتموا عترتي أو كنتم غيباً | والحق عند ولي الأمر مجموع
أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما | منكم له اليوم عند الله مشفوع
ما كان عند غداة الطف إذ حضروا | تلك المنايا ولا عنهن مدفوع

فأبكت من حضر ولم ير باك وباكية أكثر من ذلك اليوم (١).

وكانت أختها زينب تندب الحسين بأشجى ندبة وتقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم | ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي | منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم | أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم (٢)

---

(١) أمالي ابن الشيخ الطوسى ص ٥٥.

(٢) الأبيات بهذا اللفظ فى مثير الأحزان لإبن نما ص ٥١ واللهوف لإبن طاووس ص ٩٦ والكامل لإبن الأثير ج ٤ ص ٣٦ وعنده انها لبنت عقيل بن أبى طالب ومثله ابن جرير فى التاريخ ج ٦ ص ٢٦٨، إلا انه ذكر الأول والثانى. وفى رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ج ١ ص ٢١٢ للأبيات خلاف، وفى مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٧٦: ان زينب بنت عقيل بن أبى طالب قالت البيتين الأولين، وفى رواية اخرى ان بنت عقيل بن أبى طالب قالت وذكر أربعة أبيات والرابع منها:

ضيعتم حقنا والله أوجبه | وقد رعى الفيل حق البيت والحرم

ونسب ابن شهراشوب فى المناقب الى زينب بنت أمير المؤمنين «ع» انها أنشأت الأبيات الثلاثة بعد خطبتها بالكوفة. وفى تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى ص١٥١: ان زينب بنت عقيل بن أبى طالب قالت، وذكر —

وأقامت أم البنين زوجة أمير المؤمنين العزاء على الحسين واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبن الحسين وأهل بيته وبكت أم سلمة وقالت : فعلوها ملأ الله قبورهم ناراً (١) .

وأقبل الناس الى عبدالله بن جعفر الطيار يعزونه فقال مولاه أبو السلاس (٢) : هذا ما لقينا من الحسين فحذفه بنعله وقال له : يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا ؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا افارقه حتى اقتل معه والله انه لما يسخي بنفسي عن ولدي ويهون علي المصاب بهما إنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه .

ثم أقبل على جلسائه وقال : الحمد لله لقد عز علي المصاب بمصرع

ــ أربعة أبيات وكان الرابع فى روايته :

ذريتى وبنو عمى بمضيعة   منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم

ونسب ابن حجر الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٠ الأبيات الثلاثة الى زينب بنت عقيل بن أبى طالب ثم قال وقال أبو الأسود الدؤلى :

أقول وزادنى حنقاً وغيظاً   أزال الله ملك بنى زياد

وأبعدهم كما بعدوا وخانوا   كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولا رجعت ركائبهم اليهم   اذا قفت الى يوم التناد

وفى إرشاد الشيخ المفيد : لما سمعت ام لقمان بنت عقيل بن أبى طالب بنعى الحسين خرجت تنعاه ومعها اخوتها ام هانى وأسماء ورملة وزينب ، وذكر الأبيات الثلاثة .

(١) رياض الأحزان ص ٥٩ و ٦٠ .

(٢) فى كشف الغمة ص ١٩٤ والإرشاد للمفيد أبو السلاسل .

الحسين أن لا أكون آسيته بنفسي فلقد آساه والدي (١) .

السبايا الى الشام

وبعث ابن زياد رسولا الى يزيد يخبره بقتل الحسين ومن معه وإن عياله في الكوفة وينتظر أمره فيهم ، فعاد الجواب بحملهم والرؤوس معهم (٢) .

وكتب رقعة ربط فيها حجراً ورماه في السجن المحبوس فيه آل محمد صلى الله عليه وآله وفيها خرج البريد الى يزيد بأمركم في يوم كذا ويعود في كذا ، فاذا سمعتم التكبير فأوصوا وإلا فهو الأمان ، ورجع البريد من الشام يخبر بأن يسرح آل الحسين الى الشام (٣) .

فأمر ابن زياد زحر بن قيس وأبا بردة بن عوف الأزدي وطارق

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٨ .

(٢) اللهوف ص ٩٥ و ٩٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٦٦ ، وفي ص ٩٦ ذكر ان أبا بكرة أجله بسر بن ارطاة اسبوعا على أن يذهب الى معاوية فرجع من الشام في اليوم السابع . وفي مثير الأحزان لإبن نما ص ٧٤ ان عميرة أرسله عبدالله بن عمر الى يزيد ومعه كتاب الى ابن زياد ليطلق سراح المختار الثقفي ، فكتب يزيد بذلك الى عبيدالله بن زياد ، فجاء عميرة بالكتاب الى الكوفة وقد قطع المسافة بين الشام والكوفة بإحدى عشر يوما .

ابن ظبيان في جماعة من الكوفة أن يحملوا رأس الحسين ورؤوس من قتل معه الى يزيد (١) .

وقيل ذهب برأس الحسين مجبر بن مرة بن خالد بن قتاب بن عمرو ابن قيس بن الحرث بن مالك بن عبيد بن خزيمة بن لوي (٢) .

وسرح فى أثرهم علي بن الحسين مغلولة يديه الى عنقه وعياله معه (٣) على حال تقشعر منها الأبدان (٤) .

وكان معهم شمر بن ذي الجوشن ومحفز بن ثعلبة العائذي وشبث بن ربعي وعمرو بن الحجاج وجماعة وأمرهم أن يلحقوا الرؤوس ويشهروهم في كل بلد يأتونها (٥) فجدوا السير حتى لحقوا بهم في بعض المنازل (٦) .

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٦٤ وابن الأثير ج ٤ ص ٣٤ والبداية ج ٨ ص ١٩١ والخوارزمى وإرشاد المفيد وأعلام الورى ص ١٤٩ واللهوف ص ٩٧ .

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٤٨٩ بترجمة مرة .

(٣) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٤ والخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٤) تاريخ القرمانى ص ١٠٨ وفى مرآة الجنان لليافعى ج ١ ص ١٣٤ سيقت بنات الحسين وعلي ومعهم زين العابدين وهو مريض كما تساق الاسارى قاتل الله فاعل ذلك ، وخالف ابن تيمية ضرورة التاريخ فقال كما فى المنتقى من منهاج الإعتدال للذهبي ص ٢٨٨ سير ابن زياد حرم الحسين بعد قتله الى المدينة .

(٥) المنتخب للطريحى ص ٣٣٩ الطبعة الثالثة .

(٦) الإرشاد للمفيد .

وحدث ابن لهيعة انه رأى رجلا متعلقاً بأستار الكعبة يستغيث بربه ثم يقول : ولا أراك فاعلا ، فأخذته ناحية وقلت : انك لمجنون فان الله غفور رحيم ، ولو كانت ذنوبك عدد القطر لغفرها لك .

قال لي : إعلم كنت ممن سار برأس الحسين الى الشام ، فاذا أمسينا وضعنا الرأس وشربنا حوله . وفى ليلة كنت أحرسه وأصحابي رقود فرأيت برقاً وخلقاً أطافوا بالرأس ففزعت وأدهشت ولزمت السكوت فسمعت بكاءاً وعويلا وقائلا يقول : يا محمد ان الله أمرني أن أطيعك فلو أمرتني أن ازلزل بهؤلاء الأرض كما فعلت بقوم لوط فقال له : يا جبرئيل ان لي موقفاً معهم يوم القيامة بين يدي ربي سبحانه .

فصحت يا رسول الله الأمان فقال لي : اذهب فلا غفر الله لك فهل ترى الله يغفر لي ؟ (١) .

وفي بعض المنازل وضعوا الرأس المطهر فلم يشعر القوم إلا وقد ظهر قلم حديد من الحائط وكتب بالدم (٢) :

---

(١) اللهوف ص ٩٨ .

(٢) مجمع الزوائد لإبن حجر ج ٩ ص ١٩٩ والخصائص للسيوطى ج ٢ ص ١٢٧ وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٤٢ والصواعق المحرقة ص ١١٦ والكواكب الدرية ج ١ ص ٥٧ والأتحاف بحب الأشراف ص ٢٣ ونسبه ابن طاووس فى اللهوف ص ٩٨ الى تاريخ بغداد لإبن البخار وفى تاريخ القرمانى ص ١٠٨ : وصلوا الى دير فى الطريق فنزلوا فيه ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه هذا البيت . وفى الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٥ كتب هذا قديماً ولا يدرى قائله . وفى مثير الأحزان لابن نما —

أترجو امة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فلم يعتبروا بهذه الآية وأرداهم العمى إلى مهوى سحيق ونعم الحكم الله تعالى .

وقبل أن يصلوا الموضع بفرسخ وضعوا الرأس على صخرة هناك فسقطت منه قطرة دم على الصخرة فكانت تغلي كل سنة يوم عاشوراء ويجتمع الناس هناك من الأطراف فيقيمون المأتم على الحسين ويكثر العويل حولها وبقي هذا إلى أيام عبدالملك بن مروان فأمر بنقل الحجر فلم ير له أثر بعد ذلك ولكنهم بنوا في محل الحجر قبة سموها « النقطة » (١)

وكان بالقرب من « حماة » فى بساتينها مسجد يقال له مسجد الحسين ويحدث القومة ان الحجر والأثر والدم موضع رأس الحسين حين ساروا به إلى دمشق (٢)

ـــ ص٥٣ : حفروا فى بلاد الروم حفراً قبل أن يبعث النبى «ص» بثلثمائة سنة فأصابوا حجراً مكتوب عليه بالمسند هذا البيت والمسند كلام أولاد شبث .

(١) نفس المهموم ص ٢٢٨ للشيخ الجليل الشيخ عباس القمى وفى نهر الذهب فى تاريخ حلب ج ٣ ص ٢٣ لما جىء برأس الحسين مع السبايا ووصلوا إلى هذا الجبل غربى حلب قطرت من الرأس الشريف قطرة دم وعمر على أثرها مشهد عرف « بمشهد النقطة » وفيه ج ٣ ص ٢٨٠ نقل عن تاريخ يحيى بن أبى طى من عمر هذا المشهد وتوالي العمارات عليه .

(٢) قال الشيخ المحدث الجليل الشيخ عباس القمى فى نفس المهموم شاهدت هذا الحجر عند سفرى إلى الحج وسمعت الخدم يتحدثون بذلك .

وبالقرب من « حلب » مشهد يعرف « بمسقط السقط » (١) وذلك ان حرم الرسول «ص» لما وصلوا إلى هذا المكان أسقطت زوجة الحسين سقطاً كان يسمى « محسناً » (٢)

وفي بعض المنازل نصبوا الرأس على رمح إلى جنب صومعة راهب وفي أثناء الليل سمع الراهب تسبيحاً وتهليلا ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهر وسمع قائلا يقول : السلام عليك يا أبا عبدالله فتعجب حيث لم يعرف الحال .

---

(١) فى معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٣ وخريدة العجائب ص ١٢٨ يسمى مشهد الطرح وفى نهر الذهب ج ٢ ص ٢٧٨ سمى مشهد الدكة ومشهد الطرح يقع غربى حلب وحكى عن تاريخ ابن أبى طى ان مشهد الطرح ظهر سنة ٣٥١ وسببه ان سيف الدولة كان فى داره خارج حلب فرأى نوراً ينزل على مكان المشهد وتكرر ذلك فركب بنفسه وحفر الموضع فظهر حجر مكتوب عليه « هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن أبى طالب » فسأل سيف الدولة من العلويين فذكروا له الحمل الذى حملته فاطمة بنت رسول الله وسماه رسول الله محسناً قبل ولادته وانه اسقط لما اخرج علي « ع » إلى البيعة ثم ذكر بعضهم ان احدى نساء الحسين اسقطت هنا لما جيء بسبي عيال الحسين والرؤوس وكان هنا معدن وأهله لما فرحوا بالسبى دعت عليهم (زينب) ففسدذلك المعدن فعمره سيف الدولة ثم ذكر توالي العمارات عليه .

(٢) فى معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٣ بمادة جوشن وخريدة العجائب لابن الوردى ص ١٢٨ ان بعض سبي الحسين «ع» طلب ممن يقطن هناك من الصناع خبزاً وماء فامتنع فدعا عليهم ومن ذلك لا يربح أهل ذلك الموضع .

وعند الصباح استخبر من القوم انه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب وامه فاطمة بنت محمد النبي (ص) فقال لهم : تباً لكم أيتها الجماعة صدقت الأخبار فى قولها إذا قتل تمطر السماء دماً .

وأراد منهم أن يقبل الرأس فلم يجيبوه إلا بعد أن دفع اليهم دراهما ثم أظهر الشهادتين وأسلم ببركة المذبوح دون الدعوة الالهية ولما ارتحلوا عن هذا المكان نظروا إلى الدراهم وإذا مكتوب عليها :

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (١)

أيهدى إلى الشامات رأس ابن فاطم ... ويقرعـــه بالخيزرانة كاشحه
وتسبى كريمات النبي حواسراً ... تغادي الجوى من ثكلها وتراوحه
يلوح لها رأس الحسين على القنا ... فتبكي وينهاها عن الصبر لائحه
وشيبته مخضوبـــة بدمائه ... يلاعبها غادي النسيم ورائحه (٢)

فى الشام

ولما قربوا من دمشق أرسلت ام كلثوم إلى الشمر أن يدخلهم فى درب قليل النظار ويخرجوا الرؤوس من بين المحامل لكي يشتغل الناس بالنظر إلى الرؤوس فسلك بهم على حالة تقشعر من ذكرها الأبدان وترتعد مفاصل كل انسان (٣)

---

(١) تذكرة الخواص ص ١٥٠

(٢) للعلامة الشيخ عبدالحسين الأعسم النجفى رحمه الله .

(١) تاريخ القرمانى ص ١٠٨ .

وأمر أن يسلك بهم بين النظارة وان يجعلوا الرؤوس وسط المحامل (١) وفي أول يوم من صفر دخلوا دمشق (٢) فاوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم في فرح وسرور ودنا رجل من « سكينة » وقال من أي السبايا انتم ؟ قالت نحن سبايا آل محمد «ص» (٣) .

وكان يزيد جالساً في منظرة على « جيرون » ولما رأى السبايا والرؤوس على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ثنية جيرون نعب غراب فأنشأ يزيد يقول :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت | تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل | فقد اقتضيت من الرسول ديوني

ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي ابو يعلى والتفتازاني والجلال السيوطي بكفره ولعنه (٤) .

---

(١) اللهوف ص ٩٩ ومثير الاحزان لابن نما ص ٥٣ .

(٢) نص عليه كامل البهائي والآثار الباقية للبيروني والمصباح للكفعمي ص ٢٦٩ وتقويم الحسنين للفيض ص ١٥ وبناء على ما فى تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٦ من حبسهم فى السجن إلى أن يأتى البريد من الشام بخبرهم بعد وصولهم إلى الشام فى أول صفر فان المسافة بعيدة تستدعى زمناً طويلا اللهم إلا أن يكون البريد من طريق « الطير »

(٣) امالي الصدوق ص ١٠٠ مجلس ٣١ .

(٤) روح المعانى للالوسي ج ٦ ص ٧ آية «فهل عسيتم ان توليتم» قال الالوسى اراد بقوله « فقد اقتضيت من الرسول ديونى » انه قتل بما قتله رسول الله (ص) يوم بدر كجده عتبة وخاله وغيرهما وهـذا كفر صريح ومثله تمثله بقول ابن الزبعرى قبل اسلامه (ليت أشياخى) الأبيات

ودنا سهل بن سعد الساعدي من علي بن الحسين وقال له : ألك حاجة فأمره أن يدفع لحامل الرأس شيئاً فيبعده عن النساء ليشتغل الناس بالنظر اليه ففعل « سهل » واخبر الامام فجزاه خيراً (١)

ودنا شيخ من السجاد «ع» وقال له الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم ههنا أفاض الامام من لطفه على هذا المسكين المغتر بتلك التمويهات لتقريبه من الحق وارشاده إلى سواء السبيل وهكذا أهل البيت (ع) تشرق انوارهم على من يعلمون صفاء قلبه وطهارة طينته واستعداده للهدايه فقال عليه السلام له : ياشيخ أقرأت القرآن قال بلي قال عليه السلام : أقرأت « قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربي » وقرأت قوله تعالى : وآت ذا القربي حقه » وقوله تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربي » ؟ قال الشيخ : نعم قرأت ذلك .

فقال «ع» : نحن والله القربى فى هذه الآيات .

ثم قال له الامام : أقرأت قوله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ؟ قال : بلى .

فقال عليه السلام : نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير .

قال الشيخ : بالله عليك انتم هم فقال عليه السلام : وحق جدنا رسول الله انا لنحن هم من غير شك .

فوقع الشيخ على قدميه يقبلها ويقول أبرأ إلى الله ممن قتلكم وتاب على يد الامام مما فرط في القول معه وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله فأمر

(١) مقتل العوالم ص ١٤٥

بقتله (١) .

بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى
وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق (قل لا) (٢)

وقبل أن يدخلوهم إلى مجلس يزيد أتوهم بحبال فربقوهم بها فكان الحبل في عنق زين العابدين إلى زينب وأم كلثوم وباقي بنات رسول الله (ص) وكلما قصروا عن المشي ضربوهم حتى اوقفوهم بين يدي يزيد وهو على سريره فقال علي بن الحسين «ع» : ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذا الحال فبكى الحاضرون وأمر يزيد بالحبال فقطعت (٣)

واقيموا على درج باب الجامع حيث يقام السبي ووضع الرأس المقدس بين يدي يزيد وجعل ينظر اليهم ويقول :

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن هاماً ومعصما
نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما (٤)

---

(١) اللهوف ص ١٠٠ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٢ وروح المعاني للالوسي ج ٢٥ ص ٣١ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٦١

(٢) روح المعاني للالوسي ج ٥ ص ٣ انهما للسيد عمر الهيتي أحد أقاربه المعاصرين وقد استجودهما الالوسي

(٣) الانوار النعمانية ص ٣٤٠ واللهوف ص ١٠١ وتذكرة الخواص ص ٤٩

(٤) مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ١٣٥ واقتصر ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٨ على البيت الثاني واقتصر الخوارزمي في المقتل ج ٢ ص ٦١ على وقوفهم على درج باب الجامع

ثم التفت إلى النعمان بن بشير وقال : الحمـــد لله الذي قتله فقال النعمان : قد كان أمير المؤمنين معاوية يكره قتله فقال يزيد : قد كان ذلك قبل ان يخرج ولو خرج على أمير المؤمنين لقتله (١)

فليت السما حقاً على الأرض اطبقت ... وطاف على الدنيا الفناء أو النشر
« بنات علي » وهي خير حرائر ... يباح بأيدي الأدعياء لها ستر
سبايا على عجف المطايا حواسراً ... يودعها مصر ويرقبها مصر
فان دمعت منهن عين وقصرت ... عن المشي اعياء مخـــدرة طهر
أهاب بها « شمر الخنا » بقساوة ... وألمها في سوطه نقمة « زجر »
وليس لديها كافل غير مدنف ... أضرت به البلوى وقد مسه الضر
عليل يعاني القيد والغل في السرى ... ويبـــدو على سيمائه الذل والأسر
سروا فيه مغلول اليدين مقيـــداً ... إلى بطن (حرف) لم يوطأ لها ظهر
وقد أكل اللحم الحديد بجيده ... وأثر حتى فاض في دمه النحر
يلاحظ أطفالا تصيح ونسوة ... تعج وأكباداً يطير بها الذعر
ورأس أبيه وهو سبط محمـــد ... أمام السبايا تستطيل به السمر
وقد ادخلوه الشام لا مرحباً به ... وأفراحه تطغى بعيد هو النصر
إلى مجلس فيه ابن هند بنصره ... قرير ومروان يطـــير به البشر
ورأس أبيه السبط في طست عسجد ... أمام دعي غره الزهـو والـكبر
وقد كان يخفي الكفر لكن بذكره ... لأشياخه في بدر قد ظهر الكفر (٢)

* * *

---

(١) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٥٩

(٢) من قصيدة للعلامة الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي

يزيد مع السجاد

والتفت يزيد إلى السجاد «ع» وقال : كيف رأيت صنع الله ياعلي ابن الحسين فقال عليه السلام : رأيت ما قضاه الله عز وجل قبل أن يخلق السموات والأرض . وشاور يزيد من كان حاضراً عنده في أمره فأشاروا عليه بقتله فقال زين العابدين « ع » : يايزيد لقـد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون عليه حين شاورهم فى موسى وهارون فانهم قالوا له : ارجه وأخاه ولا يقتل الأدعياء اولاد الانبياء وأبناءهم فأمسك يزيد مطرقا (١)

ومما دار بينهما من الكلام أن قال يزيد لعلي بن الحسين « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » قال علي بن الحسين : ماهـذه فينا نزلت إنما نزل فينا « ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا فى كتاب من قبل ان نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم » (٢) فنحن لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما اتانا (٣) فأنشد يزيد قول الفضل بن العباس بن عتبة :

---

(١) إثبات الوصية ص ١٤٣ ط نجف .

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٣١٣ وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٧

(٣) تفسير علي بن ابراهيم ص ٦٠٣ فى الشورى .

مهلا بني عمنا مهلا موالينا   لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا(١)

ثم استأذنه عليه السلام في أن يتكلم فقال يزيد : نعم على أن لا تقل هجراً قال «ع» لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر ما ظنك برسول الله «ص» لو يراني على هذه الحال فأمر يزيد بأن يفك الغل منه (٢)

وأمر يزيد الخطيب أن يثني على معاوية وينال من الحسين وآله فأكثر الخطيب من الوقيعة في علي والحسين فصاح به السجاد «ع» : لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار «٣» :

أعلى المنابر تعلنون بسبه   وبسيفه نصبت لكم أعوادها

وقال ليزيد أتأذن لي أن ارقى هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله تعالى رضى ولهؤلاء أجر وثواب فأبى يزيد وألح الناس عليه فلم يقبل فقال ابنه معاوية إئذن له ما قدر ان يأتي به فقال يزيد ان هؤلاء ورثوا العلم والفصاحة (٤) وزقوا العلم زقاً (٥) وما زالوا به حتى اذن له .

فقال «ع» : الحمد لله الذي لا بداية له ، والدائم الذي لا نفاد

---

(١) المحاضرات للراغب الاصفهاني ج ١ ص ١٧٥ وهذا البيت من ابيات خمسة للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ذكرها أبو تمام في الحماسة راجع «شرح التبريزي ج ١ ص ٢٢٣»

(٢) مثير الأحزان لابن نما ص ٥٤ وغيره .

(٣) نفس المهموم ص ٢٤٢ .

(٤) كامل البهائي .

(٥) رياض الاحزان ص ١٤٨ .

له ، والأول الذي لا اولية له ، والآخر الذي لا آخرية له ، والباقي بعد فناء الخلق ، قدر الليالي والأيام ، وقسم فيما بينهم الأقسام ، فتبارك الله الملك العلام ، إلى أن قال : أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع ، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي والصديق والطيار وأسد الله وأسد رسوله وسبطا هذه الأمة ، أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني انبأته بحسبي ونسبي أيها النا أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفا ، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا ، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى وخير من طاف وسعى ، وحج ولبى ، انا ابن من حمل على البراق وبلغ به جبرئيل سدرة المنتهى ، فكان من ربه كقاب قوسين او أدنى ، انا ابن من صلى بملائكة السماء ، انا ابن من اوحى اليه الجليل ما اوحى ، انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، انا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين ، ويعسوب المسلمين ، ونور المجاهدين وقاتل الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين ومفرق الاحزاب ، اربطهم جأشاً ، وأمضاهم عزيمة ذاك ابو السبطين الحسن والحسين ، علي بن ابي طالب .

انا ابن فاطمة الزهراء ، وسيدة النساء ، وابن خديجة الكبرى .

انا ابن المرمل بالدماء ، انا ابن ذبيح كربلا ، انا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء ، وناحت الطير في الهواء .

فلما بلغ إلى هذا الموضع ضج الناس بالبكاء وخشي يزيد الفتنة فأمر المؤذن ان يؤذن للصلاة فقال المؤذن : الله اكبر .

قال الامام الله اكبر واجل واعلا واكرم مما اخاف واحذر ، فلما قال المؤذن أشهد ان لا إله إلا الله قال «ع»: نعم اشهد مع كل شاهد ان لا إله غيره ولا رب سواه فلما قال المؤذن ، اشهد ان محمداً رسول الله قال الامام للمؤذن أسألك بحق محمد ان تسكت حتى اكلم هذا .

والتفت إلى يزيد وقال : هذا الرسول العزيز الكريم جدك ام جدي فان قلت جدك علم الحاضرون والناس كلهم انك كاذب وإن قلت جدي فلم قتلت ابي ظلماً وعدواناً وانتهبت ماله وسبيت نساءه فويل لك يوم القيامة إذا كان جدي خصمك .

فصاح يزيد بالمؤذن : اقم للصلاة فوقع بين الناس همهمة وصلى بعضهم وتفرق الآخر (١) .

الرأس الاطهر

ودعا يزيد برأس الحسين «ع» ووضعه امامه في طست من ذهب (٢) وكان النساء خلفه فقامت سكينة وفاطمة يتطاولان النظر اليه ويزيد يستره عنهما فلما رأينه صرخن بالبكاء (٣) ثم اذن للناس ان يدخلوا (٤) وأخذ يزيد

(١) نفس المهموم ص ٢٤٢ .

(٢) مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ١٣٥ .

(٣) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٠٥ .

(٤) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ .

القضيب وجعل ينكت ثغر الحسين (١) ويقول يوم بيوم بدر (٢) وانشد قول الحصين بن الحمام :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت   قواضب في ايماننا تقطر الدما
نفلق هاماً من رجال أعزة   علينا وهم كانوا اعق واظلما «٣»

فقال يحيى بن الحكم بن أبي العاص اخو مروان وكان جالساً عنده :

لهام بجنب الطف ادنى قرابـــة   من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية امسى نسلها عدد الحصى   وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٧ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ وتذكرة الخواص ص ١٤٨ والصواعق المحرقة ص ١١٩ والفروع لابن مفلح الحنبلي فى فقه الحنابلة ج ٣ ص ٥٤٩ ومجمع الزوائد لابن حجر ج ٩ ص ١٩٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٠٥ والخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٩ والبداية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٢ وشرح مقامات الحـــريرى للشريشى ج ١ ص ١٩٣ آخر المقامة للعاشرة وأيام العرب فى الاسلام ص٤٣٥ تأليف محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوى ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٥ وفى الاتحاف بحب الاشراف ص ٢٣ صار يزيد يضرب ثناياه بالقضيب .

« والنكت » كما فى صحاح الجوهرى الضرب وفى المغرب للمطرزى ج ٢ ص ٢٢٧ نكتت خدها بأصبعها أى نقرته وضربته وفى مقاييس اللغه لابن فارس ج ٥ ص ٤٧٥ نكت فى الأرض بقضيبه ينكت إذا أثر فيها .

(٢) مناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ـ

فضربه يزيد على صدره وقال اسكت لا ام لك «١»

وقال ابو برزة الأسلمي : اشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا اخيه الحسن «ع» ويقول انتما سيدا شباب اهل الجنة قتل الله قاتلكما ولعنه واعد له جهنم وساءت مصيراً . فغضب يزيد منه وامر به فأخرج

ــ ص ٢٠٥ والبيت الأول عند اليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ١٣٥ .

صبرنا فكان الصبر منا عزيمة ... واسيافنا يقطعن كفاً ومعصما

ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١٤٨ مع تغيير في بعض الفاظه وجماعة من المؤرخين اقتصروا على البيت الثاني منهم الشريشي في شرح مقامات الحريري ج ١ ص ١٩٣ والاندلسي في العقد الفريد ج ٢ ٣١٣ وابن كثير في البداية ج ٨ ص ١٩٧ والشيخ المفيد في الارشاد وابن جرير الطبري في التاريخ ج ٦ ص ٢٦٧ وقال البيت للحصين بن الحمام المري .

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٥ وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٧ وعجز البيت الثاني في مجمع الزوائد لابن حجر ج ٩ ص ١٩٨ ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٢٦ (وبنت رسول الله ليس لها نسل) وفي البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٣ كان الحصين ينشد وذكر البيت الثاني موافقاً لمجمع الزوائد وفي مثير الأحزان لابن نما ص ٥٤ روى ان الحسن بن الحسن ـ هو المثنى ـ لما رأى يزيد يضرب رأس الحسين «ع» بالقضيب قال واذلاه :

سمية امسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسل

وفي تذكرة الخواص ص ١٤٩ لما بلغ الحسن البصري فعلة يزيد بالرأس تمثل بالبيت الثاني .

صحيحاً «١»

والتفت رسول قيصر إلى يزيد وقال إن عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى «ع» ونحن نحج اليه في كل عام من الاقطار ونهدي اليه النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم فأشهد انكم على باطل «٢» فأغضب يزيد هذا القول وأمر بقتله فقام إلى الرأس وقبله وتشهد الشهادتين وعند قتله سمع اهل المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً فصيحاً « لا حول ولا قوة إلا بالله » «٣» .

ثم اخرج الرأس من المجلس وصلب على باب القصر ثلاثة أيام «٤» فلما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجة يزيد الرأس على باب دارها «٥» والنور الالهي يسطع منه ودمه طري لم يجف ويشم منه رائحة طيبة «٦» دخلت المجلس مهتوكة الحجاب «٧» وهي تقول : رأس ابن بنت رسول الله

---

(١) اللهوف ص ١٠٢ واختصر الحديث فى الفصول المهمة ص ٢٠٥ وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٧ ومناقب ابن شهراشوب ج ٢ ص ٢٦

(٢) الصواعق المحرقة ص ١١٩

(٣) مقتل العوالم ص ١٥١

(٤) الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٩ والاتحاف بحب الاشراف ص ٢٣ ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٧٥ والبداية لابن كثير ج ٨ ص ٢٠٤

(٥) مقتل العوالم ص ١٥١ وتقدم فى ص ٥ من المقدمة التعريف بأبيها وعند من كانت .

(٦) الخطط المقريزية ج ٢ ص ٢٨٤

(٧) المقتل للخوارزمى ج ٢ ص ٧٤

على باب دارنا فقام اليها يزيد وغطاها وقال لها اعولي عليه ياهند فانه صريخة بني هاشم عجل عليه ابن زياد «١»

وأمر يزيد بالرؤوس ان تصلب على ابواب البلد والجامع الاموى ففعلوا بها ذلك «٢»

وفرح مروان بقتل الحسين «ع» فقال :

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

ثم جعل ينكت بالقضيب في وجهه ويقول :

ياحبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
كأنه بات بمسجدين شفيت منك النفس ياحسين(٣)

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٦٧ .

(٢) نفس المهموم ص ٢٤٧ .

(٣) رياض الأحزان ص ٥٩ ومثير الأحزان لإبن نما ص ٥ واقتصر سبط ابن الجوزى على البيت الأول وفى رواية ابن ابى الحديد فى شرح النهج ج ١ ص ٣٦١ مصر لها هكذا :

ياحبذا بردك فى اليدين . وحمرة تجرى على خدين
كأنما بات بمسجدين

والبرد كما فى تاج العروس ج ٢ ص ٢٩٨ السكون والفتور فكأنه أراد أن يكون قتله وإسكانه عن الحركة بيده وانه الذى يضرج خدية بحمرة الدم، واستبعاد حضور مروان فى الشام حينذاك يرده نص ابن جرير الطبرى فى التاريخ ج ٦ ص ٢٦٧ وابن كثير فى البداية ج ٨ ص ١٩٦ كان مروان بن الحكم يسأل الجماعة الذين وردوا الشام مع العيال عما فعلوه بالحسين «ع» -

الشامي مع فاطمة

قال الرواة نظر رجل شامي إلى فاطمة بنت علي (١) فطلب من يزيد ان يهبها له لتخدمه ففزعت ابنة اميرالمؤمنين وتعلقت بأختها العقيلة زينب وقالت كيف اخدم ؟ قالت العقيلة : لاعليك انه لن يكون ابداً فقال يزيد لو أردت لفعلت فقالت له إلا أن تخرج عن ديننا فرد عليها : إنما خرج عن الدين ابوك واخوك قالت زينب بدين الله ودين جدي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال كذبت ياعدوة الله فرقت عليها السلام وقالت أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك (٢) وعاود الشامي الطلب فزبره يزيد ونهره وقال له وهب الله لك حتفاً قاضياً (٣) .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٦٥ والبداية لإبن كثير ج ٨ ص ١٩٤ واما‌لى الشيخ الصدوق ص ١٠٠ مجلس ٣١ ويروى ابن نما فى مثير الأحزان ص ٥٤ : انها فاطمة بنت الحسين «ع» .

(٢) ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ .

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٢٦٥ .

خطبة زينب

قال ابن نما وابن طاووس (١) لما سمعت زينب بنت علي عليهم السلام يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعري (٢) :

---

(١) ذكرت هذه الخطبة فى « بلاغات النساء » ص ٢١ ط النجف ومقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٦٤ .

(٢) نص سبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواص ص ١٤٨ على ما عدى الثانى منها ، وفى مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٥٨ : ان يزيد لما أحضر رأس الحسين أمامه جعل ينكت فى ثغره ويكشف بالقضيب عن ثناياه وأنشد :

يا غراب البين ما شئت فقل ... إنما تندب أمراً قد فعل

كل ملك ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبن بكل

وذكر بعدهما الأبيات المذكورة هنا ، وفى ص ٦٧ ذكر انها من قصيدة لعبدالله بن الزبعرى قالها يوم أحد وذكر منها ستة عشر بيتاً ، ولم يتوقف الآلوسى فى روح المعانى ج ٢٦ ص ٧٣ فى تمثله بها ولأجلها ولما صنعه بآل الرسول حكم احمد بن حنبل وسعد التفتازانى وجماعة كثيرة بكفره .

ثم قال الآلوسى : ومن يقول ان يزيد لم يعص بذلك ولا يجوز لعنه ينبغى أن ينتظم فى سلسلة أنصار يزيد « وأنا أقول » ان الخبيث لم يكن مصدقا برسالة النبي « ص » وان بمجموع ما فعله مع اهل حرم الله واهل حرم نبيه « ص » وعترته الطيبين الطاهرين فى الحياة وبعد الممات وما صدر منه من المخازى ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف —

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ـ الشريف فى قذر ، ولا أظن ان أمره كان خافيا على أجلة المسلمين ، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين ولم يسعهم إلا الصبر ولو سلم ان الخبيث كان مسلما فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان وأنا أذهب الى جواز لعن مثله على التعيين ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين ، والظاهر انه لم يتب واحتمال توبته أضعف من ايمانه .

ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة فلعنة الله عليهم وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومن مال اليهم الى يوم الدين ما دمعت عين على أبى عبد الله الحسين « ع » ، ويعجبنى قول شاعر العصر ذو الفضل الجلى عبد الباقى أفندى العمرى الموصلى وقد سئل عن لعن يزيد فقال :

يزيد على لعنى عريض جنابه فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا

ومن كان يخشى القال والقيل من التصريح بلعن ذلك الضليل فليقل لعن الله عز وجل من رضى بقتل الحسين ومن آذى عترة النبى بغير حق ومن غصبهم حقهم فانه يكون لاعناً له لدخوله تحت العموم دخولا أولياً فى نفس الأمر ولا يخالف أحد فى جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها سوى ابن العربى المار ذكره وموافقيه فانهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضى بقتل الحسين وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذى يكاد يزيد على ضلال يزيد . انتهى كلامه فى روح المعانى ج ٢٦ ص ٧٢ الى ٧٤ فى آية « فهل عسيتم إن توليتم » من سورة محمد .

لست من خندف إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

قالت :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون » . أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى إن بنا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة ، وإن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسرورا ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلا ، أنسيت قول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » .

أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وأماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلد الى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ، ولا من رجالهن ولي ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ فى بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن ، والاحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب اهل الجنة تنكتها بمخصرتك

وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت .

اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا .

فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا ، وأيكم شر مكاناً ، وأضعف جنداً .

ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، واستعظم تقريعك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى .

ألا فالعجب كل العجب ، لقتل حزب الله النجباء ، بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها امهات الفراعل ، ولئن اتخذتنا مغنما ، لتجدنا وشيكا مغرما ، حين لا تجد إلا ما قدمت

يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، والى الله المشتكى وعليه المعول .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند ، وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين .

والحمد لله رب العالمين ، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، انه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال يزيد :

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح

ومن جهل يزيد وغيه وضلاله قوله بملء فمه غير متأثم ولا مستعظم ، يخاطب من حضر عنده من ذؤبان أهل الشام : أ تدروني من أين أتى ابن فاطمة وما الحامل له على ما فعل والذي أوقعه فيما وقع ؟ قالوا : لا ، قال : يزعم ان أباه خير من أبي وأمه فاطمة بنت رسول الله « ص » خير من أمي وجده خير من جدي وانه خير مني وأحق بهذا الأمر مني ، فأما قوله أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباه الى الله عز وجل وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قوله امه خير من أمي فلعمري ان فاطمة بنت رسول الله خير من أمي ، وأما قوله جده خير من جدي فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرى ان لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً ، ولكنه إنما أتى من قلة فقهه ولم يقرأ : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء » وقوله تعالى : « والله يؤتي

ملكه من يشاء » (١) .

الخربة

ولقد أحدثت هذه الخطبة هزة في مجلس يزيد وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذي غمرهم وانهم في أي واد يعمهون ، فلم ير يزيد مناصاً إلا أن يخرج الحرم من المجلس الى خربة لاتكنهم من حر ولا برد فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام (٢) ثلاثة أيام (٣) .

وفي بعض الأيام خرج السجاد « ع » منها يتروح ، فلقيه المنهال بن عمر وقال له : كيف أمسيت يا ابن رسول الله ؟ قال « ع » : أمسينا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها ، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فانا لله وإنا اليه راجعون (٤) .

قال المنهال : وبينا يكلمني إذا امرأة خرجت خلفه تقول له : الى أين يانعم الخلف ؟ فتركني وأسرع اليها فسألت عنها قيل : هذه عمته زينب (٥)

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص٢٦٦ والبداية لإبن كثير ج ٨ ص١٩٥ .
(٢) اللهوف ص ١٠٧ وأمالى الصدوق ص ١٠١ مجلس ٣١ .
(٣) مقتل الخوارزمى ج ٢ ص ٧٤ .
(٤) مثير الأحزان لإبن نما ص ٥٨ .
(٥) الأنوار النعمانية ص ٣٤٠ .

الى المدينة

لقد سر يزيد قتل الحسين ومن معه وسبي حريم رسول الله صلى الله عليه وآله (١) وظهر عليه السرور في مجلسه فلم يبال بالحاده وكفره حين تمثل بشعر ابن الزبعري وحتى أنكر الوحي على رسول الله محمد « ص » ولكنه لما كثرت اللائمة عليه ووضح له الفشل والخطأ في فعلته التي لم يرتكبها حتى من لم ينتحل دين الاسلام وعرف المغزى من وصية معاوية إياه حيث قال له :

« إن أهل العراق لن يدعوا الحسين حتى يخرجوه فاذا خرج عليك فاصفح عنه فان له رحماً ماسة وحقاً عظيما » .

وعاب عليه خاصته وأهل بيته ونساؤه وكان بمرأى منه ومسمع كلام الرأس الأطهر لما أمر بقتل رسول ملك الروم « لا حول ولا قوة إلا بالله » والحديث الأندية عما ارتكبه من هذه الجريمة الشائنة والقسوة الشديدة دوي في أرجاء دمشق ، لم يجد مناصاً من إلقاء التبعة على عاتق ابن زياد تبعيداً للسبة عنه ولكن الثابت لا يزول .

ولما خشى الفتنة وانقلاب الأمر عليه عجل باخراج السجاد والعيال من الشام الى وطنهم ومقرهم ومكنهم مما يريدون وأمر النعمان بن بشير وجماعة معه أن يسيروا معهم الى المدينة مع الرفق (٢) .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٣٩ .

(٢) إرشاد المفيد .

فلما وصلوا العراق قالوا للدليل : مُر بنا على طريق كربلا فوصلوا الى مصرع الحسين فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم قد وردوا لزيارة قبر الحسين فتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا في كربلا ينوحون على الحسين (١) ثلاثة أيام (٢) .

ووقف جابر الأنصاري على القبر فأجهش بالبكاء وقال : يا حسين ثلاثاً ثم قال :

حبيب لا يجيب حبيبه وأنى لك بالجواب وقد شطحت أوداجك على أثباجك ، وفرق بين رأسك وبدنك ، فأشهد انك ابن خاتم النبيين ، وابن سيد المؤمنين ، وابن حليف التقوى ، وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، وابن سيد النقباء ، وابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ، ومالك لا تكون كذلك وقد غذتك كف سيد المرسلين ، وربيت في حجر المتقين ، ورضعت من ثدي الايمان ، وفطمت بالاسلام ، فطبت حياً وطبت ميتاً ، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك ، ولاشاكة في الخيرة لك ، فعليك سلام الله ورضوانه ، وأشهد أنك مضيت على مامضى عليه أخوك يحيى بن زكريا .

ثم جال بصره حول القبر وقال : السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله ، أشهد انكم أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم الملحدين ، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين .

---

(١) اللهوف ص ١١٢ .

(٢) رياض الأحزان ص ١٥٧ .

والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً ، لقد شاركنا كم فيما دخلتم فيه ، فقال له عطية العوفي : كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأؤتمت أولادهم وارملت الأزواج .

فقال له إني سمعت حبيبي رسول الله يقول : من أحب قوماً كان معهم ومن أحب عمل قوم أشرك فى عملهم والذي بعث محمداً بالحق نبياً ان نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه (١) .

الرأس مع الجسد

لما عرف زين العابدين الموافقة من يزيد طلب منه الرؤوس كلها ليدفنها فى محلها فلم يتباعد يزيد عن رغبته فدفع اليه رأس الحسين مع رؤوس أهل بيته وصحبه فألحقها بالأبدان .

نص على مجيئه بالرؤوس الى كربلا فى « حبيب السير » كما في نفس المهموم ص ٢٥٣ ورياض الأحزان ص ١٥٥ .

وأما رأس الحسين « ع » ففي روضة الواعظين للفتال ص ١٦٥ وفى مثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٥٨ : انه المعول عليه عند الامامية ، وفى

---

(١) بشارة المصطفى ص ٨٩ — المطبعة الحيدرية — مؤلفه كما فى روضات الجنات أبو جعفر محمد بن أبى القاسم بن محمد بن علي الطبرى الاملى من علماء القرن الخامس قرأ على ابن الشيخ الطوسى .

اللهوف لابن طاووس ص ١١٢ : عليه عمل الامامية ، وفي أعلام الورى للطبرسي ص ١٥١ ومقتل العوالم ص ١٥٤ ورياض المصائب والبحار : انه المشهور بين العلماء ، وقال ابن شهراشوب فى المناقب ج ٢ ص ٢٠٠ : ذكر المرتضى في بعض وسائله ان رأس الحسين اعيد الى بدنه فى كربلاء ، وقال الطوسي : ومنه زيارة الأربعين ، وفى البحار عن العدد القوية لأخ العلامه الحلي مثله ، وفي عجائب المخلوقات للقزويني ص ٦٧ : فى العشرين من صفر رد رأس الحسين « ع » الى جثته . وقال البشراوي : قيل اعيد الرأس الى جثته بعد أربعين يوماً (١) ، وفى شرح همزية البوصيري لابن حجر : اعيد رأس الحسين بعد أربعين يوماً من قتله ، وقال سبط ابن الجوزي : الأشهر انه رد الى كربلا فدفن مع الجسد (٢) ، والمناوي في الكواكب الدرية ج ١ ص ٥٧ نقل اتفاق الامامية على انه اعيد الى كربلا ، وإن القرطبي رجحه ولم يتعقبه بل نسب الى أهل الكشف والشهود انه حصل له اطلاع على انه اعيد الى كربلاء .

وعلى هذا فلا يعبؤ بكل ما ورد بخلافه والحديث بأنه عند قبر أبيه بمرأى من هؤلاء الأعلام ، فاعراضهم عنه يدلنا على عدم وثوقهم به ، لأن اسناده لم يتم ورجاله غير معروفين .

---

(١) الاتحاف بحب الأشراف ص ١٢ .

(٢) تذكرة الخواص ص ١٥٠ .

يوم الاربعين

من النواميس المطردة الاعتناء بالفقيد بعد اربعين يوماً مضين من وفاته باسداء البر اليه وتأبينه وعد مزاياه فى حفلات تعقد وذكريات تدون تخليداً لذكره على حين ان الخواطر تكاد تنساه والافئدة اوشكت ان تهمله فبذلك تعاد إلى ذكره البائد صورة خالدة بشعر رائق تتناقله الالسن وينطبع في القلوب فتمر الحقب والأعوام وهو على جدته أو خطاب بليغ تتضمنه الكتب والمدناوت حتى يعود من اجزاء التاريخ التي لا يبلها الملوان فالفقيد يكون حياً كلما تليت هاتيك النتف من الشعر او وقف الباحث على ما القيت فيه من كلمات تأبينية بين طيات الكتب فيقتص أثره فى فضائله وفواضله وهذه السنة الحسنة تزداد أهميه كلما ازداد الفقيد عظمة وكثرت فضائله وانها في رجالات الاصلاح والمقتدى بهم من الشرائع أهم وأأكد لأن نشر مزاياهم وتعاليمهم يحدو إلى اتباعهم واحتذاء مثالهم في الاصلاح وتهذيب النفوس .

وما ورد عن أبي ذر الغفاري عن النبي « ص » ان الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً (١) وعن زرارة عن أبي عبدالله « ع » ان السماء بكت على الحسين «ع» اربعين صباحاً بالدم والأرض بكت عليه اربعين صباحاً بالسواد والشمس بكت عليه اربعين صباحاً بالكسوف والحمرة

(١) مجموعة الشيخ ورام ص ٢٧٦

والملائكة بكت عليه اربعين صباحاً وما اختضبت امرأة منا ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيدالله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده (١) .

يؤكد هذه الطريقة المألوفة والعادة المستمرة بين الناس من الحداد على الميت اربعين يوماً فاذا كان يوم الاربعين اقيم على قبره الاحتفال بتأبينه يحضره اقاربه وخاصته وأصدقاؤه وهذه العادة لم يختص بها المسلمون فان النصارى يقيمون حفلة تأبينية يوم الأربعين من وفاة فقيدهم يجتمعون في الكنيسة ويعيدون الصلاة عليه المسماة عندهم بصلاة الجنازة ويفعلون ذلك في نصف السنة وعند تمامها واليهود يعيدون الحداد على فقيدهم بعد مرور ثلاثين يوماً وبمرور تسعة أشهر وعند تمام السنة (٢) كل ذلك اعادة لذكراه وتنويهاً به وبآثاره وأعماله ان كان من العظماء ذوي الاثار والمآثر .

وعلي كل حال فان المنقب لا يجد في الفئة الموصوفة بالاصلاح رجلا اكتنفته المآثر بكل معانيها وكانت حياته وحديث نهضته وكارثة قتله دعوة الهية وطقوساً اصلاحية وانظمة اجتماعية وتعاليم اخلاقيه ودروساً دينية إلا سيد شباب أهل الجنة شهيد الدين شهيد السلام والوئام شهيد الأخلاق والتهذيب « الحسين » (ع) فهو أولى من كل أحد بأن تقام له الذكريات وتشهد الرحال للمثول حول مرقده الأقدس في يوم الأربعين من قتله حصولا على تلكم الغايات الكريمة .

وإنما قصروا الحفلات الأربعينية بالاربعين الأول في سائر الناس من

---

(١) مستدرك الوسائل للنوري ص ٢١٥ باب ٩٤

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٧

جهة كون مزايا اولئك الرجال محدودة منقطعة الآخر بخلاف سيد الشهداء فان مزاياه لا تحد وفواضله لا تعد ودرس احواله جديد كلما ذكر واقتصاص أثره يحتاجه كل جيل فاقامة المآتم عند قبره فى الأربعين من كل سنة احياء لنهضته وتعريفاً بالقساوة التي ارتكبها الامويون ولفيفهم ومهما امعن الخطيب أو الشاعر في قضيته تفتح له ابواب من الفضيلة كانت موصدة عليه قبل ذلك ولهذا اطردت عادة الشيعة على تجديد العهد بتلكم الاحوال يوم الاربعين من كل سنة .

وحديث الامام الحسن العسكري علامات المؤمن خمس صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والتختم فى اليمين وتعفير الجبين (١) .

يرشدنا إلى تلك العادة المطردة المألوفة للناس فان تأبين سيد الشهداء وعقد الاحتفالات لذكره في هذا اليوم إنما يكون ممن يمت به بالولاء والمشايعة ولا ريب فى أن الذين يمتون به بالمشايعة هم المؤمنون المعترفون بأمامته إذاً فمن علامة ايمانهم وولائهم لسيد شباب أهل الجنة المنحور على مجزرة الشهادة الالهية المثول في يوم الأربعين من شهادته عند قبره الاطهر لاقامة المآتم وتجديد العهد بما جرى عليه وعلى صحبه واهل بيته من الفوادح .

والتصرف في هذه الجملة « زيارة الأربعين » بالحمل على زيارة اربعين

(١) رواه الشيخ الطوسي فى التهذيب ج ٢ ص ١٧ فى باب فضل زيارة الحسين « ع » عن أبي محمد الحسن العسكرى « ع » ورواه فى مصباح المتهجد ص ٥٥١ هند .

مؤمناً التواء في فهم الحديث وتعكر في الاستنتاج يأباه الذوق السليم مع خلوه عن القرينة الدالة عليه ولو كان الغرض هو الارشاد إلى زيارة اربعين مؤمناً لقال (ع) « وزيارة اربعين » فالاتيان بالالف واللام العهدية للتنبيه على ان زيارة الأربعين من سنخ الأمثلة التي نص عليها الحديث بأنها من علائم الايمان والموالاة للأئمة الاثنى عشر « فان الأول منها » وهو صلاة احدى وخمسين ركعة التي شرعت ليلة المعراج وبشفاعة النبي « ص » اقتصر فيها على خمس فرائض في اليوم والليلة عبارة عن سبعة عشر ركعة للصبح والظهرين والعشائين والنوافل الموقتة لها مع نافلة الليل اربع وثلاثون ثمان للظهر قبلها وثمان للعصر قبلها واربع بعد المغرب واثنان بعد العشاء تعدان بواحدة واثنان قبل الصبح واحدى عشرة ركعة نافلة الليل مع الشفع والوتر وباضافتها إلى الفرائض يكون المجموع احدى وخمسين ركعة وهذا مما اختص به الامامية فان اهل السنة وان وافقوهم على عدد الفرائض إلا أنهم افترقوا في النوافل ففي فتح القدير لابن همام الحنفي ج ١ ص ٣١٤ انها ركعتان قبل الفجر واربع قبل الظهر واثنان بعدها واربع قبل العصر وإن شاء ركعتين وركعتان بعد المغرب واربع قبل العشاء واربع بعدها وإن شاء ركعتين فهذه ثلاث وعشرون ركعة واختلفوا في نافلة الليل انها ثمان ركعات او ركعتان او ثلاث عشرة أو اكثر فالمجموع من نوافل الليل والنهار مع الفرائض لا يكون احدى وخمسين فاذاً تكون احدى وخمسين من مختصات الامامية .

« الثاني مما تعرض له الحديث الجهر بالبسملة فان الامامية تدينوا إلى الله تعالى به وجوباً في الصلاة الجهرية واستحباباً في الصلاة الاخفاتية

تمسكا بأحاديث أئمتهم « ع » وفي ذلك يقول الفخر الرازي : ذهبت الشيعة إلى أن من السنة الجهر بالتسمية في الصلاة الجهرية والاخفاتية وجمهور الفقهاء يخالفونهم وقد ثبت بالتواتر ان علي بن ابي طالب كان يجهر بالتسمية ومن اقتدى في دينه « بعلي » فقد اهتدى والدليل عليه قوله (ص) اللهم أدر الحق مع علي حيث دار (١) وكلمة الرازي لم يرضها ابو الثناء الالوسي فتعقبها بقوله : لو عمل احد بجميع ما يزعمون تواتره عن الامير كفر فليس إلا الايمان ببعض والكفر ببعض وما ذكره من ان من اقتدى فى دينه (بعلي) فقد اهتدى مسلم لكن ان سلم لنا خبر ما كان عليه علي « ع » ودونه مهامه فيح (٢)

ولا يضر الشيعة تهجم الالوسي وغيره بعد ان رسخت اقدامهم على الولاء لسيد الاوصياء «ع» الذي يقول له رسول الله « ص » ياعلي ماعرف الله تعالى إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وانا (٣)

أهوى علياً وايماني محبته كم مشرك دمه من سيفه وكفى
إن كنت ويحك لم تسمع مناقبه فاسمعه من هل أتى ياذا الغبي وكفى (٤)

« الثالث مما تعرض له الحديث التختم باليمين » وقد التزم به الامامية تديناً بروايات أئمتهم «ع» وخالفهم جماعة من السنة قال ابن الحجاج المالكي

---

(١) مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٠٧

(٢) روح المعاني ج ١ ص ٤٧

(٣) المختصر ص ١٦٥

(٤) فى شذرات الذهب لابن العماد ج٤ ص ١٤٠ كان بعض الحنابلة ينشدهما على المنبر ببغداد .

إن السنة وردت كل مستقذر يتناول بالشمال و كل طاهر يتناول باليمين ولاجل هذا المعنى كان المستحب في التختم ان يكون التختم بالشمال فانه يأخذ الخاتم بيمينه ويجعله في شماله (١) ويحكى ابن حجر ان مالكا يكره التختم باليمين وإنما يكون باليسار وبالغ الباجي من المالكية بترجيح ما عليه مالك من التختم باليسار (٢) وقال الشيخ اسماعيل البروسوي ذكر في عقد الدرر ان السنة في الاصل التختم في اليمين ولما كان ذلك شعار أهل البدعة والظلمة صارت السنة ان يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا (٣)

(١) المدخل ١ ص ٤٦ آداب الدخول فى المسجد

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى ج ١ ص ٢٦٤ فى اللباس .

(٣) حكاه الحجة الامينى فى الغدير ج ١٠ ص ٢١١ عن تفسير روح البيان ج ٤ ص ١٤٢.

وليس هذا بأول مخالفة للامامية ففى المهذب لابى اسحاق الشيرازى ج ١ ١٣٧ والوجيز للغزالي ج ١ ص ٤٧ والمنهاج للنووى ص ٢٥ وشرحه تحفة المحتاج لابن حجر ج ١ ص ٥٦٠ وعمدة القارى للعينى شرح البخارى ج ٤ ص ٢٤٨ والفروع لابن مفلح ج ١ ص ٦٨١ والمغنى لابن قدامة ج ٢ ص ٥٠٥ والمبسوط للسرخسى ج ٢ ص ٦٢ ورحمة الامة باختلاف الأئمة على هامش الميزان للشعرانى ج ١ ص ٨٨ ان السنه تسطيح القبور ولما صار شعار الرافضة كان الاولى مخالفتهم إلى التسنيم (ومن ذلك) الصلاة على اهل البيت مستقلا ففى الكشاف للزمخشرى فى الاحزاب ٥٦ (ان الله وملائكته يصلون) انه مكروه لانه يؤدى إلى الاتهام بالرفض وقد قال (ص) لا تقفن مواقف التهم (ومن ذلك) ما فى فتح البارى لابن حجر —

« الرابع مما ذكره الحديث التعفير » والتعفير في اللغة وضع الشيء على العفر وهو التراب والجبين في هذا الحديث الشريف ان اريد منه الجبهة كما استظهره الشيخ يوسف البحراني في الحدائق مدعياً كثرة الاستعمال بذلك في لسان أهل البيت «ع» وقد ورد في التيمم فيكون الغرض بيان ان الجبهة في السجود لا بد أن تكون على الارض لأن أهل السنة لم يلتزموا بوضعها على الارض فان أبا حنيفة ومالكا وأحمد في إحدى الروايتين عنه جوزوا السجود على كور العمامة (١) وفاضل الثوب (٢) والملبوس وجوز الحنفية وضعها على الكف مع الكراهة (٣) وجوزوا السجود على الحنطة والشعير والسرير وظهر مصل أمامه يصلي بمثل صلاته (٤) وان اريد نفسه فيكون الغرض من ذكره الارشاد إلى أن الراجح في سجدة الشكر تعفير الجبين

ـــ ج ١١ ص ١٣٥ كتاب الدعوات باب هل يصلى على غير النبي قال اختلف في السلام على غير الانبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي فقيل يشرع مطلقاً وقيل تبعاً ولا يفرد لواحد لكونه صار شعاراً للرافضة اه.
(ومن ذلك) مافي شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٣ كان بعض أهل العلم يرخي العذبة من قدام من الجانب الأيسر ولم أر ما يدل على تعيين الايمن إلا في حديث ضعيف عند الطبراني ولما صار شعاراً للامامية ينبغي تجنبه لترك التشبه بهم اه.

(١) الميزان للشعراني ج ١ ص ١٣٨
(٢) الهداية لشيخ الاسلام المرغيناني ج ١ ص ٣٣
(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ١٨٩
(٤) البحر الرائق لابن نجيم ج ١ ص ٣١٩

وكأنه للتذليل والبعد عن الكبرياء ومن هذه الجملة في الحديث استظهر صاحب المدارك رجحان تعفير الجبينين أيضاً واليه أشار السيد بحر العلوم قدس سره في المنظومة قال في سجدة الشكر :

والخد أولى وبه النص جلا　　وفي الجبين قد أتى محتملا

وقد ورد تعفير الخدين فى سجدة الشكر (١) وبه استحق موسى بن عمران عليه السلام الزلفى من المناجاة (٢) ولم يخالف الامامية في التعفير سواء أريد من الجبين الجبهة او نفسه وأهل السنة لم يلتزموا بالتعفير فى الصلاة أو سجدة الشكر مع ان النخعي ومالكا وأبا حنيفة كرهوا سجدة الشكر وإن التزم بها بعض الحنابلة (٣) والشافعي (٤) عند كل نعمة أو زوال نقمة

الخلاصة

لقد تجلى مما ذكرناه في هذه الامور التي نص عليها الحديث بأنها من علائم الايمان ان المراد من (زيارة الاربعين) فيه ارشاد الموالين لأهل

---

(١) الكافى على هامش مرآة العقول ج ٣ ص ١٢٩ والفقيه للصدوق ص ٦٩ والتهذيب للشيخ الطوسى ج ١ ص ١٦٦ فى التعقيب

(٢) الفقيه للصدوق ص ٦٩ فى التعقيب

(٣) المغنى لابن قدامة ج ١ ص ٦٢٦ والفروع لابن ملفح ج ١ ص ٣٨٢ .

(٤) كتاب الأم ج ١ ص ١١٦ ومختصر المزنى على هامشه ج ١ ص ٩٠ والوجيز للغزالي ج ١ ص ٣٢

البيت إلى الحضور في مشهد الغريب المظلوم سيد الشهداء عليه السلام لاقامة العزاء وتجديد العهد بذكر ماجرى عليه من القساوة التي لم يرتكبها أى أحد يحمل شيئاً من الانسانية فضلا عن الدين . والحضور عند قبر الحسين «ع» يوم الاربعين من مقتله من أظهر علائم الايمان .

ولا ينقضي العجب ممن يتصرف في هذه الجملة بالحمل على زيارة أربعين مؤمناً مع عدم تقدم اشارة اليه ولا قرينة تساعد عليه ليصح الاتيان بالالف واللام للعهد مع ان زيارة اربعين مؤمناً مما حث عليها الاسلام فهي من علائمه عند الشيعة والسنة ولم يخص بها المؤمنون ليمتازوا عن غيرهم نعم زيارة الحسين « ع » يوم الاربعين من مقتله مما يدعو اليها الايمان الخالص لأهل البيت «ع» ويؤكدها الشوق الحسيني ومعلوم ان الذين يحضرون فى الحائر الاطهر (بعد مرور اربعين) يوماً من مقتل سيد شباب أهل الجنة خصوص المشايعين له السائرين على أثره .

ويشهدله عدم تباعد العلماء الاعلام عن فهم زيارة الحسين فى الاربعين من صفر من هذا الحديث المبارك منهم ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في التهذيب ج ٢ ص ١٧ باب فضل زيارة الحسين « ع » فانه بعد أن روى الاحاديث في فضل زيارته المطلقة ذكر المقيدة بأوقات خاصة ومنها يوم عاشوراء وبعده روى هذا الحديث وفى مصباح المتهجد ص ٥٥١ طبع بمبيء ذكر شهر صفر ومافيه من الحوادث ثم قال وفى يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبدالله «ع» من الشام إلى مدينة الرسول (ص) وورد جابر بن ابن عبدالله الانصاري إلى كربلاء لزيارة أبي عبدالله « ص » فكان أول من زاره من الناس وهي زيارة الاربعين فروي عن ابى محمد الحسن العسكرى

انه قال علامات المؤمن خمس الخ .

وقال العلامـــة الحلي فى المنتهى كتاب الزيارات بعـــد الحج : يستحب زيارة الحسين عليه السلام فى العشرين من صفر روى الشيـــخ عن أبي محمد الحسن العسكري انه قال : علامات المؤمن خمس إلى آخر الحديث وفي الاقبال للسيد رضي الدين علي بن طاووس عند ذكر زيارة الحسين « ع » في العشرين من صفر قال روينا بالاسناد إلى جدي أبي جعفر فيما رواه بالاسناد إلى مولانا الحسن بن علي العسكري انه قال : علامات المؤمن خمس الخ .

ونقل المجلسي اعلى الله مقامه فى مزار البحار هذا الحديث عند ذكر فضل زيارة الحسين يوم الاربعين وفي الحدايق للشيخ يوسف البحراني في الزيارات بعد الحج قال وزيارة الحسين في العشرين من صفر من علامات المؤمن . وحكى الشيخ عباس القمي في المفاتيح هذه الرواية عن التهذيب ومصباح المتهجد في الدليل على رجحان الزيارة فى الاربعين من دون تعقيب باحتمال ارادة اربعين مؤمناً .

واستبعاد بعضهم ارادة زيارة الاربعين من جهة عدم تعرض الامام عليه السلام للآثار الاخروية المترتبة على الزيارة مع ان أهل البيت «ع» عند الحث على زيارة المظلوم وغيره من أئمة الهدى «ع» يذكرون ما يترتب عليها من الثواب « لا يصغى اليه » فان الامام في هذا الحديث إنما هو بصدد بيان علائم المؤمن التي يمتاز بها عن غيره وجعـل منها زيارة الاربعين على ما اوضحنا بيانه ولم يكن بصدد بيان ما يترتب على الزيارة من الاثر .

واستحباب زيارته «ع» في العشرين من صفر نص عليه الشيخ المفيد

في مسار الشيعة والعلامة الحلي في التذكرة والتحرير وملا محسن الفيض في تقويم المحسنين وتفسير الشيخ البهائي فى توضيح المقاصد الأربعين بالتاسع عشر من صفر مبني على حساب يوم العاشر من الأربعين وهو خلاف المتعارف .

وافتك جنـــداً يستثير ويزأر فقد المواكب انها لك عسكر
لا تسلمن الى الدنية راحة ما كان أسلمها لذلّ (حيدر)
وابعث حياة الناهضين جديدة فيهـــا الاباء مؤيد ومظفر
وارسم لسير الفاتحين مناهجاً فيهـــا عروش الطائشين تدمر
إن لم تلبّك ساعة محمومة ذمت فقد لبت نداءك أعصر
قم وانظر (البيت الحرام) ونظرة أخرى لقبرك فهو (حج أكبر)
أصحبت مفخرة الحياة وحقّ لو نحرت به فدم الشهادة مفخر
قدست ما أعلا مقامك رفعـة أخفيه خوف الظـالمين فيظهر
شكت الامارة حظها واستوحشت أعوادها من عابثين تأمروا
وتنكرت للمسلمين خـــلافة فيها يصول على الصلاح المنكر
سوداء فاحمـــة الجبين ترعرعت فيهـــا القرود ولوّثتهـا الأنمر
سكبت على نغم الأذان كؤوسها وعلى الصلاة تديرهن وتعصر
تلك المهازل يشتكيها مسجد ذهبت بروعتـــه ويبكي منبر
فشكت اليك وما شكت إلا الى بطل يغار على الصـــلاح ويثأر
تُطوى الفضائل ما عظمن وهذه أم الفضائل كل عام تنشر
جرداء ذابلة الغصون سقيتها بدم الوريد فطاب غرس مثمر
وعلى الـكريهة تستفزك نخوة حمــراء داميــة ويوم أحمر

شكت الشريعة من حدود بُدلت   فيها وأحكام هناك تغير
سلبت محاسنها (امية) فاغتدت   صوراً كما شاء الضلال تصور
عصفت بها الأهواء فهي أسيرة   تشكو وهل غير (الحسين) محرر ؟
وافى بفتيتـــه الصباح فساقهم   للدين قربان الآله فجزروا
أدى الرسالة ما استطاع وإنما   تبليغها بدم يطل ويهــدر
فبذمة الاصلاح جبهـة ماجد   تدمى ووضــاح الجبين يعفر
لبيك منفرداً أحيط بعـــالم   تحصى الحصى عدداً وما إن تحصر
لبيك ظام حلؤوه عن الروى   وبراحتيه من المكارم أبحر
هذي دموع المخلصين فروّ من   عبراتهـــا كبداً تكاد تفطر
واعطف على هذي القلوب فانها   ودت لو انك في الأضالع تقبر
يتزاحمون على استلام مشاعر   من دون روعتها الصفا والمشعر
ركبوا لها الأخطار حتى لو غدت   تبرى الأكف أو الجمام تنثر
وافوك (يوم الأربعين) وليتهم   حضروك يوم الطف إذ تستنصر
وجدوا سبيلكم النجاة وإنما   نصبوا لها جسر الولاء ليعبروا
وتأملوك لساعـــة مرهوبة   أما الجحيم بها وأما الكوثر
وسيعلم الخصمان إن وافوك من   يرد المعين ومن يذاد ويصدر (١)

---

(١) للعلامة ثقة الإسلام الشيخ عبد المهدى مطر النجفى .

في المدينة

لم يجد السجاد « ع » بداً من الرحيل من كربلا الى المدينة بعد أن أقام ثلاثة أيام ، لأنه رأى عماته ونساءه وصبيته نائحات الليل والنهار يقمن من قبر ويجلسن عند آخر :

تشكو عداها وتدعى قومها فلها — حال من الشجو لف الصبر مدرجه
فنعيها بشجى الشكوى تؤلفه — ودمعها بدم الاحشاء تمزجه
ويدخل الشجو في الصخر الأصم لها — تزفر من شظايا القلب تخرجه (١)

قال بشير بن حذلم : لما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين وحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال : يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه ؟ قلت : بلى يا ابن رسول الله اني لشاعر فقال عليه السلام : ادخل المدينة وانع أبا عبدالله « ع » ، قال بشير : فركبت فرسي حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها — قتل الحسين فأدمعي مدرارا
الجسم منه بكربلاء مضرج — والرأس منه على القناة يدار

وقلت : هذا علي بن الحسين مع عماته واخواته قد حلوا بساحتكم وأنا رسوله اليكم أعرفكم مكانه . فخرج الناس يهرعون ولم تبق مخدرة إلا

---

(١) لحجة الإسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء « قده » .

برزت تدعو بالويل والثبور وضجت المدينة بالبكاء فلم ير باكياً أكثر من ذلك اليوم واجتمعوا على زين العابدين يعزونه ، فخرج من الفسطاط وبيده خرقة يمسح بها دموعه وخلفه مولى معه كرسي ، فجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت الأصوات بالبكاء والحنين .

فأومأ الى الناس أن اسكتوا فلما سكنت فورتهم قال عليه السلام :

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، باري الخلائق أجمعين ، الذي بعد ، فارتفع في السماوات العلى ، وقرب فشهد النجوى ، نحمده على عظائم الامور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، ومضاضة اللواذع ، وجليل الرزأ ، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة الفادحة الجائحة .

أيها القوم ، إن الله تعالى وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الاسلام عظيمة ، قتل أبو عبد الله الحسين (ع) وعترته ، وسبيت نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان ، من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيها الناس ، فأيّ رجالات منكم يسرون بعد قتله ، أم أي فؤاد لا يحزن من أجله ، أم أية عين منكم تحبس دمعها ، وتضن عن انهمالها ، فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها ، والسماوات بأركانها ، والأرض بأرجائها ، والأشجار بأغصانها ، والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السماوات أجمعون .

أيها الناس ، أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحن اليه ، أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الاسلام ولا يصم .

أيها الناس ، أصبحنا مشردين مطرودين مذودين شاسعين عن الأمصار كأنا أولاد ترك وكابل ، من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الاسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلا اختلاق والله لو أن النبي تقدم اليهم في قتالنا كما تقدم اليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا ، فانا لله وانا اليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأوجعها وأكظها وأفظعها وأمرها وأفدحها ، فعند الله نحتسب ما أصابنا ، وما بلغ بنا ، فانه عزيز ذو انتقام .

فقام اليه صوحان بن صعصعة بن صوحان العبدي وكان زمناً واعتذر بما عنده من زمانة رجلية .

فأجابه عليه السلام بقبول عذره وحسن الظن فيه وشكر له وترحم على أبيه ، ثم دخل زين العابدين المدينة بأهله وعياله (١) وجاء اليه ابراهيم ابن طلحة بن عبيد الله وقال : من الغالب ؟ فقال عليه السلام : إذا دخل وقت الصلاة فاذن وأقم تعرف الغالب (٢) .

فأما ام كلثوم فأنشأت تقول :

مدينـــة جدنا لا تقبلينا ... فبالحسرات والأحزان جينا

خرجنا منك بالأهلين طراً ... رجعنا لا رجال ولا بنينا

وأخذت زينب بنت أمير المؤمنين بعضادتي باب المسجد وصاحت : يا جداه اني ناعية اليك أخي الحسين .

وصاحت سكينة : يا جـــداه اليك المشتكى مما جرى علينا فوالله

---

(١) اللهوف لإبن طاووس ص١١٦ .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص ٦٦ ، وفي المقدمة ص ٤٨ ذكرنا مراده .

ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركا شراً منه ولا أجفا وأغلظ فلقد كان يقرع ثغر أبي بمخصرته وهو يقول : كيف رأيت الضرب ياحسين (١) .

وأقمن حرائر الرسالة المأتم على سيد الشهداء ولبسن المسوح والسواد نائحات الليل والنهار والامام السجاد يعمل لهن الطعام (٢) .

وفي حديث الصادق «ع» : ما اختضبت هاشمية ولا أدهنت ولا أجيل مرود في عين هاشمية خمس حجج حتى بعث المختار برأس عبيدالله ابن زياد .

واما الرباب فبكت على أبي عبدالله حتى جفت دموعها فأعلمتها بعض جواريها بأن السويق يسيل الدمعة فأمرت أن يصنع لها السويق لاستدرار الدموع (٣) .

وكان من رثائها في أبي عبدالله «ع» (٤) :

إن الذي كان نوراً يستضاء به	بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة	عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلا صعباً ألوذ به	وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن	يغني ويأوي اليه كل مسكين

---

(١) رياض الأحزان ص ١٦٣

(٢) محاسن البرقي ج ٢ ص ٤٢٠ باب الإطعام للمآتم .

(٣) البحار ج ١٠ ص ٢٣٥ عن الكافي .

(٤) اغاني ج ١٤ ص ١٥٨

والله لا ابتغي صهراً بصهركم حتى أُغيّب بين الرمل والطين

واما علي بن الحسين فانقطع عن الناس انحيازاً عن الفتن وتفرغاً للعبادة والبكاء على أبيه ولم يزل باكياً ليله ونهاره فقال له بعض مواليه إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين فقال «ع» ياهذا إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ان يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من اولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم انه حي فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن واني نظرت إلى أبي واخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني وإني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة وإذا نظرت إلى عماتي واخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة .

رأى اضطرام النار في الخباء وهو خباء العز والاباء
رأى هجوم الكفر والضلاله على بنات الوحي والرساله
شاهد في عقائل النبوه ما ليس في شريعة المروه
من نهبها وسلبها وضربها ولا مجير قط غير ربها
شاهد سوق الخفرات الطاهره سوافر الوجوه لابن العاهره
رأى وقوف الطاهرات الزاكيه قبالة الرجس يزيد الطاغيه
وهن في الوثاق والحبال في محشد الأوغاد والأنذال

اليك يارسول الله المشتكى مما أتت به امتك مع أبنائك الأطهرين من الظلم والاضطهاد . والحمد لله رب العالمين .

المراثي

إن قضية سيد الشهداء عليه السلام بما اشتملت عليه من القساوة الشائنة كانت مثيرة للعواطف مرققة للافئدة فتذمر منها حتى من لم ينتحل دين الاسلام لذلك ازدلف الشعراء قديماً وحديثاً باللغة الفصحى والعامية إلى ذكرها وتعريف الاجيال المتعاقبة بما جاء به الأمويون من استئصال شأفة آل الرسول «ص» فجاؤا بما فيه نجعة المرتاد .

ومن هؤلاء المناضلين لاحياء المذهب الحجة آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء نور الله ضريحه فلقد جاء بمراث كثيرة لها حسن السبك ودقة المعنى وسلاسة النظم ورقة الانشاء آثرنا منها اربع قصائد ساطعة في صف ما رثي به السبط الشهيد سيد شباب أهل الجنة عليه السلام :

القصيدة الأولى :

نفس أذابتها أسى حسراتها ... فجرت بها محمرة عبراتها
وتذكرت عهد المحصب من منى ... فتوقدت بضلوعها جمراتها
سارت وراهم ترجع رنة ... حنت مطاياهم لها وحداتها
طلعوا بيوم للوداع وقد غدى ... ليلا فردت شمسه جبهاتها
وسروا بكل فتاة خدر ان تكن ... بدراً فأطراف القنا هالاتها
نخذوا احمرار خدودها بدمائنا ... فجناتها دون الورى وجناتها

واستعطفوا باللين أعطافاً لها فلقد أقمن قيامتي قاماتها
وعلى عذيب الريق بارق لؤلؤ بالمنحنى من أضلعي قبساتها
لاثت على شهدية بخارها والخمر يشهد انـــه لثاتها
لله يوم تلفتت لو أنهـــا كانت لقتلى حبها لعتاتها
علت بخمرة ريقها أعطافها وزهت بلؤلؤ ثغرها لثاتها
ومشت نخاطرت النفوس كأنما ماست بخطار القنا خطراتها
ومن البلية انني أشكو لها بلوى الضنا فتزيدني لحظاتها
وأبيت أسهر ليلتي وكأنما قد وفرت في جنحها وفراتها
ومهي قنصت لصيدهن فعدت في شرك الغرام وافلتت ظبياتها
عجباً تقاد لي الاسود مهابة وتقودني وأنا الأبي مهاتها
أنا من بعين المكرمات ضياؤها لـكن بعين الحاسدين قذاتها
إن أنكرتني مقلة عميا فلا عجب فاني في سناني نفاتها
تعساً لدهر أصبحت أيامــه والغدر نجح عداتها وعداتها
لا غرو أن تعتد بنوه الغـــدر فالابناء من آبائها عاداتها
ولقد وجدت ملاءت الدنيا خلت من عفـــة ونجابة فملأتها
وأرى أخلائي غداة خبرتهم أعدى عدى شنت بنا غاراتها
كنت الحماة أظنهم فكشفتهم عن عقرب لسعت حشاي حماتها
وتعدهم نفسي الحياة لها وقد دبت اليها منهـــم حياتها
أسدت إلي بكل سيئة ومن صفحي اقدر أنها حسناتها
ولـكم عليها من يد بيضاء لي قـــد سودتها اليوم تمويهاتها
إن فصلت لي الغدر أنواعاً فقد عرفت بخبث الجنس ماهياتها

لؤمت إساءتها فهانت واستوى ... نبح الكلاب علي أو أصواتها
وتكرماً عنها صددت وانني ... لولا خساستها علي خسأتها
ولقد دنت شأناً فلولا عفتي ... عن وطء كل دنية لوطأتها
وأنا الشجى في حلقها فلو انها ... تجد المساغ قذفن بى لهواتها
وتهش بشراً إن حضرت فان أغب ... قذفت بجمرة غيظها حصياتها
كم صانعتني بالدهاء وإنما ... أدهى الورى شراً علي دهاتها
لكن جبلت على الوفاء فلو جنت ... يدها على عيني العمى لدرأتها
وأنا العصي من الابا وخلائقي ... في طاعة الحر الكريم عصاتها
عودت عيني الاباء فلم تسل ... إلا لآل محمد عبراتها
كم غارة لك يازمان شننتها ... لم أستطع دفعاً لها فشنأتها
وأرى الليالي منك حبلى لم تلد ... للحر غير ملمة غدواتها
تجري لها العبرات حمراً ان جرت ... ذكراً على أسماعنا عثراتها
وودت مذ جارت على أبنائها ... ورمت بنيها بالصروف بناتها
عدلت بآل محمد فيما قضت ... وهم أئمة عدلها وقضاتها
المرشدون المرفدون فكم هدى ... وندى تميح صلاتها وصلاتها
والمنعمون المطعمون إذا انبرت ... نكباء صوحت الثرى نكباتها
والجامعون شتات غر مناقب ... لم تجتمع بسواهم اشتاتها
ياغاية تقف العقول كليلة ... عنها وإن ذهبت بها غاياتها
ياجذوة القدس التي ما أشرقت ... شهب السما لو لم تكن لمعاتها
ياقبة الشرف التي لو في الثرى ... نصبت سمت هام السما شرفاتها
ياكعبة لله إن حجت لها الا ... ملاك منه فعرشه ميقاتها

يا نقطة الباء التي باءت لهـــا السكلمات وائتلفت بها ألفاتها
يا وحدة الحق التي ما إن لها ثان ولـكن ما انتهت كثراتها
يا وجهة الأحـدية العليا التي بالأحمدية تستنـــير جهاتها
يا عاقلي العشر العقول ومن لها السبع الطباق تحركت سكناتها
أقسمت لو سر الحقيقة صورة راحت وأنتم للورى مرآتها
أنتم مشيئته التي خلقت بها الأشياء بل ذرأت بها ذراتها
وخزانة الأسرار بل خزانها وزجاجة الأنوار بل مشكاتها
أنا في الورى قال لـكم إن لم أقل ما لم تقله في المسيح غلاتها
سفهاً لحلمي ان تطر بثباتي السفهاء مذ طارت بها جهـــالاتها
أنا من شربت هناك أول درها كأساً سرت بسرائري نشواتها
فاليوم لا أصحو وإن ذهبت بي الأقوال أو شدت علي رماتها
أوهل ترى يصحو صريع مدامة مما به إن عنفته صحاتها
أوهل يحول أخو الحجى عن رشده مما تؤنبه عليـــه غواتها
بأبي وبي من هم أجل عصابة سارت تؤم بها العلى سرواتها
عطري الثياب سروا فقل في روضة غب السحاب سرت بها نسماتها
ركب حجازيون عرقت العلى فيهم ومسك ثنائهم شاماتها
تحدوا الحداة بذكرهم وكأنما فتقت لطيمـــة تاجر لهواتها
ومطوحين ولا غناء لهم سوى هزج التـــلاوة رتلت آياتها
والى اللقاء تشوقاً أعطافها مهزوزة فكأنما قنواتها
خفت بهم نحو المنايا همـــة ثقلت على جيش العدى وطآتها
وبعزمها من مثل ما بأكفها قطع الحديد تأججت لهباتها

فكان من عزماتها أسيافها　طبعت ومن أسيافها عزماتها
قسم الحيا فيها فمن مقصورة　الأيدي ومن ممدودة قسماتها
وملوك بأس في الحروب قبابها　قب البطون ودستها سطواتها
يسطون في الجم الغفير ضياغماً　لكنما شجـــر القنا أجماتها
كالليث أو كالغيث في يومي وغى　وندى غـدت هباتها وهباتها
حتى إذا نزلوا العراق فأشرقت　أكنافها وزهت بهم عرصاتها
ضربوا الخيام بكربلا وعليهم　قد خيمت ببلائها كرباتها
نزلوا بها فانصاع من شوك القنا　ولظى الهواجر ماؤها ونباتها
وأتت بنو حرب تروم ودون ما　رامت تخر من السما طبقاتها
رامت بأن تعنو لها سفهاً وهل　تعنو لشر عبيـــدها ساداتها ؟
وتسومها أما الخضوع أو الردى　عزاً وهـــل غير الاباء سماتها
فأبوا وهل من عزة أو ذلة　إلا وهم آباؤهـــا وأباتها
وتقحموا ليل الحروب فأشرقت　بوجوههم وسيوفهـم ظلماتها
وبدت علوج امية فتعرضت　للاسد في يوم الهياج شياتها
تعدوا لها فتميتها رعباً وذي　يوم اللقا بعـــداتها عاداتها
فتخر بعـــد قلوبها أذقانها　وتخر قبل جسومها هاماتها
وباسرتي من آل أحمد فتيـة　صينت بيـذل نفوسها فتياتها
يتضاحكون الى المنون كأن في　راحاتها قـد اترعت راحاتها
وترى الصهيل مع الصليل كأنه　فيهم قيان رجعت نغماتها
وكأنما سمر الرماح معاطفٌ　فتمايلت لعنـاقهـا قاماتها
وكأنما بيض الضبا بيض الدمى　ضمنت لمى رشفاتها شفراتها

وكأنما حمر النصول أنامل قد خضبتها عندماً كاساتها
ومذ الوغى شبت لظى وتقاعست دون الشدائد نكصاً شداتها
وغدت تعوم من الحديد بلجة قـد أنبتت شجر القنا حافاتها
خلعوا لها جنن الدروع ولاح من نيرانها لجنـــانهم جناتها
وتزاحفوا يتنافسون على لقى الآجال تحسب انهـا غاداتها
بأكفها عوج الأسنة ركع ولها الفوارس سجـد هاماتها
حتى اذا وافت حقوق وفائها وعلت بفردوس العلى درجاتها
شاء الآله فنكست أعلامها وجرى القضاء فنكضت راياتها
وهوت كما انهالت على وجه الثرى من صم شاهقة الذرى هضباتها
وغدت تقسم بالضبا أشلاؤها لـكن تزيد طلاقة قسماتها
ثم انثنى فرداً أبو السجاد فاجتمعت عليـــه طغامها وطغاتها
غيران يحمل عزمـة حملت الى حرب جيوش منية حمـــلاتها
تلوي بأولاهم على اخـــراهم وتجول في أوساطهم سطواتها
يحمي مخيمه فقل أسد الشرى ديست على أشبالهـــا غاباتها
خطب العدى فوق العوادي خطبة للسانه وسنانه كلماتها
وعظ اللسان ومذ عتوا عن أمره طعن السنان فلم تفتـه عتاتها
نثر الرؤوس بسيفه ونظمن في سلك القنا لقلوبهـم حباتها
إن يشرع الخرصان نحو مكردس ردت ومن أكبادها عذباتها
وإذا هوت بالبيض قبضة كفه عادت على أرواحهم قبضاتها
يروي الثرى بدمائهم وحشاه من ظمأ تطاير شعـلة قطعاتها
لو قلبت من فوق غلة قلبه صم الصفا ذابت عليه صفاتها

تبكي السماء له دماً أفلا بكت ... ماء لغلة قلبه قطراتها
وأحر قلبي يا ابن بنت محمد ... لك والعدى بك أنجحت طلباتها
منعتك من نيل الفرات فلا هنى ... للناس بعدك (نيلها وفراتها)
وعلى الثنايا منك يلعب عودها ... وبرأسك السامي تشال قناتها
وبهم تروح العاديات وتغتدي ... وجسومكم فوق الثرى حلباتها
ونساؤكم أسرى سرت بسراتكم ... تدعوا وعنها اليوم أين سراتها
هاتيك في حر الهجير جسومها ... صرعى وتلك على القنا هاماتها
بأبي وبي منهم محاسن في الثرى ... للحشر تنشر نحرهم حسناتها
أقوت معالم انسهم والوحش كم ... راحت ومن أسيافهم أقواتها ؟
ياهل ترى مضراً درت ماذا لقت ... في كربلا أبناؤها وبناتها ؟
خفرت لها أبناء حرب ذمة ... هتكت لها ما بينهم خفراتها
جارت على تلك المنيعات التي ... تهوى النجوم لو أنها جاراتها
حتى غدت بين الأراذل مغنما ... تنتاشها أجلافها وجفاتها
فلضربها أعضادها ولسلبها ... ابرادها ولنهبها أبياتها
وثواكل لما دفعن عن البكا ... والنوح رددت الشجى لهواتها
زفراتها لو لم تكن مشفوعة ... بالدمع أضرمت السما جذواتها
وعلى الأيانق من بنات محمد ... في الشمس تصلي حرها أخواتها
أبدى العدو لها وجوها لم تبن ... حتى لأنفاس الصبا صفحاتها
ومروعة في السبي تشكو بثها ... فتجاب ضرباً بالسياط شكاتها
قامت تسب لها الجدود أراذل ... قعدت بها عن شأوهم سباتها
ياغيرة الجبار أني والعدى ... راحت وفي أبياتكم غاراتها

يا حرمة هتكت لعزة أحمد فيهـا وعزة ربه حرماتها
أحمات دين الله كيف بناتكم ساروا بها والشامتون حماتها
تطوي الفلاة بها وما ضاقت على حرب بشعث خيولكم فلواتها
كفأت لكم ظهر المجن فهل سوى عزماتكم وهي الحتوف كفاتها
وخيامكم تلك التي أوتادها شهب السماء وعرشها داراتها
بالنار أضرمها العدو وأنتم أربابها وحريمكم ربابتها
فرت تعادي في الفلاة نوائحاً حسرى تقطع قلبها حسراتها
حتى اذا وقفت على جثث لكم طالت عليها للضبا وقفاتها
قدحت لكم زند العتاب فلم تجد غير السياط لجنبها هفواتها
وسرت على حال يحق لشجوها الأفلاك لو وقفت لها حركاتها
حنت ولولا زجر (زجر) ماحدت أظعانها بسوى الحنين حداتها
يا لوعة قعدت وقامت في الحشا خرساء تنطق بالشجى نفثاتها
قعدت ولا تنفك أو أرزاؤكم بقيام (قائمكم) تصاب تراتها
فانهض فدى لك أنفس كمنت بها طير الشجون كأنها وكناتها
واحصد رؤوسهم فكم رأس لكم حصدته بعد ولم يشب شباتها
واحرق لهم صنمي ضلال وطدا لهم الامور فأمكنت وثباتها
تبعاً بما ابتدعا فما من سوأة إلا وفى عنقيها تبعاتها
وهما اللذان عليكم قد جرءا من لا يداني نعلكم جبهاتها
جرا اليكم كل جور نالكم من عصبة فعليهما لعناتها
فلرزئكم إن لم أمت حزناً فلي نفس أذابتها أسى زفراتها
ولقد نشرت رثاً لكم وكأن فى طي الجوانح للقنا وخزاتها

واليكم من بكر فكري ثاكل   تنعى فتهفت بالنفوس نعاتها
منكم لكم أهديتها وبرزئكم   آل النبي ختمتها وبدأتها
ولنشأتي أنشأتها ذخراً لكم   أفهل أخيب وفيكم أنشأتها
ولمهجتي بولاكم الحسنى إذا   فقدت غداً بصحيفتي حسناتها
فولاؤكم حسبي وإني عبدكم   فخري وذخري ان تضق حلقاتها
واليكم شكواي من نفس غدت   تقتادني للسوء اماراتها
وجرائم عبت بمهلك لجة   ترمي لها بنفوسها غفلاتها
وأنا الغريق بها فهل إلا بكم   للنفس يا (سفن النجاة) نجاتها
وعليكم يا رحمة الباري من   التسليم ما سارت به صلواتها

* * *

الثانية :

أقوت فهن من الأنيس خلاء   دمن محت آياتها الأنواء
درست فغيّرها البلا فكأنما   طارت بشمل أنيسها عنقاء
يا دار مقرية الضيوف بشاشة   وقراي منك الوجد والبرحاء
عبقت بتربك نفحة مسكية   وسقت ثراك الديمة الوطفاء
عهدي بربعك آنساً بك آهلا   يعلوه منك البشر والسراء
وثرى ربوعك للنواظر أثمد   والعقد حلي ضيائك الحصباء
قد كان مجتمع الهوى واليوم فى   عرصاته تتفرق الأهواء
أخنى عليه دهره والدهر لا   يرجى له بذوي الوفاء وفاء
أين الذين ببشرهم وبنشرهم   يحيي الرجا وتأرج الأرجاء؟
ضربوا بعرصة كربلاء خيامهم   فأطل كرب فوقها وبلاء

لله أي رزية في كربلا عظمت فهانت دونها الأرزاء
يوم به سل ابن أحمد مرهفاً لفرنده بدجى الوغى لئلاء
وفدى شريعة جده بعصابة تفدى وقل من الوجود فداء
صيد إذا ارتعد الكمي مهابة ومشت الى أكفائها الأكفاء
وعلا الغبار فأظلمت لولا سنا جبهاتها وسيوفها الهيجاء
عشت العيون فليس إلا الطعنة النجلا وإلا المقلة الخوصاء
زحفوا الى ورد المنون تشوقاً حتى كأن مماتها الأحياء
عبست وجوه عداهم فتبسموا فرحاً وأظلمت الوغى فأضاؤا
فلها قراع السمهري تسامر وصليل وقع المرهفات غناء
بأبى لها من أن تشم مذلة أنفٌ أشم وهمةٌ قعساء
يقتادهم للحرب أروع ماجد صعب القياد على الابا أباء
صحبته من عزماته هندية بيضاء أو يزنية سمراء
تجري المنايا السود طوع يمينه وتصرف الأقدار حيث تشاء
ذلت لعزمته القروم بموقف عقت به آباءها الأبناء
بفرائص رعدت وهامات همت مذ لاح بارق سيفه الوضاء
ولئن تنكر في العجاج فطالما شهدت بغر فعاله الهيجاء
من أبيض نثر الرؤوس وأسمر نظمت بسلك كعوبه الأحشاء
كره الحمام لقاءه في معرك حسدت به أمواتها الأحياء
بأبي (أبي الضيم) سيم هوانه فلواه عن ورد الهوان إباء
وتألبوا زمراً عليه تقودها لقتاله الأحقاد والبغضاء
فسطا عليهم مفرداً فتثنت له تلك الجموع النظرة الشزراء

يا واحداً للشهب من عزماته | تسري لديه كتيبة شهباء
ضاقت بها سعة الفضاء على العدى | فتيقنوا ما بالنجـاة رجاء
فغدت رؤوسهم تخر أمامهم | فوق الثرى وجسومهن وراء
تسع السيوف رقابهم ضرباً وبا | لأجسام منهم ضاقت البيداء
ما زال يفنيهم الى أن كاد أن | يأتي على الايجاد منـه فناء
لـكنما طلب الآله لقـاءه | وجرى بما قد شاء فيه قضاء
فهوى على غبرائها فتضعضعت | لهويه الغـبراء والخضراء
وعلا السنان برأسه فالصعدة | السمراء فيها الطلعـة الغراء
ومكفن وثيابه قصد القنا | ومغسل وله الميـاه دماء
ظام تفطر قلبـه ظمأ وبالحمـلات منـه ترتوي الغبراء
تبكي السماء دماً له أفلا بكت | ماء لغلة قلبـه الأنواء
والهف قلبي يا ابن بنت محمد | لك والعدى بك أدركوا ما شاؤا
فلخيلها أجسامكم ولنبلها | أكبادكم ولقضبها الأعضاء
وعلى رؤوس السمر منكم أرؤس | شمس الضحى لوجوهها حرباء
يابن النبي أقول فيك معزياً | نفساً وعز على الثكول عزاء
ما غض من علياك سوء صنيعهم | شرفاً وإن عظم الذي قد جاؤا
ان تمسى مغبر الجبين معفراً | فعليك من نور النبي بهاء
أو تبق فوق الأرض غير مغسل | فلك البسيطان الثرى والماء
أو تغتدي عار فقد صنعت لكم | برد العلا الخطي لا (صنعاء)
أو تقضي ظمئان الفؤاد فمن دما | أعداك سيفك والرماح رواء
فلو أن (أحمد) قد رآك على الثرى | لفرشن منه لجسمك الأحشاء

أو بالطفوف رأت ظماك سقتك من ... ماء المدامع أمك (الزهراء)
ياليت لا عذب (الفرات) لوارد ... وقلوب أبناء النبي ظـماء
كم حرة نهب العدى أبياتها ... وتقاسمت أحشاءها الأرزاء
تعدوا وتدعوا بالحماة ولم يكن ... بسوى السياط لهـا يجاب دعاء
تعدوا فان عادت عليها بالعدى ... عدو العوادي الجرد والعدواء
هتفت تثير كفيلها وكفيلهـا ... قد أرمضته فى الثرى الرمضاء
يا كعبة البيت الحرام ومن سمت ... بهم على هـام السما البطحاء
لله يوم فيه قــد أمسيتم ... أسراء قوم هم لـكم (طلقاء)
حملوا لـكم في السبي كل مصونة ... وسروا بها فى الأسر أنى شاؤا
ثكلى تحن لشجوها عيس الفلا ... وترق إن ناحت لها الورقاء
تنعى ليوث البأس من فتيانها ... وغيوثها إن عمت البأساء
رقدوا وليس بعزمهم من قدرة ... وغفوا وما في بأسهم اغفاء
تبكيهم بدم فقل بالمهجة الحرى ... تسيل العـبرة الحمـراء
ناحت فلما غصضت من صوتها ... بزفيرها أنفاسها الصعـداء
حنت ولـكن الحنين بكى وقد ... ناحت ولـكن نوحها ايماء
وقست عليهن القلوب فدونها ... الصخر الأصم ودونها الخنساء
وحدت بهن اليعملات كلابها ... ولهن رجع حنينهن حـداء
ومقيد قام الحـديد بمتنه ... غلاً وأقعـد جسمه الأعياء
رهن الضنا قعدت به أسقامه ... وسرت بـه المهزولة العجفاء
وغدت ترق على بليته العـدى ... (ما حال من رقت له الأعداء)
لله سر الله وهو محجب ... وضمير غيب الله وهو خفاء

أنى أغتدى للكافرين غنيمة في حكمها ينقاد حيث يشاؤوا
عال على عار المطى تتقاذف الأمصار فيه وترتمي الأحياء
طوع الأكف وكلهن لئيمة نصب العيون وكلها عمياء
وهو الذي لو شاء أن يفنيهم فـــذقتهم الدهماء والدهماء
وهوت له شهب السماء بقوسها وأطـاعه الأصباح والأمساء
آل النبي لان تعاظم رزؤكم وتصاغرت فى وقعه الأرزاء
فلأنتم يا أيهـا الشفعاء فى يوم الجـــزاء وأنتم الخصماء
واليكم من بكر فكري ثاكل تنعى وقد أودت بها البرحاء
حسناء جاءت للعزاء ولم تعد إلا بحسن منكم الحسناء

* * *

الثالثة :

خذوا الماء من عيني والنار من قلبي ولا تحملوا للبرق مناً ولا السحب
ولا تحسبوا نيران وجدي تنطفي بطوفان ذاك المدمع السافح الغرب
ولا أن ذاك السيل يبرد غلتي فـكم مدمع صب لذي غلة صب
ولا أن ذاك الوجـــد مني صبابة لغانية عفراء أو شادن ترب
نفى عن فؤادي كل لهو وباطل لواعج قد جرعتني غصص الـكرب
أبيت لها أطوي الضلوع على جوى كأني على جمر الغضا واضعاً جنب
رزاياكم يا آل بيت محمـــد أغص لذكراهن بالمنهل العـذب
عمى لعيون لا تفيض دموعها عليكم وقد فاضت دماكم على الترب
وتعساً لقلب لا يمزقـه الأسى لحرب بها قد مزقتكم بنوا حرب
فوا حرتا قلبي وتلـكم حشاشتي تطير شظاياهـــا بواحرتا قلبي

أأنسى وهل ينسى رزاياكم التي ... ألبت على دين الهداية ذو لب ؟

أأنساكم حرى القلوب على الظما ... تذادون ذود الخمس عن سائغ الشرب ؟

أأنسى بأطراف الرماح رؤوسكم ... تطلع كالأقمار فى الأنجم الشهب ؟

أأنسى طراد الخيل فوق جسومكم ... وما وطأت من موضع الطعن والضرب ؟

أأنسى دماء قد سفكن وأدمعاً ... سكبن وأحراراً هتكن من الحجب ؟

أأنسى بيوتاً قد نهبن ونسوة ... سلبن وأكباداً اذبن من الرعب ؟

أأنسى اقتحام الظالمين بيوتكم ... تروع آل الله بالضرب والنهب ؟

أأنسى اضطرام النار فيها وما بها ... سوى صبية فرت مذعرة السرب ؟

أأنسى لكم في عرصة الطف موقفاً ... على الهضب كنتم فيه أرسى من الهضب ؟

تشاطرتموا فيه رجالا ونسوة ... – على قلة الأنصار – فادحة الخطب

فأنتم به للقتل والنبل والقنا ... ونسوتكم للأسر والسبي والسلب

إذا أوجبت أحشاءها وطأة العدى ... علا ندبها لكن على غوثها الندب

وإن نازعتها الحلي فالسوط كم له ... على عضديها من سوار ومن قلب

وإن جذبت عنها البراقع جددت ... براقع تعلوهن حمراً من الضرب

وإن سلبت عنها المقانع قنعت ... إذا بثت الشكوى عن السلب بالسب

وثاكلة حنت فما العيس في الفلا ... وناحت فما الورقاء فى الغصن الرطب

تروي الثرى بالدمع والقلب ناره ... تشب وقد يخطي الحيا موضع الجدب

وتندب عن شجو فتعطي بندبها ... لكل حشى ما في حشاها من الندب

وتنعى فتشجي الصم (زينب) إذ نعت ... وتصدع شكواها الرواسي من الهضب

تشير على وجه الثرى من حماتها ... ليوث وغى لكن موسدة الترب

نيام على الأحقاف لكن بلا كرى ... ونشوانة الأعطاف لكن بلا شرب

قطارحهم بالعتب شجواً وانها | لتعلم بعد القوم عن خطة العتب
حموا خدرها حتى استبيحت دماؤهم | وطلت وما طالت اليها يد النصب
ومن دونها أجسامهم ورؤوسهم | غدت نهب أطراف الأسنة والقضب
فيا مدركي الأوتار حتى مَ صبركم | وأوتاركم ضاقت بها سعة الرحب ؟
ويا طاعني صدر الكتائب مالكم | قعدتم وفى أيديكم قائم العضب ؟
ويا طاحني هام العدى ما انتظاركم | وقدطحنتكم في الحروب رحى حرب ؟
ويا مزعجي أسد الشرى ما قعودكم | وقد ظفرت من ليثكم ظفر الكلب ؟
جبار بأيدي الظالمين دماؤكم | فيا غيرة الجبار من غضب هبي
فكم غرة فوق الرماح وحرة | لآل رسول الله سيقت على النجب ؟
وكم من يتيم موثق ليتيمة | ومسبية بالحبل شدت الى مسبي
بني النسب الوضاح والحسب الذي | تعالى فأضحى قاب قوسين للرب
إذا عدت الأنساب للفخر أو غدت | تطاول بالأنساب سيارة الشهب
فما نسبي إلا انتسابي اليكم | وما حسبي إلا بأنكم حسبي

* * *

الرابعة :

في القلب حر جوى ذاك توهجه | الدمع يطفيه والذكرى تؤججه
أفدي الالى للعلى أسرى بهم ظعن | وراه حاد من الأقدار يزعجه
ركب على جنة المأوى معرسه | لكن على محن البلوى معرجه
مثل الحسين تضيق الأرض فيه فلا | يدري الى أين مأواه ومولجه
ويطلب الأمن بالبطحا وخوف بني | سفيان يقلقله عنها ويخرجه
وهو الذي شرف البيت الحرام به | ولاح بعد العمى للناس منهجه

يا حائراً لا وحاشا نور عزمتـــه بمن سواك الهدى قد شع مسرجه
وواسع الحلم والدنيا تضيق به سواك إن ضاق خطب من يفرجه
ويا مليكاً رعاياه عليــــه طغت وبالخـــلافـــة باريه متوجه
يا عارياً قد كساه النور ثوب سناً زها بصبغ الدم القاني مـدبجه
ياري كل ظما واليوم قلبك من حر الظما لو يمس الصخر ينضجه
يا ميتاً بات والذاري يكفنه والأرض بالترب كافوراً تؤرجه
ويا مسيح هدى للراس منه على الرماح معراج قدس راح يعرجه
ويا كليما هوى فوق الثرى صعقاً لـكن محياه فوق الرمح أبلجه
ويا مغيث الهدى كم تستغيث ولا مغيث نحوك يلويـــه محرجه
فأين جدك والأنصار عنك ألا هبت له أوسه منهم وخزرجه ؟
وأين فرسان عـدنان وكل فتى شاكي السلاح لدى الهيجا مدججه ؟
وأين عنك أبوك المرتضى أفـلا يهيجـه لك إذ تدعو مهيجه ؟
يروك بالطف فرداً بين جمع عدى البغي يلجمـــه والغي يسرجه
تخوض فوق سفين الخيل بحر دم بالبيض والسمر زخار مموجه
حاشا لوجهك يا نور النبوة أن يمسي على الأرض مغبراً مبلجه
وللجبين بأنوار الامامة قـــد زها وصخر بني صخر يشججه
اعيذ جسمك يا روح النبي بأن يبقى ثلاثاً على البوغا مضرجه
عار يحوك له الذكر الجميل ردى أيدي صنائعـــه بالفخر تنسجه
والرأس بالرمح مرفوع مبلجه والثغر بالعود مقروع مفلجه
حديث رزء قديم الاصل اخرج إذ عن الأولى صح أسناداً مخرجه
تالله ما كربلا لو لا (سقيفتهم) ومثل ذا الفرع ذاك الأصل ينتجه

وفي الطفوف سقوط السبط منجدلا   من سقط (محسن) خلف الباب منهجه
وبالخيام ضرام النار من حطب   بباب دار ابنة الهادي تأججه
لكن امية جاءتكم بأخبث ما   كانت على ذلك المنوال تنسجه
سرت بنسوتكم للشام في ظعن   قبابه الكور والأقتاب هودجه
من كل والهة حسرى يعنفها   على عجاف المطى بالسير مدلجه
كم دملج صاغه ضرب السياط على   زند بأيدي الجفاة ابتز دملجه
ولا كفيل لها غير العليل سرت   ترثى له ألم البلوى وتنشجه
تشكو عداها وتنعى قومها فلها   حال من الشجو لف الصبر مدرجه
فنعيها بشجى الشكوى تؤلفه   ودمعها بدم الأحشاء تمزجه
ويدخل الشجو في الصخر الأصم لها   تزفر من شظايا القلب تخرجه
فيا لأرزائكم سدت على جزعي   باباً من الصبر لا ينفك مرتجه
يفر قلبي من حر الغليل الى   طول العويل ولكن ليس يثلجه
أود أن لا أزال الدهر أنشأها   مراثياً لو تمس الطود تزعجه
ومقولي طلق في القول أعهده   لكن عظيم رزاياكم يلجلجه
ولا يزال على طول الزمان لكم   في القلب حر جوى ذاك توهجه

للحجة آية الله الشيخ محمد حسين الاصفهاني قدس سره

أسفر صبح اليمن والسعادة عن وجه سر الغيب والشهادة
أسفر عن مرآة غيب الذات ونسخة الأسماء والصفات
تعرب عن غيب الغيوب ذاته تفصح عن أسمائه صفاته
ينبيء عن حقيقة الخلائق بالحق والصدق بوجه لائق
لقد تجلى أعظم المجالي في الذات والصفات والأفعال
روح الحقيقة المحمدية عقل العقول الكمل العلية
فيض مقدس عن الشوائب مفيض كل شاهد وغائب
تنفس الصبح بنور لم يزل بل هو عند أهله صبح الأزل
وكيف وهو النفس الرحماني في نفس كل عارف رباني
به قوام الكلمات المحكمة به نظام الصحف المكرمة
تنفس الصبح بسر القدم بصورة جامعة للكلم
تنفس الصبح بالاسم الأعظم محا عن الوجود رسم العدم
بل فالق الأصباح قد تجلى فلا ترى بعد النهار ليلا
فأصبح العلم ملاء النور وأي نور فوق نور الطور
ونار موسى قبسٌ من نوره بل كل ما في الكون من ظهوره
أشرق بدرٌ من سماء المعرفة به استبان كل اسم وصفة
به استنار عالم الابداع والكل تحت ذلك الشعاع
به استنار ما يرى ولا يرى من ذروة العرش الى فوق الثرى
فهو بوجهه الرضي المرضي نور السماوات ونور الأرض

فلا توازي نوره الأنوار	بل جل أن تدركه الابصار
غرته بارقة الفتوّة	قرة عين خاتم النبوة
تبدو على غرته الغراء	شارقة الشهامة البيضاء
بادية من أنة الشهامة	دلائل الأعجاز والكرامة
من فوق هامة السماء همته	تكاد تسبق القضا مشيته
ما همة السماء من مداها	ان الى ربك منتهاها
أم الكتاب فى علوّ المنزلة	وفي الابا نقطة باء البسملة
تمت به دائرة الشهادة	وفي محيطها له السيادة
لو كشف الغطاء عنك لا ترى	سواه مركزاً لها ومحورا
وهل ترى لملتقى القوسين	أثبت نقطة من الحسين
فلا ورب هذه الدوائر	جل عن الأشباه والنظائر
بشراك يا فاتحة الكتاب	بالمعجز الباقي مدى الأحقاب
وآية التوحيد والرسالة	وسر معنى لفظة الجلالة
بل هو قرآن وفرقان معا	فما أجل شأنه وأرفعا
هو الكتاب الناطق الآلهي	وهو مثال ذاته كما هي
ونشأة الأسماء والشؤون	كل نقوش لوحه المكنون
لا حكم للقضاء إلا ما حكم	كأنه طوع بنانه القلم
رابطة المراد بالارادة	كأنه واسطة القلادة
ناطقة الوجود عين المعرفة	ونسخة اللاهوت عيناً وصفة
في يده أزمة الأيادي	بالقبض والبسط على العباد
بل يده العليا يد الافاضة	في الأمر والخلق ولا غضاضة

لك الهنا يا سيد الكونين   فغاية الآمال فى (الحسين)
وارث كل المجد والعلياء   من المحمدية البيضاء
فانه منك وأنت منه في   كل المعالي ياله من شرف
وفيه سر الكل فى الكل بدا   روحان فى روح الكمال اتحدا
لك العروج في السماوات العلى   له العروج في سماوات العلا
حظك منتهى الشهود فى دنا   وسهمه أقصى المنى من الفنا
منك أساس العدل والتوحيد   منه بناء قصره المشيد
منك لواء الدين وهو حامله   قام بحمله الثقيل كاهله
والمكرمات والمعالي كلها   أنت لها المبدأ وهو المنتهي
لك الهنا يا صاحب الولاية   بنعمة ليس لها نهاية
أنت من الوجود عين العين   فكن قرير العين (بالحسين)
شبلك في القوة والشجاعة   نفسك فى العزة والمناعة
منطقك البليغ فى البيان   لسانك البديع في المعاني
طلعتك الغراء بالاشراق   كالبدر في الأنفس والآفاق
صفاتك الغر له ميراث   والمجد ما بين الورى تراث
لك الهنا يا غاية الايجاد   بمبدأ الخيرات والأيادي
وهو سفينة النجاة فى اللجج   وبابها السامى ومن لج ولج
سلطان اقليم الحفاظ والابا   مليك عرش الفخر اماً وأبا
رافع راية الهدى بمهجته   كاشف ظلمة العمي ببهجته
به استقامت هذه الشريعة   به علت أركانها الرفيعة
بنى المعالي بمعالي هممه   ما اخضر عود الدين إلا بدمه

بنفسه اشترى حياة الدين فيا لها من ثمن ثمين
أحيى معالم الهدى بروحه داوى جروح الدين من جروحه
جفت رياض العلم بالسموم لم يروها إلا دم المظلوم
فأصبحت مورقة الأشجار يانعـة زاكية الثمار
أقعد كل قائم بنهضته حتى أقام الدين بعد كبوته
قامت به قواعد التوحيد مذ لجئت بركنها الشديد
وأصبحت قوية البنيان بعزمه عزائم القرآن
غدت به سامية القباب معاهد السنة والكتاب
أفاض كالحيا على الوراد ماء الحياة وهو ظام صادي
وكضه الظما وفي طي الحشا ري الورى والله يقضي ما يشا
والتهبت أحشاؤه من الظما فأمطرت سحائب القدس دما
وقد بكته والدموع حمر بيض السيوف والرماح السمر
تقطر القلب من الظما وما تفتر العزم ولا تثلما
ومن يداك نوره الطور فلا يندك طود عزمه من البلا
تعجب من ثباته الأملاك ومن تجولاته الأفلاك
لا غرو انه ابن بجدة اللقا قد ارتقى في المجد خير مرتقى
شبل (علي) وهو ليث غابه لا بل كأن الغاب في اهابه
كراته في ذلك المضمار تكور الليل على النهار
وعضبه صاعقة العذاب على بقايا بدر والأحزاب
سطا بسيفه ففاضت الربى بالدم حتى بلغ السيل الزبى
فرق جمع الكفر والضلال لجمع شمل الدين والكمال

أنار بالبارق وجه الحق ... وفى وميضه رموز الصدق
حتى تجلى الدين فى جماله ... يشكر فعله لسان حاله
قام بحق السيف بل أعطاه ... ما ليس يعطى مثله سواه
كأن منتضاه محتوم القضا ... بل القضا في حد ذاك المنتضى
كأنه طير الفنا رهيفه ... يقضي على صنوفهم رفيفه
او صرصر في يوم نحس مستمر ... كأنهم أعجاز نخل منقعر
أو بصريره كريح عاتية ... كأنهم أعجاز نخل خاوية
وفى المعالي حقها لما علا ... على العوالي كالخطيب في الملا
يتلو كتاب الله والحقايق ... تشهد انه الكتاب الناطق
قد ورث العروج في الكمال ... من (جده) لكن على (العوالي)
هي (العوالي) وهي المعالي ... والخير كل الخير في المثال
هو الذبيح في منى الطفوف ... لكنه ضريبة السيوف
هو الخليل المبتلى بالنار ... والفرق كالنار على المنار
نوح ولكن أين من طوفانه ... طوفانه فليس من أقرانه
تالله ما ابتلى نبي أو ولي ... في سالف الدهر بمثل ما ابتلي
له مصائب تكل الألسن ... عنها فكيف شاهدتها الأعين
أعظمها رزءاً على الإسلام ... سبي ذراري سيد الأنام
ضلالة لا مثلها ضلالة ... سبي بنات الوحي والرسالة
وسوقها من بلد الى بلد ... بين الملا أشنع ظلم وأشد
وأفظع الخطوب والدواهي ... دخولها فى مجلس الملاهي
ولدغ حية لها بريقها ... دون وقوفها لدي (طليقها)

ويسلب اللب حديث السلب ... يا ساعد الله بنات الحجب
تحملت أميــــة أوزارها ... وعارها مـذ سلبت ازارها
وكيف يرجى الخير من خمارها ... تبت يد مدّت الى خمـارها
وأدركت من النبي ثارها ... وفي ذراريه قضت أوتارها
واعجباً يدرك ثار الـكفرة ... من أهل (بدر) بالبدور النيرة
فيا لثارات النبي الهــــادي ... بما جنت به يـد الأعادي
ومن لهـا إلا الامام المنتظر ... أعزه الله بفتح وظفــــر

للحجة آية الله المجاهد الشيـخ محمد جواد البلاغي (١)

يا تريب الخد في وادي الطفوف ... ليتني دونك نهباً للسيـــوف
يا نصير الدين إذ عز النصير ... وحمى الجار إذا عز المجير
وشـديد البأس واليوم عسير ... وثمال الوفد في العام العسوف
كيف يا خامس أصحاب الـكسا ... وابن خير المرسلين المصطفى ؟
وابن ساقي الحوض في يوم الظما ... وشفيع الخلق في اليوم المخوف

(١) نظم هـذه القصيدة لأجل الموكب الذى سعى به ليلة عاشوراء ويومها فى كربلا فى السنة التى قتل فيها السيد حسن بن آية الله السيد أبو الحسن الإصفهانى وببركاته اتسع الى هذه السنة فكان موكب النجفيين ليلة عاشوراء فى كربلا يضم العلماء وأهل الفضل والمقدسين من أرباب المهن ، كل ذلك من أنفاس هذا الشيـخ الجليل المناضل دون الدين الحنيف . وترجمته مفصلة فى « شعراء الغرى » ج ٢ ص ٤٣٦ .

يا صريعاً ثاوياً فوق الصعيد … وخضيب الشيب من فيض الوريد
كيف تقضي بين أجناد يزيد … ظامئاً تسقى بكاسات الحتوف ؟
كيف تقضى ظامئاً حول الفرات … دامياً تنهل منك الماضيات ؟
وعلى جسمك تجري الصافنات … عافر الجسم لقى بين الطفوف
يا صريع الموت في يوم الطعان … لا خطا نحوك بالرمح سنان
لا ولا شمر دنا منك فكان … ما أمار الأرض هولاً بالرجوف
سيدي أبكيك للشيب الخضيب … سيدي أبكيك للوجه التريب
سيدي أبكيك للجسم السليب … من حشا حران بالدمع الذروف
سيدي إن منعوا عنك الفرات … وسقوا منك ظماء المرهفات
فسنسقي كربلا بالعبرات … وكفاً من علق القلب الأسوف
سيدي أبكيك منهوب الرحال … سيدي أبكيك مسبيّ العيال
بين أعداك على عجف الجمال … فى الفيافى بعد هاتيك السجوف
سيدي إن نقض دهراً فى بكاك … ما قضينا البعض من فرض ولاك
أو عكفنا عمرنا حول ثراك … ما شفى غلّتنا ذاك العكوف
لهف نفسي لنساك المعولات … واليتامى إذ عدت بين الطغاة
باكيات شاكيات صارخات … ولهاً حولك تسعى وتطوف
يا حمانا من لنا بعد حماك … ومن المفزع من أسر عداك ؟
ولمن نلجأ إن طال نواك … ودهتنا بدواهيها الصروف ؟
يا حمانا من لأيتام صغار … ومذاعير تعادى بالفرار ؟
راعها المزعج من سلب ونار … حيث لا ملجأ ولا حامٍ رؤف
لست أنساها وقد مالت الى … صفوة الأنصار صرعى في الفلا

أشرقت منها مجاني كربلا كشموس غالها ريب الكسوف
هاتفات بهم مستصرخات باكيات نادبات عاتبات
صارخات أين عنا يا حماة يا بدور التم ما هذا الخسوف ؟
يا رجال البأس في يوم الكفاح يا ليوث الحرب في غاب الرماح
كيف آذنتم جميعاً بالرواح ورحلتم رحلة القوم الضيوف ؟
ما لكم لا غالكم صرف الردى لا ولا أدركتم بيض الضبا ؟
أفترضون لنا ذل السبا وعناء الأسر ما بين الالوف ؟
أفنسبى بعدكم سبي العبيد ثم نهدى من عنيد لعنيد ؟
لا وقفنا في السبا عند يزيد حبذا الموت ولا ذاك الوقوف

للعلامة الحجة الشيخ محمد حسين بن حمد الحلي أعلا الله مقامه

خليلي هل من وقفة لكما معي على جدث أسقيه صيب أدمعي ؟
ليروي الثرى منه بفيض مدامعي فان الحيا الوكاف لم يك مقنعي
لأن الحيا يهمي ويقلع تارة واني لعظم الخطب ما جف مدمعي
خليلي هبّا فالرقاد محرم على كل ذي قلب من الوجد موجع
هلما معي نعقر هناك قلوبنا إذا الوجد أبقاها ولم تتقطع
هلما نقم بالغاضرية مأتماً لخير كريم بالسيوف موزع
فتى أدركت فيه علوج امية مراماً فأردته ببيداء بلقع
غداة أرادت أن ترى السبط ضارعاً ولم يك ذا خد من الضيم أضرع
وكيف يسام الضيم من جده ارتقى الى العرش حتى حل أشرف موضع

فتى حلقت فيه قوادم عزة لأعلا ذرى المجد الأثيل وأرفع
ولما دعته للكفاح أجابها بأبيض مشحوذ وأسمر مشرع
وأساد حرب غابها أجم القنا وكل كمي رابط الجاش أروع
يصول بماضي الحد غير مكهم وفي غير درع الصبر لم يتدرع
إذا ألقح الهيجاء حتفاً برمحه فماضي الشبا منه يقول لها ضعي
وإن ابطأت عنه النفوس اجابة لحد سنان الرمح قال لها اسرع
فلم تزل الارواح قبض أكفهم وتسقط هامات بقولهم قعي
الى أن دعاهم ربهم للقائه فكانوا الى لقياه أسرع من دعي
وخروا لوجه الله تلقى وجوههم فمن سجد فوق الصعيد وركع
وكم ذات خدر سجفتها حماتها بسمر قنا خطيـــة وبلمع
أماطت يد الاعداء عنها سجافها فأضحت بلا سجف وكهف ممنع
لقد نهبت كف المصاب فؤادها وأبدى عداها كل برد وبرقع
فلم تستطع عن ناظريها تستراً بغير زنود قاصرات وأذرع
وقد فزعت مذراعها الخطب دهشة وأوهى القوى منها الى خير مفزع
فلما رأته بالعراء مجــدلا عفيراً على البوغاء غير مشيع
دنت منه والأحزان تمضغ قلبها وحنت حنين الواله المتفجع
تقول وظفر الوجد يدمي فؤادها علي عزيز أن أراك مودع
علي عزيز أن تموت على ظما وتشرب في كأس من الحتف مترع
أأخى ذا شمر أراد مــذلتي فأركبني من فوق أدبر أظلع
وذا العلج زجر أرغم الله أنفه بقرع القنا والأصبحية موجع

للعلامة الثقة الشيخ محمد تقي ابن آية الله الشيخ عبد الرسول
آل صاحب الجواهر

دعاني فوجدي لا يسليه لائمه ... ولكن عسى يشفيه بالدمع ساجمه
ولا تكثرا لومي فرب موله ... (اعق خليليه الصفيين لائمه)
فما كل خطب يحمد الصبر عنده ... ولا كل وجد يكسب الأجر كاتمه
فان ترعيا حق الاخاء فأعولا ... معي في مصاب أفجعتنا عظائمه
غداة أبو السجاد قام مشمراً ... لتشييد دين الله إذ جد هادمه
ورام ابن ميسون على الدين إمرة ... فعاثت بدين الله جهراً جرائمه
فقام مغيثاً شرعة الدين شبل من ... بصمصامه بدءاً اقيمت دعائمه
وحف به (إذ محص الناس) معشر ... نمته الى أوج المعالي مكارمه
فمن أشوس ينميه للطعن حيدر ... وينميه جداً في قرى الطير هاشمه
ورهط تفانى في حمى الدين لم تهن ... لقلته بين الجموع عزائمه
الى أن قضوا دون الشريعة صرعاً ... كما صرعت دون العرين ضراغمه
أراد ابن هند خاب مسعاه أن يرى ... حسيناً بأيدي الضيم تلوى شكائمه
ولكن أبى المجد المؤثل والابا ... له الذل ثوباً والحسام ينادمه
أبوه علي وابنة الطهر امه ... وطه له جد وجبريل خادمه
إلى ابن سمي وابن ميسون ينثني ... يمد يداً والسيف في اليد قائمه
فصال عليهم صولة الليث مغضباً ... وعساله خصم النفوس وصارمه
فحكم في أعناقهم نافذ القضا ... صقيلاً فلا يستأنف الحكم حاكمه
الى أن أعاد الدين غضاً ولم يكن ... بغير دماء السبط تسقى معالمه

فان يك إسماعيل أسلم نفسه	الى الذبح في حجر الذي هو راحمه
فعاد ذبيح الله حقاً ولم يكن	تصافحـه بيض الضبا وتسالمه
فان — حسيناً — أسلم النفس صابراً	على الذبح في سيف الذي هو ظالمه
ومن دون دين الله جاد بنفسه	وكل نفيس كي تشاد دعائمه
ورضت قراه العاديات وصـدره	وسيقت على عجف المطايا كرائمه
فان يمس فوق الترب عريان لم تقم	له مأتماً تبكيه فيه محارمه
فأي حشىً لم يمس قبراً لجسمه	وفي أي قلبٍ ما اقيمت مآتمه
وهب دم يحيي قد غلا قبلُ في الثرى	فان حسيناً في القلوب غلا دمه
وإن قرّ قدماً مذ دعا بخت نصرٍ	بثارات يحيي واستردت مظالمه
فايست دماء السبط تهدأ قبل أن	يقوم باذن الله للثار (قائمه)
أبا صالح يا مدرك الثار كم تُرى	وغيظك وارٍ غير انك كاظمه
وهل يملك الموتورُ صبراً وحوله	يروح ويغدو آمنَ السرب غارمه
أتنسى أبيّ الضيم في الطف مفرداً	تحوم عليه للوداع (فواطمه) ؟
أتنساه فوق الترب منفطر الحشا	تناهبـه سمر الردى وصوارمه ؟
وربّ رضيع أرضعتـه قسيهم	من النبل ثدياً درّه الثرّ فاطمه
فلهفي له مذ طوق السهم جيـده	كما زينتـه قبل ذاك تمائمه
ولهفي له لما أحس بحـره	وناغاه من طير المنيـة حائمه
هفا لعناق السبط مبتسم اللمى	وداعاً — وهل غير العناق يلائمه
ولهفي على ام الرضيع وقد دجى	عليها الدجى والدوح ناحت حمائمه
تسلل في الظلمـاء ترتاد طفلها	وقد نجمت بين الضحايا علائمه
فمذ لاح سهم النحر ودت لو انها	تشاطره سهم الردى وتساهمه

أقلّتـــه بالـكـفين ترشف ثغره ... وتلثم نحراً قبلها السهم لاثمه
وأدنته للنهدين وهي فتارةً ... تناغيه ألطافاً واخرى تكالمه
بنيّ أفق من سكرة الموت وارتضع ... بثدييك عل القلب يهـدأ هائمه
بني فقـد درا وقد كضك الظما ... فعلك يطفى من غليلك ضارمه
بني لقد كنت الأنيس لوحشتي ... وسلواي إذ يسطو من الهم غاشمه

الخطيب السيد مهدي الأعرجي رحمه الله

ما بال فهر أغفلت أوتارهـا ... هلا تثير وغى فتدرك ثارها
أغفت على الضيم الجفون وضيعت ... يا للحميـــة عزها وفخارها
عجباً لهـا هدأت وتلك امية ... قتلت سراة قبيلهـا وخيارها
عجباً لهـا هدأت وتلك نساؤها ... بالطف قد هتك العدى أستارها
من كل ثاكلة تناهب قلبها ... كف الأسى ويد العدو خمارها
لهفي لها بعد التحجب أصبحت ... حسرى تقاسي ذلها وصغارها
تدعو أمير المؤمنين بمهجـــة ... فيها الرزية أنشبت أظفارها
أبتاه يامردي الفوارس في الوغى ... ومبيـد جحفلها ومخمد نارها
قم وانظر ابنك في العراء وجسمه ... جعلته خيل اميـة مضمارها
ثاوٍ تغسله الدماء بفيضهـا ... عارٍ تكفنه الرياح غبارها
وخيول حرب منه رضت أضلعاً ... فيها النبوة أودعت أسرارها
وبيوت قدس من جلالة قدرها ... كانت ملائكة السما زوارها
يقف الأمين ببابها مستأذناً ... ومقبلا أعتابها وجـــدارها

أضحت عليها آل حرب عنوة في يوم عاشورا تشن مغارها
كم طفلة ذعرت وكم محجوبة برزت وقد سلب العدو أزارها
ويتيمة صاغ القطيع لها سواراً عندما بزّ العـــدو سوارها
أين الـكماة الصيد من عمرو العلى عنها فترخص دونها أعمارها ؟
أين الـكماة الصيد من عمرو العلى لتثير للحرب العوان غبارها ؟

اصلاح الغلط

ص	س		الصحيح
٨	١٤	—	ابن خلدون غلط
٢٨	٧	—	ثم يقول
٤٤	٢١	—	الدرة النجفية ص٨٥
٤٩	١٥	—	سد
٥١	١٤	—	ما للقوم
٥١	١٦	—	الشتمة
٧٠	١٩	—	اصرارهم
٧٧	١٢	—	قام زهير
٧٨	١١	—	أراد بهذه
٨١	٤	—	وأبقى بعده
٨٨	١	—	عمل الشبيه
١٠١	٧	—	لا أراك
١٣٠	٦	—	على المنبر
١٤٦	٧	—	أيماً
١٦٢	١١	—	فشتر
٢٢١	١٤	—	حيدر الحلى
٢٦٨	١٠	—	لحلقت
٢٧٠	١٤	—	الى كثرت
٢٩٠	١٠	—	النقع
٣٠٨	٤	—	مزاول
٣٣١	٨	—	حقا
٣٤٠	٣	—	نخمت
٣٥٠	٢٠	—	ص ١١٦
٣٥٠	١٤	—	بلى

فهرست الكتاب



آثار المؤلف المطبوعة

١ — مقتل الحسين (طبعة ثانية) . ٢ — زين العابدين .

٣ — الصديقة الزهراء . ٤ — الامام الرضا « ع » .

٥ — الامام الجواد « ع » . ٦ — العباس بن أمير المؤمنين .

٧ — قمر بني هاشم . ٨ — الشهيد مسلم بن عقيل .

٩ — علي الأكبر (طبعة ثانية) ١٠ — السيدة سكينة بنت الحسين .

١١ — زيد الشهيد . ١٢ — تنزيه المختار الثقفي .

١٣ — سر الايمان الشهادة الثالثة فى الأذان .

١٤ — تعليقة على المحاضرات في الفقه الجعفري تأليف الحجة السيد علي الشاهرودي ، تقرير درس آية الله السيد ابو القاسم الخوئي أيده الله .

آثاره المخطوطة

١ — الحسن المجتبى « ع » . ٢ — عاشوراء فى الاسلام .

٣ — الأعياد في الاسلام . ٤ — مصارع المعصومين .

٥ — زينب بنت أمير المؤمنين . ٦ — الخطيب النائح .

٧ — الكنى والألقاب .

الاستبصار

فيما اختلف من الأخبار

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

المتوفى ٤٦٠ هـ

صدر منه الجزء الأول والثاني

منشورات

دار الكتب الاسلامية - نجف

لصاحبها

الشيخ علي الآخوندي



